الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية

قسم التاريخ وعلم الآثار

الموروث الثقافي العثماني بالجزائر

ما بين القرنين ﴿10هـ -13هـ / 16م - 19م﴾

بين التأثير والتأثر

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالب: درقاوي منصور

بإشراف الأستاذ الدكتور: فغرور دحو

لجنة المناقشة الموقرة 2015/06/04

أ.د/ موفقس محمد............ جامعة وهران............رئيسا

أ.د/ فغرور دحو............ جامعة وهران............مشرفا

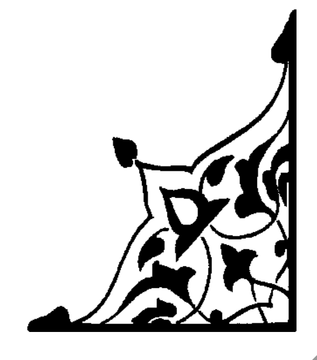
أ.د/ دادة محمد............ جامعة وهران............مناقشا

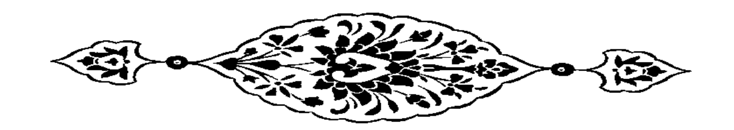
أ.د/ خليفي عبد القادر........ جامعة وهران............مناقشا

السنة الجامعية: ﴿1435- 1436هـ / 2014- 2015م﴾

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ *وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

سورة التوبة الآية **105**





شكر وعرفان

أحمد الله المعين الذي علّمنا البيان وميّزنا بالعقل واللسان ونسأله القبول.

أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ المشرف فغرور دحو الذي لم يدّخر علينا جهدًا في توجيهنا وإرشادنا بالرغم من وقته الضّيق فله نكرر عرفاننا بالشكر الجميل.

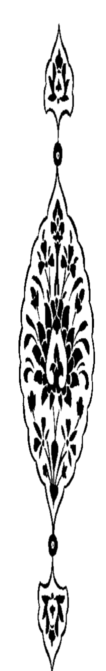
كما لا أنسى الأساتذة الأجلاء الذين لم يبخلوا علينا بمساعدتهم ونصائحهم التي قدموها لنا، على رأسهم الأستاذ غازي جاسم الشمري.

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد من الزملاء والأصدقاء، على سبيل المثال ولا الحصر عثمان بوجمرة ، محمد مقصودة ، هشام نمر...






إهـــــداء



إلى دعاة المدرسة الجزائرية الأصيلة.

إلى المرابطين على ثغور ثوابتنا.

الى المكافحين عن مكوّنات هويتنا .

أباءا ومربين ومعلمين...

الى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

عربون محبة وإخلاص

و رسالة وفاء وتقدير





قايمة المختصرات

1- المختصرات باللغة العربية

* ج. الجزء
* د.ب.ن.ت : دار البصائر للنشر والتوزيع
* د.ت : دون تاريخ
* د.ط : دون طبعة
*د.ع.ن.ت : دار العلوم للنشر والتوزيع
* د.ق.ن : دار القصبة للنشر
* د.م. ج: ديوان المطبوعات الجامعية
* ش.و.ن.ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
* ط . الطبعة
* م . التاريخ الميلادي
* م. ت.م: المجلة التاريخية المغربية
* م.ث.ج : المجلة الثقافية الجزائرية
* م.ج.ط : المؤسسة الجزائرية للطباعة
* م.و.ب.ع : المؤسسة الوطنية للبحث العلمي
* م.و.ك : المؤسسة الوطنية للكتاب
* هـ . التاريخ الهجري

2-المختصرات باللغة الفرنسية

* édit : édition

* Ibid. : Remplacer une référence déjà donnée, mais à condition qu'elle soit citée dans le renvoi qui précède immédiatement

* Imp : Imprimerie

* Op Cit : Précédé du nom de l'auteure, renvoie à une étude ou à article de cet auteur déjà mentionné plus haut

* R.A : Revue Africaine

* R.M .M, M : Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée

* R.M : Revue Magrébine

* R.N.S.A.C : Revue Nationale Société Archéologique Constantine

* R.T.A.S.M.P : Revue des travaux de l'académie des sciences morale et politique

* T : Tome

* Trad. : Tradiction

المقدمة

إن دراسة التاريخ الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني من الأهمية بمكان، وتزداد هذه الأهمية إذا علمنا أن معظم الدراسات التي إهتمت بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر ركزت على الجانب السياسي أكثر من أي جانب آخر، في الحين إن تكوين صورة متكاملة عن الوضع الثقافي للجزائر والجزائريين إبان تلك الفترة لا يتأتى إلا بدراسة تستوفي جميع الجوانب السياسية، الإقتصادية، المالية، الإجتماعية والثقافية.

من هذا المنطلق جاءت رغبتنا في إعداد هذا البحث المتواضع الذي نُحاول من خلاله تسليط الضّوء على جانب من جوانب الحياة الإجتماعية للمجتمع الجزائري .

إن الموروث الثقافي بأطرافه المادية واللامادية يُعبرلا محالة عن الهوية الوطنية ، ويشمل كل ما تركه الأسلاف من معارف وآداب وتقاليد وقيم، يعكس نشاطهم المعرفي، وطريقة تفكيرهم ، فيبقى هذا الموروث مُتوارثا جيلا بعد جيل .

وبالتالي هذا التواصل مطلوب، لإحياء الموروث الثقافي، ونحن نسير نحو الأمام، فهو الماضي الذي يحاور الحاضر و المستقبل

وبإعتبار أن الموضوع يدرس الجانب الإجتماعي لفترة زمنية محددة من تاريخ الجزائر لا بد علينا أن نعرج قبل كل شيئ الى شرح بعض المفاهيم والمصطلحات الأكثر توظيفا في الرسالة الموسومة بِ الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16م-19م بين التأثير والتأثر، ومن خلال العنوان يتضح لنا مصطلح الموروث (الإرث) والثقافة، كلمتان متلازمتان والذي لا بد من توضيحهما بسبب الرِباط المادي و المعنوي الذي بينهما.

إن المفهوم العام للموروث كما تصوره الكثير من المفكرين هو خلاصة ما خُلّف من الأجيال السالفة ورثته الأجيال اللاحقة. و من خلال قراءاتنا، إستخلصنا أن المفهوم العلمي للموروث هو ذلك العلم القائم بذاته يختص بقطاع الثقافة التقليدية أو الشعبية والتي يُلقِّي الضوء عليها من زوايا تاريخية وجغرافية وإجتماعية، أي بعبارة أجرى هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، سواء ماضينا نحن أو ماضي غيرنا، القريب منه أو البعيد.

وقد إستخلصنا من بعض الدراسات أيضا أن التراث هو أسٌّ من أُسس مكونات الذاكرة الجماعية للأمم ، وأنه مغزَّى فلسفيا، وقيمة جمالية، وإرثا تاريخيا وشحنة عاطفية، وبهذا يكون مفهوم التراث، قد مر بثلاث قيم أساسية هي: القيمة الجمالية ونعني به (الذوق الجمالي

للتراث)، والقيمة العاطفية (تقديس التراث)، وأخيرا القيمة المعاصرة(ربط التراث بروح العصر).

أما مفهوم الثقافة ومن خلال ما إطلعنا عليه أيضا، يرى بعض الباحثين هي ذلك الكل المركب، الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان، باعتباره عضواً في المجتمع، وبما يكتسبه من حركية إنسانية لأفعال يومية يمارسها الفرد بشكل آلي، أو مكتسبة من السلف.

وبالتالي أعتقد أن لكلمة التُّراث و الثقافة كلمتان ملازمتان بالرغم من مدلول الذي قد يُقَارَنُ بمجالات أخرى في الفعل الحضاري، كقولنا الثقافة السياسية ، ثقافة الفنون، وثقافة كذا وكذا...وتأتي أهمية هذا الموضوع في عدة جوانب هي:

- مسح عام عن معرفة الوضعية الثقافية للمجتمع الجزائري في فترة معينة من تاريخ الجزائر، قد تُسهل علينا فهم جوانب أخرى مرتبطة بالموضوع .

- الإطلاع على ما كتبه المثقفون المحليون خلال تلك الفترة بالدراسة والتمحيص.

- الإطلاع على ثقافتنا من خلال المثقفين الآخرين (الأجانب) وخاصة منهم الرحالة والقناصلة والمبعوثين، حيث تبرز أهميته في أنه يعكس وجهة نظرهم وأرائهم بما له وعليه، ففي كتابتهم شهادات، وأوصاف دقيقة، وإحصائيات، وتحاليل لأحداث مهمة، وتقارير لأشخاص، قد يعود إليها الباحث و مطالعتها لتفسير وفهم سلوكات ومكونات المجتمع الجزائري آنذاك.

أما الدافع والسبب في إختياري للموضوع أنه لم يتم تناوله من هذه الزاوية حسب علمي وحسب رأي الأستاذ المشرف على الرسالة، الى جانب أنه وجد هوى في نفسي التي تميل الى دراسة التاريخ الثقافي والإجتماعي .

فضلا عن الرغبة في المساهمة ولو بشكل بسيط في تسليط الضوء على الموروث الثقافي بالجزائر العثمانية، وبالتالي إنتاج معرفة أكاديمية جديدة .

ومما زاد في إندفاعي نحو دراسة الموضوع تباين الآراء والتحليلات والتفسيرات بين المؤرخين، للمعطيات والحوادث التاريخية المتعلقة بالإرث الثقافي وخاصة بين المؤرخين الذين يرون أن الوجود العثماني نقمة على الجزائر وبين دعاة أن لولا النجدة العثمانية لإستمر الإحتلال الإسباني للجزائر الى أمد طويل .

إن هذا البحث يشكل فرصة لخوض غمار الكتابة التاريخية وإستيعاب قواعدها ومناهجها، فضلا عن التعرف والإطلاع بشكل أوسع على الدراسات في التاريخ الوطني خلال هذه الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر العزيزة .

لكل بحث مجموعة أهداف، يحاول من خلالها الباحث الوصول الى مجموعة حقائق تاريخية ، من أجل بناء تصور متكامل حول أهم ما أنتجته قريحة الجزائري في ظل الوجود العثماني بالجزائر، تتمثل هذه الحقائق في ذلك الإنتاج المادي كتشييد المدن و المباني وكتابات العلمية...، واللامادي ومتمثل في العادات والتقاليد الممارسة يوميا ، بالإضافة الى مدى تمازج الفكر العثماني التركي بالفكر المحلي الجزائري.

في الوقت نفسه نهدف من وراءِ إنجاز هذه الرسالة هو إثارة تساؤلات من شأنها أن تكون محل بحث لدراسات أخرى أعمق وأدق، فضلا على أنها التجربة الأولى في إكتساب أدوات وخبرة البحث التاريخي وفق منهج علمي، من أجل إنتاج أحسن في المستقبل إن شاء الله في مجال الكتابة التاريخية . ومن أجل الوصول لهذا الهدف أو على الأقل الإقتراب منه وضعت الإشكالية الرئيسية التالية، مرفوقة بمجموعة تساؤلات فرعية نحاول من خلالها معالجة الموضوع من مختلف جوانبه .

و ما أثار إنتبهي في كل ما قرأته الى حد الآن في مسار خطوات هذا البحث هو العودة الى ما ذكرته آنفا حول قضية إختلاف وجهات النظر في قضية الوجود العثماني بالجزائر بين المؤرخين فمنهم من يشيد بالوجود العثماني بالجزائر وله حجته في ذلك، ومنهم من يذم هذا الوجود ويعتبره إحتلال لبلادنا. بالإضافة الى مدى التأثر والتأثير بين الطرفين و إنعكاسه على الحياة الاجتماعية والثقافية على السواء. وعليه الإشكال الرئيسي المطروح هو:

1- هل الجود العثماني بالجزائر ضرورة حتمية أم سيطرة أجنبية على الجزائر ما بين القرنين 16- 19 م ؟ وما هي أهم القوائم المشتركة بين عملية التأثير والتأثر بين الفئتين، الفئة العثمانية الوافدة وفئة الأهالي في مختلف جوانب الحياة الإجتماعية والثقافية ؟

وينجرعن هذا الأشكال مجموعة من التساؤلات الفرعية :

1-1 ما هي أهم تداعيات الوجود العثماني بالجزائر ؟
2-1 ما هي أهم العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية بوجود هذه الفئة وغيرها ؟
3-1 ما هي الأسباب والدوافع في بناء الموروث الثقافي العثماني بالجزائر؟

1-4 فيما يتمثل أهم الإنتاج المادي واللامادي من وراء هذا التفاعل الإجتماعي ؟
1-5 ومن هي أهم المؤسسات التي حملت لواء نشر الثقافة العلمية والأدبية خلال هذه الفترة؟

من خلال هذه المجموعة من التساؤلات تستوقفنا فرضيات لا بد من البحث في ثناياها من أجل الوصول الى الحقيقة التاريخية المرجوة وتمثل في :

1- الوجود العثماني بالجزائر كان نتيجة تفكك الوحدة الإسلامية بالمغرب الإسلامي وحمل لواء الخلافة ومواصلة الجهاد ضد الحملة الصليبية الأوربية في مطلع القرن 15م

2- بقاء الوجود العثماني بالجزائر لمدة تفوق الثلاثة قرون من الزمن، نتج عنه تفاعل إجتماعي وثقافي بين الوافدين العثمانيين والسكان المحليين

3- الطبيعة الجزائرية في تقبل الأخر بالرغم من الإختلاف المذهبي بين السلطة الوافدة (الأحناف) والسكان المحليين(المالكيين)، نتج عنه إستقرار إجتماعي وثراء ثقافي في فترة وجود العثمانيين بالجزائر، بغض النظر على الصراع السياسي والعسكري العثماني على السلطة.

وفي ما يتعلق بمناهج البحث المتبعة في الدراسة، تنوعت بتنوع مضامين الفصول وما تتطلبه الأفكار، وطبيعة الدراسة التاريخية، وتراوحت ما بين المنهج الوصفي في التعريف بالسلطة العثمانية بالجزائر ومراحل وجودها، الى المنهج المقارن بسبب إختلاف الرؤى بين الكُتاب خلال تلك الفترة أو الكُتاب المحدثين، وِفق رؤية منطقية تربط الأسباب بالنتائج، وحتما سنستخدم المنهج التحليلي، لما يقتضيه الموضوع من تفكيك وتركيب الأحداث التاريخية المُؤَسَسَةُ لها .

إن الإطار الزمني للبحث حددته طبيعة الموضوع وطول الفترة العثمانية بالجزائر والذي ميزَ حياتها الثقافية، لأنها جزء من طبائع البشر منها الطبيعي والآخر المكتسب ، وبالتالي كان التركيز على بعض المحطات التاريخية التي عرف فيها المجتمع تطورا في المعارف والعلوم بالرغم الصراع السياسي على رأس السلطة من أجل المناصب الحكومية .

هذا الحراك الإجتماعي تولد عنه تفاعل في العادات والتقاليد منذ العهد الأول من الوجود العثماني بالجزائر وعليه فّإن الحد الزمني الأدنى للبحث هو بداية 1519 وإمتد الى غاية الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، مع التركيز أكثر من حيث الإطار المكاني على المدن الكبرى كمدينة الجزائر، لأن معظم الكتابات التي إطلعت عليها ركزت على دار السلطان، وخاصة الكتابات الأوربية منها.

قسمت موضوع البحث إلى مدخل وأربع فصول، كل فصل يحتوي على مباحث، بالإضافة الى مقدمة وخاتمة محاولا هيكلة الموضوع في قالب علمي أكاديمي.

المدخل تناولت فيه بالتفصيل تداعيات الوجود العثماني بالجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي بمبحثين هما الأوضاع السياسية والأوضاع الإجتماعية قبيل وأثناء الوجود العثماني ما بين القرنين 16م-19م، مُعرجا على نظام الحكم والإدارة وأهم الفئات الإجتماعية في الجزائر العثمانية .

أما الفصل الأول تناولت فيه أثر التواجد الأندلسي والجاليات الأخرى على الحياة الثقافية خلال العهد العثماني، مع إبراز أهم المدن في هذا التفاعل الثقافي، بالإضافة الى الشكل العام للحياة الثقافية للجزائريين في ظل الدور الذي لعبته كل من الزوايا الرباط.

أما الفصل الثاني وهو أطول فصل من حيث المادة المعرفية التاريخية ويتضمن صلب الموضوع من مظاهر التأثير والتأثر للموروث المادي خلال الفترة العثمانية بالجزائر وفصلناه في خمسة مباحث، التعريف بمصطلح الموروث المادي، الموروث العمراني، الإنتاج الفكري والتعليمي، الإنتاج الأدبي واللغوي، والإنتاج الفني والمتمثل في الزخرفة والخط.

أما الفصل الثالث ولا يقل أهمية من الفصل السابق فهو يتعلق بمظاهر التأثير والتأثر للموروث اللامادي وأدرجت فيه ثمانية مباحث، التعريف بمصطلح الموروث اللامادي، العادات والتقاليد المتعلقة بالغذاء واللباس، العادات والتقاليد المتعلقة بالحياة الدينية والمختلف المناسبات والحفلات، المرأة و تقاليد الزواج، عادات الطلاق والمأتم، عادات إرتياد الحمامات والمقاهي، إلى جانب عادات إقتصادية وأخرى تخص الحياة اليومية.

الفصل الرابع المتمثل في المؤسسات الثقافية وتأثيرها الحضاري بالجزائر العثمانية، وأدرجت فيه خمس مباحث، أهم مؤسسات الأوقاف، أهم المساجد ودورها في التدريس والإجازة العلمية ، الزوايا و الرباط ودورها في التدريس والجهاد، أهم المراكز التعليمية بما فيها المَكْتَبَاتُ والمدارس العليا .

حاولت من خلال هذه الفصول والمباحث مسح كل ما تعلق بالإرث الثقافي الجزائري العثماني مع مراعاة عَمَلِيَةُ التأثير والتأثر بين الوافدين العثمانيين مع الفئات المحلية وتوضيح أسباب ودوافع تقبل كل طرف ثقافات الأخر.

إعتمدت في إنجار موضوع الموروث الثقافي للجزائر العثمانية على مجموعة مصادر ومراجع محلية وأجنبية، كما استعنت ببعض الدراسات الأكاديمية، والتي إعتمدت هي الأخرى على مصادر أولية وأساسية. ولعل أهم ملاحظة تم تسجيلها خلال فترة التنقيب عن المصادر وإنجاز البحث هو قلة الكتابات باللغة العربية حول موضوع الثقافة والمثقفة في العهد العثماني، خاصة في مواضيع الحركة العلمية والعادات والتقاليد، حيث ما وقع بينا أيدينا كان معظمه في الفقه والسّير وعلوم اللغة وهذا ما يفسر أن عهد العثمانيين كان عهد إجترار لكتابات سابقة ، أما المصادر الأجنبية فهي في غالبيتها تتناول الموضوع لقوة في حركية الإكتشاف وتسجيل يوميات الرحلة والبعثات الدبلوماسية التي شدت الرِّحال الى الجزائر خلال تلك الفترة من تاريخ الجزائر، في إطار الدراسات الأوربية الأنتروبولوجية، بهدف الإستكشاف أو الجوسسة.

ومن أهم مصادر ومراجع العربية والمعّربة التي تناولت الموضوع، أذكر منها على سبيل المثال ولا الحصر:

- كتاب « التحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية»، "لمحمد بن ميمون الجزائري"، تضمن الكتاب توطئة ومقدمة متبوعة بنسب صاحب المخطوط وثقافته، وقُسم محتوى الكتاب الى أربعة فصول: يتناول الفصل الأول التنظيم الإداري في الجزائر على عهد العثمانيين ومنه حكمهم للجزائر والتقسيم الإداري إبان عصره، مع كيفية جمع الضرائب. الفصل الثاني وتناول فيه المحقق للمخطوط ثقافة عصر إبن ميمون ، منه سرد المراكز الثقافية، والنِّتاج الثقافي، وأهم رجال الثقافة، الفصل الثالث تناول فيه دراسة تحليلية للكتاب بما فيه من منهج التأليف وأسلوب إبن ميمون في الكتابة التاريخية، وختم الكتاب بمجموعة مصادر ومراجع، من أشعار قيلت عن مدينة وهران وتأسيسها والدول التي حكمت فيها ، وترجمة للشيخ عبد الرحمان الثعالبي.

ومن فوائد هذا الكتاب بالنسبة الرسالة التي نحن في إنجازها :

- كان من بين المصادر الذي خدمت مدخل الرسالة بتوضيح الأوضاع السياسية، وتطور أهم الأحداث السياسية خلال العهد العثماني بالجزائر

- التعريف بنسب المؤلف وثقافة عصره

- معرفة أهم رجالات الثقافة والمركز الثقافية خلال فترة العثمانيين في الجزائر

- معرفة النِّتاج الفكري والمتمثل في الإرث الأدبي والعلمي والفقهي لبعض العلماء الذين عاصروا محمد بكداش

- كتاب «عجائب الأسفار ولطائف الأخبار » وما يسمى أيضا« غريب الأخبار عمّا كان في وهران والأندلس مع الكفار» للشيخ (أبوراس الناصري) المتوفى سن 1823م، ويتعلق هذا الكتاب بوضع وهران و الثغور المغاربة في مرحلة التحرش الإسباني للجزائر والذي سبب إضطرابا كبيرا في الحياة الإجتماعية في غلب المدن التي تم إخضاعها للإسبان قَسم المحقق الكتاب الى قسمين: الجزء الأول خصصه للدراسة ، تناول فيه مولد أبي راس الناصري، ووفاته، إضافة الى شيوخه، ورحلاته العلمية الى الأقطار العربية والإسلامية، وإلى المناصب و الوظائف التي تقلدها آنذاك، كما تطرق إلى تلامذته وأثاره العلمية (المؤلفات). بالإضافة إلى الأوضاع السياسية المتوترة، بسبب ثورة درقاوى (1219هـ/1804م)، كما تحدث على الجانب الإداري مركزا على دار السلطان وكل من بيلك الشرق، الغرب، والتطري. أما الجزء الثاني خصص لدراسة المخطوط

الفائدة من هذا الكتاب هو تطرقه بالدراسة أيضا للحياة العلمية والثقافية وهو الجانب الذي يخصنا في دراستنا ، كما تناول فتح وهران، والمناسبة الذي ألف فيها المخطوط، أما الجزء الثاني وصف فيه المخطوط من حيث الأسلوب ، طريقة الكتابة ، ومنهج المؤلف.

- كتاب «المرآة» لصاحبه "حمدان بن عثمان خوجة"، ويضم الكتاب على إثنى عشرة فصل، تتنوع مواضعها من أغراض سياسية وعسكرية وإجتماعية قد إستعنا بما يخدم الموضوع كالفصل الرابع والخامس الذي يسرد فيه طبيعة سكان سهول متيجة بطبائعهم وعاداتهم، والفصل السادس الذي يتكلم عن سكان الجبهة الغربية ومميزات مُدنها.

الفصل الثامن يبين طبيعة حكومة وتنظيماتها وأصلها، الفصل العاشر حول الداي وحكومته ومختلف العادات، ومن خلال هذا الكتاب إتضحت لنا صورة للوضعية الكارثية للجزائر في أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، بإعتباره عايش الأحداث

بالإضافة المصادر أخرى ، كمذكرات أحمد الشريف الزهار (1754م – 1830م)، نقيب الأشراف، حيث سّجل أحداث عصره وتاريخ الجزائر في ما سبق لمكانته الإجتماعية المرموقة وسهولته للوصول إلى الأرشيف لطبيعة عمله في الإدارة العثمانية بالجزائر.

وكتاب لِوليام شالر(1816م - 1824م) «مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر» والعنوان الأصلي للكتاب كما ورد(Sketches of Algiers) وبالفرنسية(esquisse l’état d’Alger)، حيث قسم القنصل الأمريكي كتابه إلى مقدمة وأربعة فصول، في المقدمة ذكر فيها تعداد الكتاب وأعتبر كتابه مكملا لكتاب "الدكتورشو" كما بين فيه أين تكمن قوة الأسطول الجزائري، وَنَّوَهَ بقائمة الكلمات الأمازيغية وترجمها إلى الإنجليزية وقال أنها في غاية

الأهمية في الدراسات اللسانيات، الفصل لأول: يخص حدود وإمتداد الجزائر، والشكل العام للمظهر الطبيعي ، الفصل الثاني يخص الشكل الحكومة والمؤسسات السياسية ، الفصل الثالث طبوغرافية الأرض وتحصيناتها ، وثروة السكان بالإضافة ما يخدم البحث من تعليم الأطفال، وحسن عادات المسلمين، وطريقة لباسهم وغدائهم، ووصف اليهود وأحوال مدينة الجزائر وغرها... أما الفصل الرابع يخص مختلف القبائل التي تسكن الإيالة من حيث اللغة والدين وسلوكهم وشخصيتهم، الفصل الخامس أوضح فيه بشكل مفصل نشاط الأسطول البحري الجزائري مابين 1810م-1825م ، الفصل السادس أوضح فيه مصير المحتمل لهذا البلد الجميل وكأنه تنبأ أو متواطأ في إحتلال بلد أوروبي للجزائر، الفصل السابع هو عبارة عن ملخص ليوميات القنصل الأمريكي وليام شالر، وفي نهاية وضع ملحقا يتضمن خريطة الجزائر وبعض المراسلات المختلفة كالرسائل المتبادلة بن الداي حسين واللورد إكسموث ومن خلال تصفحي هذا الكتاب شعرت بالنوايا الخبيثة لهذا القنصل وخاصة الروح الصليبية كما بينها بشكل واضح في الفصل السادس .

-وكتاب"شوفاليه كورين"« الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر»(1510م-1541م)، ومذكرات أسير الداي كاتكارت، قنصل أمريكا في المغرب (جيمس لندرا كاتكارت)،...إستفدنا من هذه المصادر لمعايشة أصحابها الحدث وخاصة في سّرد العادات والتقاليد الجزائرية مع أخد الحيطة في تناول المعلومات.

أما المراجع المعّربة تنوعت بتنوع فصول الرسالة ومن أهمها :ثلاثة سنوات في شمال غرب إفريقيا(هاينريش فون مالتسان)، الجزائر في عهد رياس البحر(وليام سبنسر)، الجزائرفي القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي، (ميشيل آبار)، الجزائر وأوربا (لجون وولف)، كل هذه الكتابات كانت شهادة لأصحابها بإعتبارهم عايشوا المجتمع الجزائري وسجلوا يومياتهم من حيث العادات والتقاليد ، حيث أفدتنا في انجاز هذه الرسالة .

وفي ما يخص المراجع العربية كان كتاب تاريخ الجزائر الثقافي ما بين القرن (16-20)، الجزء الأول والثاني، لأبي القاسم سعد الله، أهم مرجع الذي ساعدنا كثيرا في تلمس الطريق الصحيح لإنجاز هذا البحث بإعتبار مؤلفه مختص في الحياة الثقافية للعهد العثماني، الى جانب كتاب دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني- لناصر الدين سعيدوني، أوراق في تاريخ الجزائر العهد العثماني حنيفي هلايلي ،المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني،أرزقي شويتام.

لاشك أن المراجع الأجنبية دعمت هي الأخرى الموضوع بشكل كبير بإعتبارها قريبة زمنيا لشهادات حية للحياة الإجتماعية والثقافية خلال العهد العثماني وعليه إعتمدت على مجموعة وافية منها لأدعم الموضوع، ومن أهم هذه المراجع:

- كتاب «تونس والجزائر في القرن 18م »(la Tunisie et Alger au XIIIème siècle) لصاحبه (Venture De .Paradis)، الذي يحتوى على مجموعة من التقارير تتضمن معلومات سياسية إجتماعية و إقتصادية، كما إحتوى الكتاب على تفاصيل تاريخية تخدم الجانب الثقافي للرسالة

- كما إستعنت بكتاب (Fray Diego De Haedo) الموسوم بعنوان«طبوغرافية وتاريخ الجزائر العام »(Topographie et histoire générale d'Alger) المترجم من الإسبانية الى الفرنسية من طرف(Dr Monnerau et Adrien Berbrugger) قد أفادني في وصف المجتمع الجزائري ومدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر الى جانب بعض الموضوعات التي خدمت موضوع الرسالة .

- كما إستعنت بكتاب هام لصاحبه(Eugène Daumas) الموسوم بعنوان«الموريين وعاداتهم الجزائرية »(Mœurs et coutumes de l'Algérie) بإعتباره كان مستشار الدولة الفرنسية والمدير العام المكلف بالأعمال في الجزائر حيث يصف في هذا الكتاب أوضاع وحياة السكان المقيمين في الصحراء وطبائعهم.

- كما إستعنت بكتاب (Laugier De Tassy) الموسوم بعنوان « تاريخ مملكة الجزائر»(Histoire du royaume d'Alger) يصف فيه وضع الحكومة التركية بالجزائر، والقوة البحرية وعائِداتها، والشرطة والسياسة والوضعية الإقتصادية، الكتاب مقسم الى جزأين الأول يخص بكل ما يتعلق بمملكة الجزائر أما الجزء الثاني يخص بالدراسة مدينة الجزائر ومن خلال الجزء الثاني أخذت ما يهم الموضوع من عادات وتقاليد الجزائريين في حياتهم اليومية.

أما من أهم المراجع التاريخية للمحدثين باللغة الفرنسية كانت عديدة ومتنوعة حسب ما تخدم الموضوع منها كتاب لصاحبه مولاي بلحميسي بعنوان« تاريخ مازونة - أصولها الى يومنا هذا-» (Histoire de Mazouna, Des origines à nos jours) بالإضافة الى كتابه الثاني بعنوان«تاريخ مستغانم الأصول والإستعمار الفرنسي»(Histoire de Mostaganem, des origines à l'occupation française)، كما تعرضت الى كتاب بعنوان «المساجد أثناء العهد العثماني» (Les Mosquée de la période turque a Alger) لصاحبه محمد الدكالي وهي دراسة أثرية لمساجد الجزائر، إلى جانب كتاب محمد بن شنب بعنوان« الكلمات التركية والفارسية المستعملة في المحادثة الجزائرية »(Mot Turks et persans conservés dans le parler algérien) وهو عبارة عن شبه معجم مرتب فيه مختلف الكلمات العثمانية التي تستعمل في الجزائر في سياق الكلام اليومي وهي مبوبة ومرتبة حسب الأحرف الأبجدية.

كما إستعنت بغيرها من الكتب الأخرى ومنها الرسائل الجامعية والمجالات والندوات التي تخدم الموضوع منها:المجلة التاريخية المغربية موضوع لصاحبه(كاردياك لوي) بعنوان«المورسكيون الأندلسيون والمسيحيون- المجادلة والجدلية-» ترجمة عبد الجليل التميمي ومواضيع من المجلة الإفريقية، وكذلك رسالة دكتوراه للمرحومة الغطاس عائشة الموسومة بعنوان «الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر» (1700-1830م) وندوة لعرج محمود بعنوان «مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر» من خلال الندوة العلمية الرابعة، القاهرة،2002.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتني بإعتباري كمبتدأ في حقل البحث الأكاديمي، يمكن تحديدها في ما يلي:

- صعوبة جمع كل هذه المصادر و المراجع التي وقعت بين أيدينا فكان لابد من توفير الوقت والمال، وبطبيعة كموظف والباحث شكل لنا ذلك بعض الصعبوبات .

- الدراسات المتعلقة بالعهد العثماني صعبة ومعقدة من حيث المنهج وشحيحة في بعض الأحيان، لذلك يحتاج الباحث إلى وقت طويل لإكتشاف المادة الخبرية التاريخية المطلوبة .

- صعوبة تحصيل المادة التاريخية من دور المكتبات إما لسبب أو أخر وإن وجد تصادف صعوبة النسخ لأن آلة النسخ معطلة أو ممنوع التصوير. لكن حاولنا تعويض هذا النقص ببعض المواقع التاريخية الهامة كموقع(Google Books)أوموقع(www.algerie-ancienne.com).

- صعوبة الترجمة التي أخذت منا وقتا طويلا، بسبب قدم اللغة المستعملة، حيث في بعض الأحيان أتجاهل بعض الفقرات التي لا أستطيع فهمها خوفا في السقوط في الأخطاء أو الحذر من تناول المعلومة التاريخية الأجنبية .

- معظم المصادر التي إطلعت عليها ركزت على الجانب السياسي والإجتماعي والإقتصادي مع ذكر بعض الإحاءات حول الجانب الثقافي .

- معظم المصادر التي تناولتها تركز على مدينة الجزائر في مختلف جوانب الحياة السياسية والإقتصادية الإجتماعية خاصة كتابات الرحالة والقنا صلة والمكتشفين الأجانب .

- نظرا لطول الفترة المدروسة والذي حدد فيها الإطار الزمني من(1519م-1830م) ، شكل هذا صعوبة آخرى في جمع المادة العلمية، والتي يجب أن تغطي كل هيكلة البحث مع الملاحظة أن في (الفصل الثالث والرابع في الموروث المادي واللامادي) إعتمدنا على عصر الدايات ما بين (1671م - 1830م) نموذجا لهذه الدراسة .

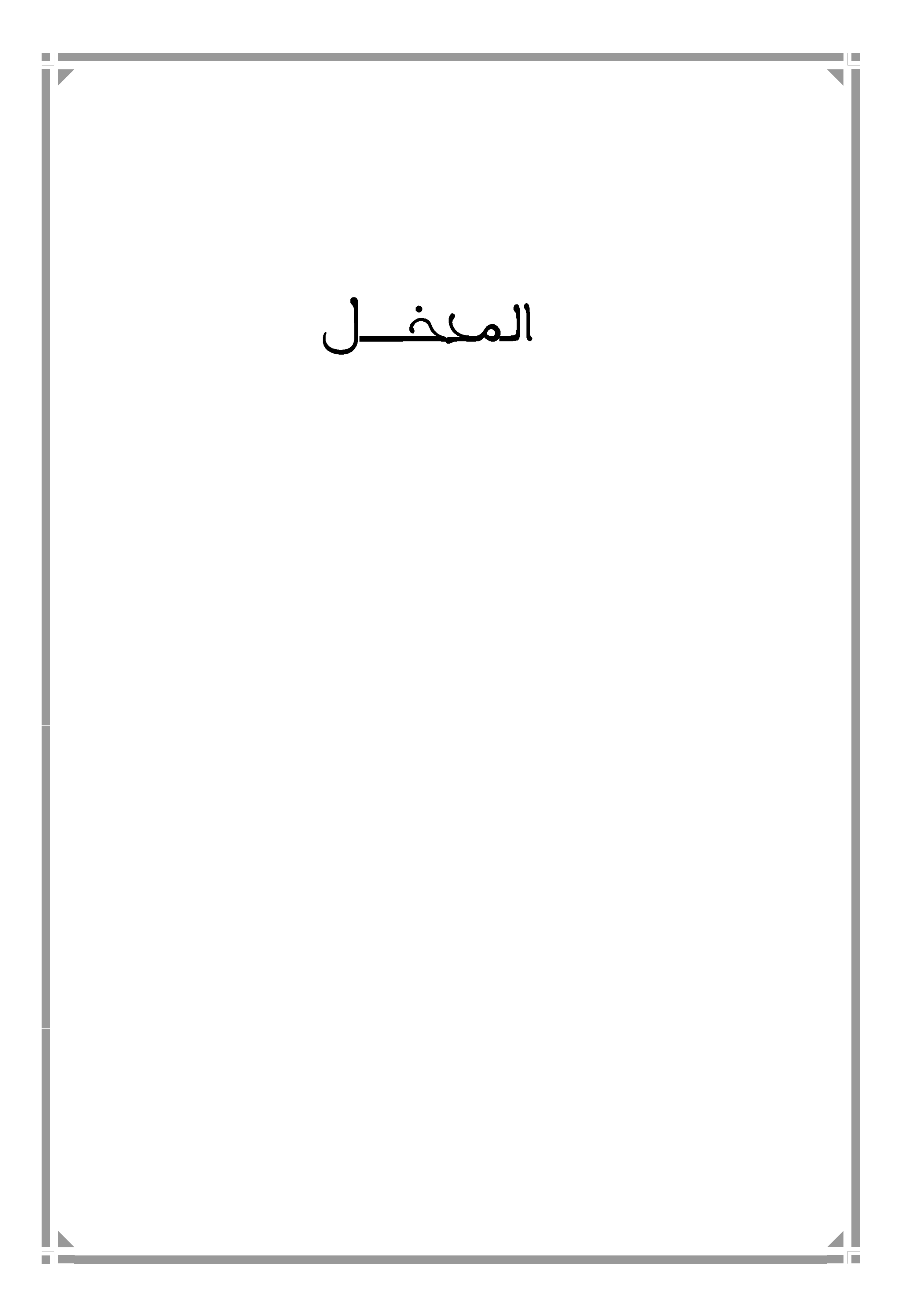
- نقص الكتابات الخاصة بموضوع الدراسة حسب ما إطلعنا عليه شكل لنا صعوبة،

حيث لم أعثر على مصاد ومراجع تناولت الموضوع باللغة العربية، وإن وجدت فغالبيتها تتناول موضوعات العلوم الشرعية كالفقه والحديث ، ومن المؤرخين الذين إعتمدنا عليه كثيرا، أبو القاسم سعد الله رحمه الله، بإعتباره كان متخصصا في الدراسات الثقافية للوجود العثماني بالجزائر.

وبالرغم من هذه الصعوبات حاولت أن أبدل جهدي في إنجاز هذه الرسالة والذي أرجو أنني قد وفقت في ذلك .

منصور درقاوي

والله ولي التوفيق



المدخل



1- تداعيات الوجود العثماني بالجزائر في بداية القرن 16م

لم تكن الحدود السياسية الجزائرية في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي مضبوطة وثابتة ، وكلمة الجزائر عندئذ لم تطلق إلا على مدينة ساحلية صغيرة قليلة الأهمية ، ولم تكن تعني بأي حال من الأحوال (القطر الجزائري) المعروف حاليا ،وحتى عبارة المغرب الأوسط التي أطلقها العرب المسلمين لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر بوضعها الحالي،لأن هذه العبارة وأمثالها (المغرب الأدنى والمغرب الأقصى) كانت غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب العربي ، ولم تصبح معروفة بوضعها الحالي إلا عند مجيء العثمانيين.**(1)**إن هذه المدينة الصغيرة التي وقعت على حدود كل من الحفصيين والزيانيين ، لم تكن في مستوى نجاح مدينة تونس تجاريا ، كما لم تكن في شهرة مدينة تلمسان ثقافيا، ولكن كانت ميناء مقصودا للسفن من كل موانئ البحر الأبيض المتوسط، وتشاطر موانئ أوربا الجنوبية في فوائدها من التجارة البحرية ،ويذكر وليام سبنسر «تدلنا سجلات كاتالان(Registre catalan) من تلك الفترة مثلا على أن هناك بين(1308م و1331 م) إحدى وأربعين سفينة قدمت من **الموانئ الأرغونية(2)** ورست في ميناء جزر مدينة الجزائر»**(3)** .

❁ تعرض الجزائر في مطلع القرن السادس عشر الى تحرش إسباني ، كاد أن يعيد نفس المأساة التي عاشتها الأندلس، فكانت مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر وفي مواجهة الإعتداءات الأوربية ، على رأسها إسبانيا ، فرنسا وإنجلترا، حيث تكالبت أساطيلها على الجزائر

❁ الروح الصليبية التي تحملها هذه الدول في طياتها، و حقدها على الإسلام.

❁ إنها الفترة الزمنية التي حافظت فيها الجزائر على قيمها الحضارية، وتراثها ومقوماتها الإسلامية والعربية و عمقت جذورها ورسخت دعائمها أثناء الوجود العثماني بالجزائر**(4)**

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي مابين القرن (16-20)، الجزء1، ش. و. ن. ت، سنة 1981، الجزائر، ص 28

2- الموانئ الأرغونية: تقع الموانئ في نفس الإقليم (أراغون)، شمال شرق إسبانية ،حيث يتمتع هذا الإقليم بموقع إستراتيجي،على مساحة تقدر بـ 1061 كلم^2، كما يشارك هذا الإقليم في الحدود مع فرنسا،يتألف من ثلاثة محافظات سرقوسطة، ويسكا وتروال، يتكلم سكانها اللغة الإسبانية (الكاستيانو)، بالإضفافة الى الكتالان، وأقلية من القرى تتكلم الأراغونية القديمة ، أنظر منتدى نبراس المعرفة على الموقع www.forum.educdz.com بتاريخ 2015/03/01

3-وليم سبنسر ، الجزائر في عهد "رياس" البحر ، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ،سنة 2007، الجزائر ،ص 23

4-ناصر الدين سعيدوني ، الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، المجلة الثقافة الجزائرية، العدد 45 ، سنة 1978، ص .ص 25. 45



❁إنها فترة إكتمل فيها كيان الشعب الجزائري وعرفت فيها الجزائر مقومات الدولة الخاصة، بعد أن ظلت الهوية الجزائرية إقليمية، غير واضحة المعالم بإنقسام الدولة الموحدين سنة 1261 م

❁ هذا الكيان إختار عاصمة قارة ورسم حدودا معينة ، ووضع أجهزة إدارية وسن أنظمة إقتصادية، وأقّر أوضاعها الإجتماعية ، وإنتهج علاقات سياسية خارجية تتلاءم وأوضاع البلاد، مع التأكيد على الروابط الوثيقة مع البلاد العربية والبقاء ضمن الوحدة الحضارية والفكرية للإمبراطورية العثمانية الشاسعة .»(1)

2- الأوضاع السياسية العامة قبيل وأثناء الوجود العثماني بالجزائر :

مند إنهزام الموحدين في معركة حصن العقاب سنة 1212 أمام القوات النصرانية بدأت تشهد منطقة المغرب إمارات مستقلة، فتشكلت الأمارة الحفصية في المغرب الأدنى وتلا ذلك اقتطاعية بني عبد الواد (بنو زيان) المناطق الوسطى من أراضي الموحدين مشكلين إمارة جديدة عاصمتها تلمسان، ثم تحركت قبائل بني مرين لتستولي على المغرب الأقصى و عاصمتها مراكش.

وبعد إنهيار الدولة الموحدية في الأندلس، والتي لم تّقوى هذه الأخيرة على مواجهة جيوش الإسبان، لم تصمد منها سوى مملكة بني الأحمر في غرناطة و ظلت قائمة حتى سنة 897هـ/ 1492م ، تّم الاستيلاء عليها بعد توحيد مملكة أراغون وقشتالة بزواج مَلَكِي لكل من "فرديناند" و "إيزبيلا" في وحدة صليبية كاثوليكية للقضاء على آخر معقل إسلامي شبه الجزيرة الأبيرية. وعقب سقوط للموحدين نشأت صراعات عسكرية حادة بين إمارات المغرب، فكانت الجزائر مسرحا لها أكثر من تونس والمغرب الأقصى لموقعها الجغرافي من جهة وضعف السلطة المركزية لبني زيان من جهة أخرى . (2)

كما تطورت الأحداث ما بين القرن الثالث عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي، بحيث توسعت الهوة بين هذه الدويلات في إطارها السياسي والجغرافي، بسبب حروبها،

1-ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني- م. و. ك ،السنة 1984 ، ص ص 29. 30

2-صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة ، الطبعة الثالثة ، سنة 2007 ، ص9

عبر الحدود، تارة تتوسع الدولة الحفصية في شرق الجزائر وتارة أخرى تتوسع الدولة المرينية على غربها، هذا التفكك السياسي وصفه بعض المؤرخين "بالفسيفساء السياسية" والبعض الآخر أطلق عليه "الفسيفساء الإقطاعية "ممثلة بالعهد القديم ، مكونة وحدات سياسية "كونفدرالية قبلية"، نجدها في الونشريس، الحضنة، الأوراس، النمامشة، وتلمسان هذه هي الوضعية التقريبية التي وجد الأتراك الجزائر عليها حين وصولهم إليها (1)

أما الصورة التي وُجّد عليه الجنوب الجزائري لم يكن أحسن حالا من الشمال، فهو الآخر عرف إمارات مستقلة طيلة الوجود التركي بالجزائر، كإمارة بني جلاّب التي أسسها 'الحاج سليمان المريني الجلابي' (2) وعاصمتها توقرت أثناء القرن الرابع عشر والخامس عشر الميــلادي، و قد وصفــها "الحسن الوزان الفاسي" وصفا دقيقا بعد زيارته لها .(3)

يقول الحسن الوزان « نفس الوضعية كانت تعيشها المدن الصحراوية الأخرى مثل ورقلة، وتماسين، غرداية وفقيق معتمدة على التجارة بما تحمله القوافل من بلاد البربر وما تستبدله من منتوجات مع دول الجنوب الصحراء كبلاد السودان، في الوقت نفسه عاشت حياة الإستقلال عن الدولة الحفصية أو الزيانية» .(4)

لم تكن الوضعية السياسية تختلف في الشمال عن مدن الجنوب، فهذه بجاية عرفت الإستقلال عن السلطة الحفصية و الزيانية بقيادة السلطان "أبو العباس عبد العزيز"، حيث أنه ضم الى إمارته كل من الحضنة و قسنطينة، بقي في تدعيم سلطته و توسيع نفوده حتى

1-صالح عباد ، المرجع السابق ص 9

2-Charles Féraud(L), Les ben-djallalb, sultans de Touggourt, revue africaine, n°23, 1879, pp 167-169

3-حسن محمد الوزان الفاسي (ليون الأفريقي)، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، الطبعة 2، دار المغرب، الجزء2 ، بيروت ، سنة 1983 ، ص .ص 135- 136

4-صالح عباد، المرجع السابق ، ص 10



خبر نزول الإسبان ببجاية سنة 1510م (1). أما جيجل فكانت مدينة مستقلة قبل أن يسيطر عليها الجنويون(الإطاليون)، بالرغم من محاولة كل من ملوك بجاية وتونس الإستلاء عليها لأن كان يستحيل حصارها، غير أن الجنويين أقاموا بها نفوذا تجاريا منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، أخذ هذا النفوذ التجاري يزداد بعد أن أقاموا مؤسسات تجارية ،وشيّدوا حصنا لضمان أمنهم .

و في سنة 1513م بعد أن سّيطر الأسبان على بجاية بدعوة مطاردة القراصنة أرسل الجنويون أسطولا بقيادة "أندري دوريا" ليستولي على المدينة ، مخربا جزءا منها ، لكن لم يدم المقام بهم في جيجل حتى طردهم الأتراك منها في السنة الموالية .(2)

أما مدينة القل كانت شبه مستقلة كما يذكر "الوزان الفاسى"، تُواجه والي قسنطينة الحفصي، بيحث كان يعتبرها منفذ تجاري هام إلى جانب سطورة وسكيكدة المواجهة للبحر المتوسط ، أما عنابة فكانت لا تزال تحت السيطرة التامة للحفصيين .

و بالرغم من تبعية مدينة الجزائر لمملكة بني زيان ، فإن سكانها إنحازوا الى ملك بجاية بعدما أوجسوا منه خيفة من جهة وعدم قدرة ملك تلمسان على إنجادهم من التحرشات الأجنبية من جهة أخرى ، فبياعوه وأدوا له الخراج ، لكن بقوا قريبا متحررين.(3)

أما عن مدينة وهران يذكر الوزان:« كان الوهرانيون أعداء لملك تلمسان ، فلم يقبلوا منه أي والي من ولآته عدا أمينا للمال وقابضا يستلم مداخيل الميناء، وكانوا ينتخبون رئيسا بمجلسهم ينظر في القضايا المدنية و الجزائية » .(4)

إن الجبهة الغربية لمدينة وهران كانت محل أطماع البرتغاليين فأحتلوا المرسى الكبير قبل الإسبان ما بين سنة (1471-1477م) لكنهم خرجوا منه نهائيا، تاركين مؤسسة تجاربة بالمدينة ، بعد احتلال الإسبان مدينة مليلية و غساسة من التراب المغربي، ثم توقفت التوسعات الإسبانية لعدة أسباب:

1-L .Charles Féraud, conquête de bougie, par les espagnols, d'après un manuscrit, revue africaine, N° 12, 1868, pp 248-249

2-حسن محمد الوزان، المرجع السابق ص 30

3-صالح عباد، المرجع السابق ،ص ص 10- 11

4- -صالح عباد، نفسه ، ص 11



*نشوب صراع عائلي داخل الأسرة القشتالية على الحكم بعد وفاة 'إيزبلا'

*جذب القارة الأمريكية المكتشفة حديثا للمغامرين والرحالة والباحثين عن الثروة والسلطة من النبلاء والجنود.

*إهتمام مملكة "أراغون" بإيطاليا والنزاع في أوروبا أكثر من اهتمامهم بالمغرب**(1)**.

كما أن التحرش الإسباني لم يستأنف على سواحل المغرب الا بعد ثمانية سنوات ، بإحتلال مدينة مرسى الكبير بإعتباره ميناء هاما ترسوا فيه مئات المراكب والسفن الحربية بكل سهولة ، ومأمن من كل عاصفة وإعصار .**(2)** مع العلم أن الإسبان لم يكن مخططهم إحتلال "وهران" و"لامرسى الكبير" ، بل "هنين" والأراضي الواقعة غربها ، ثم "دلس" لم يقع ذلك لإن ملك "ميورقة" كانت له علاقة طيبة مع بعض الأهالي لدلس هذه المدينة الواقعة شرق الجزائر، فعدل الإسبان خيارهم وفضلوا أخيرا مرسى الكبير فسقطت بيدهم يوم 13 سبتمبر1505**(3)**. وبعد تحرير الأتراك سواحل الجزائر من التحرش الإسباني وإنظمامها إلى الى الإمبراطورية العثمانية تطورت الأحداث السياسية ما بين (1515- 1830م) فإنقسمت الى أربعة عصور رئيسية وبالتحديد منذ بداية التنظيم الإداري التركي في الجزائر:

2-1 **عصر البيرلربايات**: ودام تسعة وستون سنة من (1518م-1587م)**(4)**، فكان العصر الذهبي للوجود العثماني العسكري .

2-2 **عصر الباشاوات** (ذوي الثلاث سنوات): ودام إثنين وسبعون سنة من (1587م-1659م) فكان عصر المصلحة الشخصية للباشوات بإعتبارهم معينين من طرف السلطان العثماني لفترة محدودة.

2-3 **عصر الأغوات**: ودام إثني عشرة عاما من (1659م-1671م)وخلال هذه المرحلة كثرت التحرشات والمكائد بين ضباط وقادة الجيش الجزائري من أجل الحصول على هذه المرتبة أو غيرها من الامتيازات والمناصب الحكومية ...ولهذا السبب عرفت هذه المرحلة انتشار الرشوة والفساد والاغتيالات السياسية.

1- جون.ب.وولف، الجزائر وأوربا، ترجمة، أبو القاسم سعد الله ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،سنة 1986،ص 25

2- صالح عباد، المرجع السابق ، ص 27

3-de Sando val (C.X), les inscriptions d'Oran et mers el-Kebir ,revue africain,N°15,1871,p178

4- محمد بن ميمون الجزائري،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ، ش. و, ن, ت ، ط2،الجزائر، سنة 1981 ، ص

1



4-2 **عصرالدايات**: ودام مئة وتسعة وخمسون سنة من (1671م-1830)(1)، إن العصيرين السابقين من الوجود العثماني تميز بالاضطراب، في الوقت نجد حكومتي تونس والمغرب تتمتعان بالاستقرار التام في الداخل، كما إندلعت ثورات داخلية أولها في أعراش القبائل ثم البّدو وربما إمتد لهيبها الى عواصم المدن(2) ويُرجع إبن ميمون أسباب هذه الإضطرابات إلى "سوء معاملة الحكام للرعية، وإغفالهم لشؤونهم الضرورية ، وإنشغالهم بالركض وراء السلطة وحب الإنفراد بالرئاسة، وإهتمامهم بالكراسي والعروش، قد أدى ذلك بهم لقتل جلهم في المناصب، شنقا مرة ، وخنقا تارة ، وذبحا تارة أخرى، ولعل السّبب في قتل هولاء الباشاوات والدايات يعود الى سخط الرعية المظلومة، وإنتقام الجنّود (الإنكشارية)، أما سبب قتل البايات فرجع الى إستحواذ الغيرة المقّيتة على عقول أولئك البايات وإستلاء الحسّد الفتاك على عقولهم ... فرحوا يجزون بهم في السجن وتعذيبهم وقتلهم ثم يصادرون أموالهم، مدعين أنها أموال مختّلسة، جمعت بطريقة لا تمت الى الشرع بأدنى صلة .(3)

وعليه تقول القاعدة الفقهية (الضرورة تبيح المحظورة) في هذه الظروف السياسية المتّسمة بالصراعات الداخلية من جهة وتكالب الخطر الأجنبي من جهة أخرى، لم يكن الوضع الإداري إلا صورة لهذا الوضع السيىء. سنذكر بعجالة التنظيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني بشيء من الإختصار، يذكر "إبن ميمون" أن التنظيمات الإدارية أقيمت أساسا على: **الإدارة المركزية**(4) وكانت تحت حكم الفئة التركية الخالصة الى غاية 1070هـ /1659م، وبتولي فئة الباشاوات عرش الجزائر، بدأ الأجانب التوغل في السلطة وإستمرهذا التوغل على عهد الأغوات والدايات بوصولهم إلي السلطة في الجزائر(5)

كما إنقسمت الإدارة في الجزائر التركية إلى أربع بيالك تحت تصرف الباشا مباشرة مكلفين بجباية الضرائب لخزينة الدولة، وفرض الأمن في حدود الولاية وهي: ولاية الجزائر و أسست مند إعلان "خيرالدين" ولائه للإمبراطورية العثمانية سنة 1519م ولاية

1-محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق ص.ص 14،15

2-Faure-biguet, histoire de l’Afrique septentrionale, imprimerie militaire ; paris, p.p. 405-445

3-محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 15

4- **الإدارة المركزية** :أواللجنة الاستشارية :غالباما تكون للداي لجنة مؤلفة من أربعةأعضاء يستشيرهم في أمور السلطة والإدارة وهم وكيل الخراج، الخز ناجي ، خوجة الخيل، الأغــا أطلق عليم المؤرخون (أنصار العرش)، المصدر نفسه، ص 34

5- المصدر السابق ، ص.ص 44-45 انظر أيضا:

Péchot (L), Histoire de l’Afrique du nord avant 1830, imprimerie alger1914, v.3, p9



الجنوب أسست سنة 1540م ثم ولاية الغرب أسست سنة 1563 ثم ولاية الشرق أسست سنة1567م.(1)

إن نظام الحكم في الإيالة الجزائرية مرتبط حتما بالسلطة الإدارية للدولة ، حيث كان على رأس هذه السلطات الإدارية موظفون سامين، ذوي المكانة المرموقة في هرم سلطة الداي، وعليه سنذكر بايجاز هذه السلطات الإدارية ومهامها :

- **الخزناجي** :يشرف على خزينة الدولة ويوكل على حراستها، ودفع أجورالجند، يباشر مهامه أمام الداي وأعضاء**الديوان***(2)، ويعتبر الشخصية الثانية المؤهلة لمنصب الداي حال شغوره، وبدأ يطبق هذا التقليد منذ موت الداي **"علي شاوش"**(3)سنة1718م إلى غاية 1805م مما سمح بنوع من الترقية في السلم الإداري للإنكشاريين ، ونظرا لهذا النفوذ الواسع لم يعد منصب "الخز ناجي" ذات طابع مالي فقط ، بل أصبح له صبغة عسكرية، كما حدث "للخز ناجي**إبراهيم خوجة"**(4) سنة 1734م حيث قاد بنفسه حملات ضد الثائرين بالنواحي الوهرانية لكل من سنة 1734م،1736م .(5)

1-محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق ص.ص 35-36 ، انظر أيضا المزاري بن عودة طلوع سعد السعود...،تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، (د.ت) ص.ص 2-3

***الديوان** : هو المجلس الأعلى للدولة يشرف ويسهر على تنظيم الإدارة وتنفيذ القرارات تحت السلطة المطلقة والكاملة للباي، هذا في عهده الأول ولكن في ما بعد قد أصبح للديوان له الكلمة العليا والأمر المطاع ، أنظر إبن ميمون، المصدر السابق ،سنة 1981، ص 35

2-حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر العهد العثماني، دار الهدى للنشر والطباعة ، ط1، الجزائر ، سنة 2008م ، ص 139 أنظر أيظا

Laugier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger ,paris, éd Lousel, 1992, p228

3-علي شاوش (1710-1718م):هو الداي وزن بابا علي شاوش أول عمل قام به هو إخماد نار الثورة المحلية القائمة ضد الحكومة التركية ،وهو أول محمل لقب الباشا بعد رد "إبراهيم شاركا" المبعوث من السلطان العثماني كباشا الجزائر، ومند ذلك أصبحت الجزائر مستقلة بإدارة شؤونها الداخلية .أنظر عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج3، ص 218

4-إبراهيم خوجة (1745-1748م): يعرف باسم "كوتشوك" كما أنه لا يعرف عنه الشيء الكثير ، إخماد المناوشات وقعت بين الجيش التركي والجيش التونسي بمدينة الكاف الحدودية ،أو ما كان لمقاومته لثورة التي قام بها الكراغلة بقيادة (رجم البجائي) ضد السلطة الحاكمة بتلمسان. أنظر عبد الرحمان بن محمد الجيلالي تاريخ الجزائر العام ج3، ص 230

5-حنيفي هلايلي ، المرجع السابق ص39 أنظر أيضا:

De Grammont(H.D), Relation entre la France et la régence d'Alger au 18 Emme siècle, in, R.A, T23, 1879, p12



كما إعتبربعض الرحالة والمساجين في كتابتهم أن"الخزناجي" هو الوزير الأول (1)، قد يصبح هو المؤهل لأن يكون الداي و يخضع لأوامره العسكر، وأنه أكبر شخصية بعد حاكم البلاد(2) .

- **خوجة الخيل**(3) :« موظف سامي في الدولة يشرف على **رجال المخزّن**(4) مما خول له نفوذا واسعا على عرب الصحراء ،وتوسعت صلاحيته بمرور الوقت حيث اصبح يتولى قيادة الفرق العسكرية».(5)
- **وكيل الخرج:**« موظف سامي يراقب النشاط البحري وأعمال البحرية ، ويشرف على تهيئة عتاد البحر ، وتوزيع الغنائم، كما أصبح من صلاحياته في بعض الأحيان تولي الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية»(6)
- **بيت مالجي :**«الموظف المشرف على مصلحة الأملاك والثروات التي تؤول الى الدولة ، ويكلف بحيازة الثروات المنقولة والغير المنقولة لصالح بيت المال، طبقا للأحكام الشرعية».(7)

1-Venture de paradis ,Tunis et Alger au 18e siècle ,pré ;par Joseph cuoq, éd paris, sindbad,p.214

2-Marcel Emerit, Les Aventure de Thédénat, esclave et ministre d'un bey d'Afrique,Au 18esiècle, in,R .A, n°92,1948 ; p 355

3-**خوجا الخيل** : هي في الحقيقة وظيفة إدارية تطوت بمرور الزمن من أصل وظيفة سبقتها هي وظيفة خوجا خزناجي كما يذكر حمدان خوجة في مذكراته المرآة ، فقال على ذلك بان الداي علي البورصالي رفع من وظيفة الخزناجي الى خوجة الخيل ما بين الفترة (1817-1818م).

4-**رجال المخزن** :"وتشمل القوات المحلية الموالية للسطة المركزية بالبايلك ،إذ استعان الحكام العثمانيون منذ وصولهم الى المنطقة بفرسان القبائل المسيطرة على الريف ..."أنظر الإنكشارية والمجتمع ببايك قسنطينة في نهاية العهد العثماني رسالة دكتوره في التاريخ الحديث للطالبة جميلة معاشي ، جامعة قسنطينة (2007-2008) ص 82 غير منشورة

5-الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر (1754-1830م)، تحقيق أحمد توفيق المدني،الجزائر، ش. و. ن. ت ،سنة 1980م،ص45 انظر أيضا حنيفي هلايلي،نفس المرجع السابق ص 141

6-حنيفي هلايلي ، المرجع السابق ص 140

7-نفسه ، ص 141 أنظر أيضا :

Devaux (A), Tarifât, Recueil de notices historique sur l'administration l'ancienne régence d'Alger, imp., du gouvernement, 1852, p20



● **آغا العرب** : قائد الفرق الانكشارية والفرسان المخزن المعسكرين خارج مدينة الجزائر، كما يحتل المرتبة الثانية في سلك الموظفين السامين في الدولة نظرا لمعاملته والهدايا التي تعطى له.**(1)**

● **الخوجا باشي:** هم موظفون لهم مكانة خاصة في ديوان البياليك مهامهم تتوزع بإختلاف المهام الإدارية من بينهم **المكتابجي(2)**، **الدفتردار(3)**، **القبودان بالي(4)** ، **الرقمجي(5)** **.(6)**

وبفضل هذا التطور في السلطة والإدارة أصبح جهاز الحكم بالأيالة الجزائرية هو الممثل الشرعي للسلطان العثماني بالجزائر، والمستقل بصفة مطلقة الصلاحية بأيالته**(7)** وهذا مايشير إليه (plantet)«لقد أخد الجزائريون إبتداءا من سنة1671م يَنتخبون بأنفسهم رئيس دولتهم مدشنين بذلك عهد الديات بدون إذن من الباب العالي، ولم يعودوا يتركون لمبعوثي السلطان إلا وظائف شرفية من سنة 1710م .»**(8)**

1-أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ص141 انظر ايضا:

Thranville Bubois, Mémoire sur Alger en 1809, pub par Esquer (G), Paris, Champion, 1927, P128

2-**المكتابجي**: مسؤول على فرض الضرائب،وسجلات الدولة المحاسبية ،من أسماء العسكر،والرتب وأجورالجند الأنكشارية من أوجاق المحلة والنوبة

3-**الدفتردار**: لقب لوظيفة وكيل الخرج الكبير مسؤول على دفاتر الضرائب وله حق مراقية المخازن.

4-**القبودان بالي** : لقب لوظيفة وكيل الخرج الصغير مسؤول على دفاتر غنائم البحر، وأمور الجمارك (الديوانة)

5-**الرقمنجي**: لقب لوظيفة تتعلق بالحفاظ على مطالح البايليك المتصلة بالشؤون الخارجية مصالح القنصوليات انظر أيضا:

NahumWeismann, Les janissaires, étude de l'organisation militaire des ottomans, imp., orient, paris, 1964, p70

6-حمدان بن عثمان خوجة،المرآة،تعريب وتحقيق أحمد العربي الزبيري، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيغ، السنة1982م ص.ص129-153، هناك مجموعة أخرى من الأعيان مكلفون بأعمال ذات طابع اجتماعي واقتصادي ومن أشهرها خوجة القصر (خوجة الباب)، خوجة الجمارك (خوجة الديوانة)، خوجة الغنائم خوجة الزرع،... انظر حنفي هلايلي المرجع السابق، ص.ص 139-145،حمدان خوجة ، المرأة ص 129 ،أو ناصر سعيدوني النظام المالي ص28

7-حنيفي هلايلي المرجع السابق، ص.ص 145-146، للمزيد طالع

Pananti, Relation d'un séjour à Alger contenant des observations sur l'état actuel de cette régence, trad., par Mr.blanquiere, lenommant, paris, 1820, p41

8-يضيف حنيفي هلايلي في كتابه ورقات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني أنّ منذ سنة 1710م«أخذ الداي ومساعدوه يطردون بالقوة ممثلي السلطان ، تاركين الدايات وحدهم السيادة المطلقة في السلطة »،ص 151، أنظر :

Plantet, (Eu), Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France (1597-1833), paris, F.Alcan, 1889, T2, p240



3- الأوضاع الاجتماعية العامة قبيل وأثناء الوجود العثماني بالجزائر :

لاشك أن الحياة الثقافية هي الصورة العاكسة للأوضاع الاجتماعية المعاشات بالنسبة للسكان . حيث يذكر "بوركبة محمد" في كتابه المحقق لعجائب الأسفار ولطائف الأخبار، أن دراسة أوضاع المجتمع مرتبطة بأحوال السكان وعاداتهم وتقاليدهم والإرتباط يتناول أساسا الطوائف والأقليات التي كان يتألف منها سكان المدن وعلاقتها بالدولة

أما الفئات التي يتكون منها المجتمع الجزائري فإن المؤرخون غالب يقسمونه في العهد العثماني بالجزائر إلى ستة فئات ، وهي الفئة الحاكمة ، الأندلسيون، الكراغلة،الحضر، البرانية،الدخلاء، أهل الذمة(2) وهذا النوع من التقسيم حول المكانة الإجتماعية التي كان يحظى بها السكان أثناء الوجود العثماني بالجزائر:

3-1 الفئةالحاكمة :« تتشكل في معظمها من الجنود الأتراك وهم معرفون باسم **الانكشارية**(3) الذين كانوا يستقرون في حصون وثكنات أو يتوزعون على **حاميات المدن**[(4)] » (5) ، وقد بلغ عددها خمسة عشرة حامية، لم يتجاوز عدد أفرادها في أواخر القرن السادس عشر الميلادي العشرة ألاف ، وبحلول الربع الأول من القرن السابع عشرا لميلادي ، لم يزداد عن اثني عشر ألف ، وظل هذا العدد ثابتا تقريبا حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي،إلاأن الأرشيف الجزائر يطلعنا على إحصائيات للعنصر العامل بالجيش من خلال دفاتر الإنكشارية يقدر عددهم بواحد وستين وستمائة وثلاثة ألاف جندي ، في ربوع الايالة الجزائرية عام 1828م، إن قلة العنصر التركي دفع الحكام إلى جلب عناصر تركية جديدة من حين إلى آخر للعمل في **الأوجاق**[(6)] » (7)

1- أبي راس الناصري الجزائري ،عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق محمد بوركبة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،ج1،سنة 2011 الجزائر ص35

2- نفسه،ص: 34

3-**الإنكشارية :**هي جمع لكلمة إنكشاري ، عبارة تركية تتكون من كلمتين: "يني" وتعني الجديد و"جيرى" معناها النظام أي النظام الجديد ،"ينيجيرى"(yaniceri) وهو مصطلح أطلقه لأول مرة السلطان "أورخان الثاني سلاطين آل عثمان(1326-1362) أنظر بشائرأهل الإيمان بفتوحات آل عثمان لمصلح الدين لاري أفندي ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم277 سنة التأليف 1138هـ ترجمة حسين خوجة حنفي.

4- **حاميات المدن :**هي المدن الأكثر استقطابا للأتراك مثل مدينة الجزائر، قسنطينة عنابة، تبسة،بسكرة ، بجاية ، تلمسان ومستغانم

5-صالح فركوس،تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال ، المراحل الكبرى ، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص.ص 157-158

6- **الأوجاق: (Ocak)**: تعني موقد النارفي اللغة التركية ، وهي منظمة عسكرية متكونة من الأتراك أو المرتّدين عن المسيحية من أماكن أخرى في الممتلكات العثمانية والموضوعة تحت إمرة ضباطهم ، أنظر لوليم سبنسر كتاب الجزائر في عهد "رياس البحر" ص42.

7- ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ،ص92



ويرجع النقص في الفئة التركية أساسا إلى حالة العزوبة التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش، فضلا عن تعرض الكثير منهم إلى الأمراض والأوبئة، ولولا هؤلاء العناصر التركية القادمة من الأناضول، لانتهى أمر العنصر التركي إلى التلاشي بين الأنصار في أواسط السكان الجزائر (1)، أما بخصوص عزلتهم وهم الأقلية، يمكننا القول أن أسبابها تنحصر في ما يلي :

*رغبة الحكام الأتراك في المحافظة على إمتيازاتهم.

*يميل غالبية العناصر التركية إلى التمسك بعادتها ولغتها وأسلوب عيشها ونمط حياتها.

*إعتقاد الكثير من العناصر التركية بأنهم جماعة ممتازة عرقيا ومتفوقة على باقي العناصر الأخرى، ولهذا السبب بالذات عزف أغلب الموظفين الأتراك عن الزواج بالجزائريات ، ولقد فضل الدايات وقادة الجيش حياة العزوبة. (2)

*النزاع الذي حدث بين فرق الأوجاق **وفئة الرياس**(3)، والصراع الذي إشتد بين العناصر التركية و**الكراغلة**(4) مما أدى بإبعاد الأتراك عن باقي السكان وتفضيلهم لهذه السياسة ، فساعد على تقليل الاحتكاك الاجتماعي في مستويات الزعامة.(5)

كانت الحياة المفروضة على الانكشاريين صعبة للغاية وخاصة للذين لا يرتبطون بعلاقات الزواج في البلد، وليست لهم وظائف تدر عليهم بالمال فكانوا يلجأون إلى حياة المجون والتردّد على **المواخر**(6) اليهودية. ومن أكثرالأتراك إستقرارا هم المنعزلين عن شواغل السياسة وهمومهما،عكس المندفعين نحوها، حيث تدفعهم المطامح إلى كسب الثروة والجاه ومن المؤكد هذا الشعور الأخير يدفعهم إلى التمسك بالولاء لحكومتهم تمسكا في أثاره الشعور بالوطنية، والتي كانت تغذيه التغيرات والثورات المتوالية في الحكومة والإدارة.(7)

1- ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ،ص93

2- أبي راس الناصري الجزائري ، ،المصدر السابق ص.ص 34-35

3- **فئة الرياس:** هم قادة البحر من الجيش الانكشارية لعبوا دورا هاما في صد القرصنة الأوربية بالحبر الغربي للمتوسط .

4- **الكراغلة** :هي الفئة التي نتجت من زاوج بين الجند الانكشارية ونساء البلاد، خاصة في المدن الكبرى للمزيد أنظر:مسلم عبد القادر تاريخ وهران المتأخر، أو أنيس الغريب والمسافر ، تحقيق وتقديم رابح بونار،(د.ط) 1974،ص 87 أيضا : هم الطبقة المولدة في الجزائر نتيجة مصاهرة السكان المحليين بالوافدين الأتراك، قاموا بمحاولة قلب نظام الحكم سنة 1630 أدت إلى إقصائهم من الوظائف الحساسة المزيد أنظر مقصودة محمد، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830) ، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة وهران ،2013-2014 ص 61

5- وليم سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر ، عبد القادر زبادية ، ش. و. ن. ت، ، الجزائر، 1980م، ص 82

6- المواخر : يقصد بالمواخر بيوت الدعارة. أنظر وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص85

7- وليام شالر،قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)،تقديم اسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر ،1982م،ص57



هذه الأوضاع الخاصة التي كانت تعيشها الأقليات التركية الحاكمة، أدت إلى الروح العِدائية والنّفور المتبادل مع بقية السكان الجزائريين، بحيث عبر "هايدو"عن هذا الموقف وبكل تحفظ « أنه لا يوجد في الإمبراطورية العثمانية علاقة أسوء من علاقة الأتراك بالعرب في مملكة الجزائر»(1)، ويظيف قائلا:«هذه الفئة القليلة من السكان وإنعزالها ، لم تُخل **بالتركيبة الاثنوغرافية** (2)، ولم تؤثر في البيئة الإجتماعية لسكان المدن ، ولا في طريقة حياتهم، ولا في أسلوب المعيشتهم، بالرغم من المدة التي قضاها الأتراك بالجزائر فان تأثرهم لم يتعدى الأنظمة الإدارية، ولم يتجاوز الألقاب العسكرية»(3)

3-2 فئة الكراغلة:مجموعة سكانية تحتل المرتبة الثانية في السّلم الإجتماعي الجزائري خلال العهد العثماني، وظهرت كما قلنا سالفا من زواج الجنود الإنكشارية بالجزائريات وظهرت في المدن التي تقيم بها حاميات تركية (4)أصبحوا يشكلون في ما بعد شبه حكومة خاصة بهم، ويتقاسمون المدينة مع طبقة الحضر،كما لهم ديوان خاص بهم وصلاحيات معترف بها ،حيث زادت صلتهم بالأتراك، وعلاقاتهم الخاصة بالأهالي، لهم نشاط تجاري خاص بهم، كما يشتغلون في بعض المّهن، ويستثمرون في الأراضي الزراعية على الخصوص أو بعض الوظائف الإدارية متوسطة الأهمية (5) ، وقد تخوف الأتراك من تزايد هذه الفئة من السكان، حيث أصبح يقدر عددهم في نهاية القرن السادس عشر بنصف عدد الأتراك، خاصة وأنهم أصبحوا يتقلدون مناصب هامة في الدولة والحكم، ونيل الإمتيازات ،حيث أصبح الأتراك يحترزون منهم خاصة عند توليهم لوظائف سامية في الجيش والإدارة مما جعل العلاقة تسوء بين الطرفين سنة 1596م، فدفع هذا الأمر بالداي "شعبان"إنتهاج سياسة الترضّية ، فسمح لهم بحق الإنتساب للأوجاق (6) ، على إثر ذلك إرتقى بعض الكراغلة إلي تولي بايلك الغرب مثل الكرغلي"مصطفى عمر" ما بين 1636-1648م (7)

1- أبي راس الناصري الجزائري ، المصدر السابق ص36

2- التركيبة الاثنوغرافية:دراسة الأجناس والسلالات البشرية وعاداتها؛ أو ما يسمى وصف الأعراق البشرية ، أنظر قاموس ترجمة المعاني من اللغة الإنجليزية، من موقع الإلكتروني:www.almaany.com/ar بتاريخ 2014/04/10

3- نفسه،ص36، أنظر أيضا

Boyer(P),le problème kouloughli dans régence d’Alger, R.M .M ,M : speciale,1970 ,p87

4- أبي راس الناصري الجزائري ، المصدر السابق ص36،

5-نفسه ص36

6- وليام شالر ،المصدر السابق، ص84

7- نفسه، ص93



ويضيف سعيدوني قائلا :«وعلى كلٍ فإن العلاقة بين الأتراك والكراغلة ظلت متوترة ومضطربة حيث أُبعدوا عن كل وظيفة حساسة في جهاز الدولة ، وبالرغم من سن أوإتخاد الداي شعبان لبعض الإجراءات الخاصة سنة 1683م في جناح الكراغلة إلا أنها لم تطبق عمليا بسبب إعتراض الضباط لمثل هذا التنازل المطيح بإمتيازاتهم » **(1)**.ويقول أيضا:«حيث تضاءلت فرصة الكراغلة في الوصول إلى صفوف الجيش التركي منذ فشل ثورة الكراغلة بتلمسان سنة 1748م، وبقيوا محرومين من المناصب العليا في الدولة ، ولكن مع مرورالوقت هذه الطبقة تحصلت على بعض الامتيازات كإلتحاقهم بفرق الجيش بالأرياف والمدن الداخلية كمعسكر ومازونة، حتى لايزاحموا الأتراك في إمتيازاتهم، وأنقصت أجرة جنود الكراغلة إلى النّصف،وكان الجنّدي الكرغلي مطالب بإحضار عتاده الحربي وتجهيزاته الخاصة وشراء فرسّه الذي يتنقل عليه ، مثلا كان 800 جندي كرغلي يتقاضون سنويا مبلغا يقدر بـ480.000 فرنك في حين يتقاضى 7.032 جندي تركي قيمة سنوية تقدربـ 675.000 فرنك **(2)**

رغم تزايد شوكة الكراغلة إعتبرهم الأتراك من الفئة المتوسطة ، مما جعلهم يحاولون التقرب من الطبقة الحاكمة لتنمية تروثهم واستغلال أملاكهم وتنشيط تجارتهم لإسماع طموحاتهم الى الحكام لكن دون جدوى، أما من جهة أخرى حاولوا التقرب الى الطبقة المحكومة باعتبارهم أبناء مصاهرة .

ومما يؤكد توثر العلاقات أيضا بين الكراغلة والسكان ما ذكره باي محمد بن محمد الكبير حيث ذهب الى تلمسان عام 1805م للمؤاخاة بين العرب والكراغلة بسبب تفشي القتل بينهم **(3)**

وعليه بالرغم من إحتلال الكراغلة المرتبة الثانية في الهرم السكاني، هم في خدمة التراك وتحت ولائهم، هذا حتى ولو لسوء العلاقة التى بينهم، دون التفكير في إعتلاء منصب الحكم ، أما من جهة أخرى حاول الكراغلة توطيد علاقتهم بأبناء أخوالهم بالرغم من سوء تلك العلاقات .

3-3 فئة الحضر:« وتتألف من مجموعة السكان القاطنين بالمدن،والتي ترجع أصولها إلى الفترة الإسلامية ، ومن إنظم إليهم من الأندلسيين والأشراف وقد تميزالحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاص بهم، و بوضعهم الاجتماعي الممّيز، مما جعلهم يشكلون طبقة إجتماعية

1- ناصر الدين سعيدوني، الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية ...، نفس المرجع السابق، ص96

2- نفس المرجع، ص96

3- مسلم بن عبد القادر ، المصدر السابق، ص90



ميسورة، يتولون وظائف السلك القضائي، التعليم،الصناعة، والأعمال التجارية، وأنهم بحارة مغامرون إلى جانب أنهم فُقهاء متفوقون ومتمكنون » .**(1)**.

إهتمت هذه الفئة بتنمية ثروتها وإستثمار مزارعها التي هي بالقرب من المدن،هذه الوضعية جعلتهم يؤلفون بورجوازية المدن الصغيرة، حسب الدكتور "محمد بوركبة"، والتي عرفت بخضوعها للبايلك، وقلة إهتمامها بالسياسة وشؤون الحكم، فرّغم سيطرتهم على النشاط الإقتصادي طيلة القرن السادس والسابع عشر الميلادي، إلا أنه لم تكن لهم يد مؤثرة في نظام الحكم**(2)**، ومن أهم العناصر التي تكون طبقة الحضر:

1-3-3 الجالية الأندلسية: صلتهم بالجزائر كانت قوية لدرايتهم الواسعة بالبلاد،ولاسيما الجهة الغربية منها ، بحكم طريقة دخولهم إلى الجزائر منذ الفترة الإسلامية، وقد تكاثر عددهم مع مجيئ الأتراك، فكانت الهجرة الأندلسية عامل أساسي، وله أهميته الكبرى في إنعاش الاقتصاد وإزدهاره، وتطور العمران وإتساعه**(3)**، كما ساهموا في إحياء بعض المدن التي أصابها الإضمحلال مثل **برشك(4)**، **تنس(5)**، **دلس(6)**، **جيجل(7)**، **شرشال(8)** وأنشأت مدن جديدة **كالقليعة(9) والبليدة(10)**، وساهموا في تقدم بعض المدن القديمة **كتلمسان (11)**،**مستغانم (12) وعنابة(13)**

1- أبي راس الناصري الجزائري ،المصدر السابق، ص39

2- نفس المصدر، ص39

3- ناصر الدين سعيدوني، المصدر السابق ،ص98

4- برشك: مدينة ساحلية تقع غرب مدينة شرشال تدعى حاليا بإسم "قوريا"تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 120 كلم أنظر شريفة طيان ،الفنون التطبيقية الجزائريةفي العهد العثماني، دراسة أثرية فنية، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة ،ج1،السنة الجامعية (2007-2008)،جامعة الجزائر، (على الهامش)،ص 21

5- تنس: مدينة ساحلية تقع غرب مدينة شرشال تبعد عنها بحوالي 130 كلم وتبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 210 كلم بنيت من طرف جماعة أندلسية سنة 262هـ/875م،تعرضت الى الغزو الأسباني سنة 911هـ/1505م وتمكن العثمانيون من استرادها 923هـ/1517م،وأصبحت تابعة لدار السطان ، نفسه ،ص 21

6-دلس:مدينة ساحلية تقع على بعد 100كلم شرق الجزائر العاصمة ، شهدت تمركزبها الأندلسيين في القرن 7هـ/12م حيث عرفت إنتعاشا إقتصاديا في تلك الفترة ،أنشأ بها العثمانيون حامية ، وكانت من المدن المتوسطية الهامة إقتصاديا. نفسه ص21

7-جيجل:مدينة ساحلية تقع على بعد شرق مدينة الجزائر، تعتبر من أهم المدن التى أسسها الفنقيون ، ثم فتحها العرب المسلمون في عهد موسى بن النصير، تعرضت للغزو السباني ، فتحالف سكانها مع الأخوين خير الدين وعروج ، وتمكنوا من طرد الإسبان منها . نفسه ،ص 21

8- شرشال:تقع على بعد 80 كلم غرب مدينة الجزائر،كانت تعرف "بأيول" في العهد الفنيقي،وأصبحت عاصمة مملكة موريتانا القيصرية "ليوبا الثاني" . نفسه ،ص 21

9- القليعة:تصغيرا للقلعة لموقعها المنيع، تقع غرب مدينة الجزائر،على بعد40 كلم،تأسست سنة 957هـ/1550من طرف حسن باشا إبن خير الدين في فترة حكمه الأول (951هـ-958هـ/1544م-1551م). نفسه، ص 20

10- البليدة :تسمية مصغرة للبلد، تقع على بعد 45كلم جنوب غرب مدينة الجزائر ،في سهل متيجة، وبالقرب، ==



يتميز الأندلسيون برقة الذوق، الملبس، التمتع بالحياة، والتفنن في التخطيط، بناء العمارة والنحث، كما إشتهروا بصناعة القرميد، الزليج وزخرفة الجص،كما يرجع لهم الفضل في نشر بعض التأثيرات الإسبانية كستعمال العملة الفضية والذهبية التى كانت تضرب بإسبانيا ، وإستعمال بعض المفردات الإسبانية أو المتداولة مع الأجانب المعروفة بـ**"لغة الفرنكا"***،(1) كما إشتهرت بعض العائلات الأندلسية بإشتغال أفرادها بالتجارة والصنائع مثل بن رامول، بن هاني، وبن زوان، بالإضافة إلى بن رّحال، وبن شيكو،وبن القبابطى، وبن شاهد وغيرهم (2) كانت تمثل الجالية الأندلسية طبقة الأغنياء في مجتمع الأيالة الجزائرية، يقيمون بالمدن ويملكون المنازل الكبرى، والثروة، بالإضافة إلى ذلك يمارسون التجارة وخاصة تجارة الفداء(3) يذكر لوجي دوتاسي(Logier de Tassy)« كان الأندلسيون يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري وخصوصا لدى العثمانيين، حتى

==من وادي سيدي الكبير ، المرابطي ،أخذت أهميتها في نهاية القرن 11هـ/17 م، إنتعشت مكناتها بوجود الأندلسيين، بحيث كانت تمول مدينة الجزائر المداخل الزراعية ، نفسه،(على الهامش)،ص 20

11- تلمسان:مدينة قديمة تقع في الغرب الجزائري ، كانت عاطمة الدولة الزيانية (1235م-1553م) ، تعرضت لتدخل المرينيين ، بنوا فيها حصونا وقلاعا أشهرها مدينة المنصورة، قصدها مئات الآلاف من مهاجري الأندلس، قدموا خاصة من قرطبة، وغرناطة ، فتحها العثمانيون سنة 961هـ / 1553 م، نفسه ،ص 20

12- مستغانم: تقع على الساحل المتوسطي في غرب الجزائر ، تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 320 كلم ، كانت المدينة تحت حكم البيلك الغربي في حالة لاسلم ولا حرب ،ولم تعرف الاستقرارإلا بعد طرد النهائي للأسبان من وهران سنة 1207هـ / 1792 م نفسه ،(على الهامش)،ص19

13-عنابة : تعرف باسم "بونة"ن مدينة ساحلية تقع في الشرق الجزائري على بعد 600 كلم من مدينة الجزائر العاصمة ،كما انها كانت تعرف في عهد الفنيقيين "هيبو ريجيوس"، دخلت تحت الحماية العثمانية سنة 940 هـ / 1533 م نفسه ، ص 21

Hatin (E), Histoire pittoresque de L'Algérie, 1840, P30

* لغة الفرنكا:(Langue Franca)و هي خليط من اللغة الأسبانية والفرنسية، والايطالية ،وهي وساطة اتصال عادة بين الأجانب والأهالي ،انظر مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)،تقديم وتعريب إسماعيل العربي ص9

1-أبي راس الناصري الجزائري ، المصدر السابق ص40

2-ناصر الين سعيدوني ،صورة من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر، المجلة العربية، للثقافة والتربية والعلوم ، العدد27، 1994، ص 238 ،أنظر أيضا، حنيفي هلايلي ، وأبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، (د.ط)، دار الهدى ، الجزائر،2009، ص 63

3-De Tassy (L), histoire du royaume d'Alger, paris, éd loysel, 199



إن بعضهم كان يعين على الأوقاف الحنفية العثمانية، مثل "حميدة الأندلسي"الذي كان عضوا في لجنة إدارة سبل الخيرات و"سليمان الكبابطي"الذي عينه "خضّر باشا" وكيلا على أوقاف جامع سوق اللوح » (1)

أما أبي راس الناصري يقول :« إن تأثير العنصر الأندلسي في مجتمع المدن كان عميقا جدا، لكونهم أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي الجماعات الأخرى ...، لأنهم طوروا المهن،والأشغال اليدوية بالمدن، بمعنى آخر أفرغوا كل ما جلبوه معهم من الأندلس في المجتمع الجزائري ، ليكتسي بذلك حلة رائعة، فأصبحوا أرباب أموال كبار، لهم مكانتهم و سمعتهم بين الناس، هذا ما لم يمنعهم من إحتباس جزءا من أموالهم وقفا للزوايا،والمساجد، بسبب غناهم ورفاهيتهم، كما لعبت الظروف الاقتصادية دورا كبيرا في إحتفاظ الأندلسيين بتقاليدهم وعاداتهم، بحيث تميزوا برقة ذوق الملبس،والتفنن في العمارة، الموسيقى، والغناء كما إشتهروا بصناعة القرميد،الزليج والخزّف بالإضافة إلى أشكال التخريمات الجميلة »(2).

2-3-3 جماعة الأشراف: تعتبر فئة قليلة العدد، تنتسب إلى آل البيت الرسولﷺ حسب التقاليد المتعارف عليها، هم أهل ورع، وتقوى، ونظرا لمكانتهم الدينية بين باقي الحضر حظوا باحترام وتقديركبيرين،فخصّهم بعض الديات بالعطاء والمساعدات، مثل الداي "محمد بقطاش" الذي أوقف لصالحهم بعض الأملاك، وساهم في إنشاء زاويتهم سنة 1121هـ/1709 م.(3)

ومما سبق ذكره أن طبقة الحضر كانت لها مكانة إجتماعية مرموقة خلال العهد العثماني بالجزائر وحضيت بالتقرب إلى الحكام بشكل أو بآخر ، لكن حسب الباحث"محمد بوركبة"« فبالرغم من كثرة عددها، وتحكمها في المجالات الإقتصادية وإكتسابها لمواد الثروات، وحصولها على الأرباح الوفيرة جراء هذه المعاملات، إلاأنها لم تقم بالدور

1- حنفي هلايلي ،المرجع السابق ،ص 70 أنظر أيضا:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق ، ص.ص237-238

2- أبي راس الناصري الجزائري، المصدر السابق، ص39

3- نفسه، ص 40

الاجتماعي على أكمل وجه، مثل ما لعبته البورجوازية الصغيرة في أوربا آنذاك، بسبب الإجراءات التعسفية، كالتغريم والمصادرة من قبل الحكام، وإتباع نظام الإحتكارالذي جمد طاقتها، زيادة إلى تخوف الأتراك وطبقة الكراغلة من هذه الطبقة مما جعلهم يعيشون في صراعات مستمرة»**(1)**.

3-3-3 فئة البرانية : غالبا ما كانت تتكون من مجموعات سكانية هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر، قسنطينة، تلمسان وغيرها بدافع الإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الإجتماعي نوعية النشاط الإقتصادي، وكانت تنظم وتُصنّف حسب أُصولها ومناطق إنتمائها وتتمثل في البسكريون**(2)**، الجيجليون**(3)**، الأغواطيون**(4)**، المزابيون**(5)**، وسكان القبائل بالإضافة إلى العبيد**(6)**، وقد إختصت كل فرقة بمهام معينة وأعمال محدودة أوكلت لها هذه المهام تحت تصرف أمين يختاره البايلك ويوكل له حق المراقبة، في كيفية تسيير شؤونها وخاصة المتعلقة بالشرطة والقضايا العدلية، ويساعده في ذلك أعوان، شاوش وكتاب.**(7)**

1-أبي راس الناصري الجزائري ، المصدر السابق ،ص40

2- **البسكريون**: هم سكان مدينة بسكرة التي تقع على بعد 400 كلم عن مدينة الجزائر ، وهي عاصمة الزيبان ، والمعروفة ببوابة الصحراء، فتحها حسن آغا سنة 948هـ/1541م كانوا في تلك الفترة يمتهنون حرفة السقاية ، تنظيف الشوارع، وقنوات المجاري والحراسة ليلا في مختلف الأحياء، كما يحملون السلع والبضائع،بالإضافة الى حراسة الأسواق أنظر أيضا :Raymond (A) Grandes villes arabes époque ottomane, paris, 1985, p 9

3- **الجيجليون** : هم سكان مدينة جيجل وقد سبق التعريف بالمدينة سابقا ص 14، إمتلكوا المنازل وإدارة المخابز والأفران وطهي الخبز للإنكشارية ، إعترافا ومناصرة ومؤازرة الأتراك في حربهم ضد الأسبان أنظر :

Venture de Paradis, Alger Au 18eme siècle, 2eme édit, Bouslama, Tunis, P14

4- **الأغواطيون:** هم سكان تقع في الجنوب الجزائري تبعد عن مدينة الجزائر حوالي 520كلم، إختصوا في المكاييل والأوزان، ونقل البضائع، بينما سكان القبائل فعملوا في الدكاكين لبيع الزيوت ، أو الحراسة لقلة مصدر الرزق ، أما الأغنياء منهم ، فكانوا تجار يأتون الى العاصمة لبيع منتوجاتهم، كالزيت والتين والفحم والصابون ثم يعودون الى بلادهم أنظر :

- Rozet (M), Voyage dans la régence d'Alger, (Atlas), édit, par Arthus Bertrand, T2, Paris, 1833, p 12,(par le site www.google books)
- Boyer (P), La viequotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Hachette, paris, 1963, p 22

5- **المزابيون :** سكان مدينة وادي ميزاب عاصمتها غرداية تقع على بعد 700كلم جنوب الجزائر إتخذها الإباضيون مقرا لهم ، إزدهرت فيها الحياة الفكرية والاقتصادية والعمرانية في العهد العثماني أنظر :

Rozet (M), Op.cit. : 13

6- ناصر الدين سعيدوني، الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية...المرجع السابق، ص102 أنظر أيضا :

Daumas (E), Mœurs et coutumes, de l'Algérie, édit Sind Bad, paris, 1855, P 8

7-أبي راس الناصري الجزائري ، المصدر السابق، ص 41



4-3 أهــــل الذمـــة:

1-4-3 اليهود: عناصر قليلة ساهمت في تشكيل الهرم السكاني بالمدن الجزائرية الكبرى خلال تلك الفترة ، البعض منهم ترجع أصولهم إلي يهود بني إسرائيل إستقروا بين البّربّر في الفترة السابقة للإسلام، بَشَّرُوا باليهودية بينهم فأعتنقها بعض البربر، والبعض الآخر يعود إلى الهجرة اليهودية من الأندلس، قدموا إليها (الجزائر) هروبا من اضطهاد النّصارى منذ نهاية القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي،(1)

يذكر "محمد داداة" الفترة ما بين (1616-1660م) يقدر عدد اليهود بالجزائر ما بين 8000 و 9000 نسمة ، أما دارفيو (d'Arvieux) فذكر أن عددهم سنة 1674م تراوح ما بين 10.000 و12.000 نسمة ، أما إحصاء ماسون (Masson) فيقول أن عددهم سنة 1724 قدر بـ 5.000 نسمة ، إلا أن دوتاسي (Dotasy) سنة 1725 م يذكر أن عدد اليهود قدربـ 5.000 أسرة . ويلاحظ أن عدد اليهود تزايد في النصف الأول من القرن السابع عشر، ولعل ذلك يعود إلى أعداد الوافدين من أوربا وخاصة من **ليفون**(2) لكن النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي شهد تراجعا في عدد يهود الجزائر(3) ولعل ذلك أيضا يعود:

أولا:إما لهجرة اليهود إلى الضفة المقابلة بسبب تراجع نشاط الأسطول البحري الجزائري، والذي كان يوفر المادة الخام لأنشطة اليهود التجارية، من أجل توفير رأس المال التجاري لهم

ثانيا:مرض الطاعون الذي أصاب المنطقة ما بين سنة 1787-1788م، و أدى إلى وفاة 1771 يهودي .(4)،

ثالثا: الظروف السياسية التي عاشتها الجزائر العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي و التي أبرز أحداثها الثورة ضد الداي مصطفى سنة 1805 و إغتياله بسبب علاقاته مع اليهود، ما دفع بالكثير منهم الى مغادرة البلاد، حيث غادرت 200 عائلة يهودية الجزائر نحو ليفون ومنها عائلة بكري وبوشناق بالإضافة الى هجرة 100عائلة إلى تونس(5)

1- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر،نعامي عبد القاد زبادية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1980م، ص82

2- ليفون:أو "ليفورنو" مدينة ايطاليا ساحلية ،بإقليم "توسكانا" ، أحد أهم الموانئ التجارية والسياحية الهامة ،تنامت المدينة مند القرن 16م، برغبة من آل مديتشي ،أنظر الموقع الإلكتروني www.ar.wikipedia.org 2015/03/01

3- محمد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (مطلع القرن 18م حتى 1830)،رسالة ماجيستر ، جامعة ديمشق، 1985م ص.ص 32-40، غير منشورة، أنظر :كمال بصحراوي ،الدور الديبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،جامعة معسكر،السنة الجامعية (2007-2008م)، ص27،غير منشورة

4- ارزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830م)، رسالة دكتورة، جامعة الجزائر 2006-2007م ص 29

5- سعيدوني والمهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ : العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984،ص104

وقُتل منهم 200 يهودي(1) كما إلتجأ بعضهم تحت الحماية الفرنسية بقنصليتها بالجزائر، بعد تدخل القنصل الفرنسي (D .Tainville) لحمايتهم وحسب القنصل الأمريكي بالجزائر وليم شالر (W.Shaler) أن عدد اليهود تراجع الى 5000 نسمة ما بين (1822-1824م).(2)

ما يلاحظ أيضا سهولة إندماج اليهود بالأهالي، لتشابه طرق العيش و الاشتغال في المهن و الحرف التي كان يمتهنها السكان المحليون، ولكن الإختلاف كان في لون اللباسهم القاتم الذي كان يفرقهم عن غيرهم.(3) كان معظم اليهود يمارسون حرفة التجارة، نظرا لعلاقتهم القديمة بالموانئ في أوروبا خاصة إيطاليا، وفرنسا وإنجلترا، لبيع الصوف والحرير ومواد الصّباغة وغيرها بالإضافة إلى المعادن الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة (4) كما مارسوا أيضا صناعة الزجاج وسّك النقود،(5) وإشتغلوا أيضا في الخياطة والطرز و**اَلْقَيْطَانَةُ***(6)

2-4-3 الجالية المسيحية :ما يميز هذه الجالية، أنها كانت أحسن حالا من الجالية اليهودية ، وضعهم الإجتماعي كان جيدا، هذه المكانة أهلتهم للقيام بمختلف المهام التي تلائم مهاراتهم، كالعمل في ورشات بناء السفن وصنع الأسلحة، وهناك من إشتغل في المنازل والبساتين والمقاهي والحانات مقابل أجرة وعلاوات وهدايا متنوعة في مواسم الأعياد، أما الأسرى فلا يحد من حرياتهم سوى قضاء الليل في سجون البايلك.(7)

1- الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرافالجزائر،تحقيق أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. و ،الجزائر ، 1972 ص 88

2- Shaler (W),Esquisse de l’Etat d’Alger, trad. , par X. Bianchi, Paris, Ladvocat, 1830, P90

3- Peysonnel, (L), Relation d’un Voyage, Paris , 1838, P458

4- Eiesenbth,(M) ;Les juifs en Algérie et en Tunisie l’époque turque ,extrait de revue africaine, 1952, Alger,S.D,p.p,129-130

5- Cahen, (M), Les juifs dans L’Afrique septentrionale, in R.N.M.S.A.C, vol 11,1867 ; pp, 190-191

***اَلْقَيْطَانَةُ :** مفرد القياطين وهم جماعة من الأفراد تبرم خيوط الحرير والقطن من أجل إستعمالها في طرز الملابس

6- IBen Chenab (M), Mot Turks et persans conservés dans le parler algérien, Alger , 1922, p7

7- ناصر الدين سعيدوني،و الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق ص105



وجهة أخرى يقول وليام سبنسر:« وعلى كل حال فإن المسحيين بصفة عامة والمرتدين(من إعتنقوا الإسلام) منهم بصفة خاصة،كانوا مؤهلين لتولي المناصب العليا، وكانت وضعيتهم القانونية ، و تبدوا وكأنها أحسن بكثير من السكان المسلمين من غير الأتراك»(1)

ما يمكن أن نقوله أن فئة أهل الذمة بالجزائر العثمانية كان لها الحظ الوفيرفي كل الإمتيازات، وحرية واسعة في العمل والتجارة وجمع الثروة من أجل حجز مكانة إجتماعية لائقة والأمثلة كثيرة عن هؤلاء اليهود والمسيحيين، كبكري و بوشناق و من يعتنق الإسلام بإمكانه أن يصبح الرئيس الأعلى للايالة ومن أبرز هؤلاء،علي بتشّنين وعّلج علي وغيرهما .

أما ما يخص المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني فكانت المدينة تلعب الدور الرّيادي في مختلف النشاطات، خاصة منها الصناعية والتجارية و الفكرية لاسيما المدن الكبرى كالجزائر و قسنطينة و تلمسان، و باتت مدينة الجزائر عبارة عن فسيفساء من فئات مختلفة وضعت بصماتها في السّيرورة الزمنية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني وساهمت كل فئة بقدر معين في إعطاء الصورة للشخصية الجزائرية المعاصرة، وما لهذا التمازج في العادات والتقاليد والتسامح والمعتقد الديني، بني صرح الحياة الثقافية لمجتمع فريد من نوعه خلال تلك الفترة وخاصة في الفترات التي سادها الأمن والاستقرار .

1- وليم سبينسر ، الجزائر في عهد الرياس البحر، المصدر السابق ص82، أظر أيضا: أبي راس الناصري الجزائري ،المصدر السابق، ص41

الفصـــــل الأول

المؤثرات الثقافية بالجزاير العثمانية مابين القرنين 16م-19م

1- أثر التواجد الأندلسي على الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني

1-1-1 الهجرة الأندلسية الى المغرب الأوسط

1-1-2 أسباب الهجرة الأندلسية الى المغرب الأوسط

1-1-3 أثر التواجد الأندلسي وانعكاسه على الحياة اليومية

2- أهم المدن الثقافية ودورها بالجزائر العثمانية

2-1 مدينة الجزائر

2-2 مدينة قسنطينة

2-3 مدينة تلمسان

2-4 مدينة وهران

2-5 مدينة المدية

2-6 مدينة عنابة

2-7 مدينة القالة

2-8 مدينة مستغانم

3- الحياة الثقافية العامة بالجزائر العثمانية

4- الدور الثقافي للزاويا والرباطات في الجزائر العثمانية



1-أثر التواجد الأندلسي على الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني :

1-1 الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط :

لاشك أن الصراع القائم بين القوة المسيحية والقوة الإسلامية غرب البحر الأبيض المتوسط خلال القرن العاشر عشر الهجري الموافق للقرن السادس الميلادي ، كان له الدورا البارزا في تطور الأوضاع بالمنطقة، دون إستثناء الصراعات الداخلية بين الأمارات الإسلامية المحلية المتقاتلة من أجل السيطرة والبقاء، والتي كان بيدها مقاليد الأمور يومئذ بالشمال الأفريقي (1)، وبذلك أصبحت منطقة غرب البحر المتوسط في صراع بين دولتين كبيرتين هما الإسبان التي تريد الهيمنة على المنطقة لتحويل أهلها إلى النصرانية، والدولة العثمانية التي أصبحت أكبر قوة إسلامية، والتي عملت على إنقاذ المغرب الإسلامي(2)، ومن خلال هذه الفترة المضظربة، كان سيل الهجرة الأندلسية متواصلا بلا إنقطاع الى ربوع المغرب الإسلامي، خاصة المغرب الأوسط (الجزائر)(3).غير أن الهجرة الأندلسية بعد سقوط غرناطة سنة 1492م عرفت حركة نشيطة لم يسبق لها مثيل، وزادت حدتها بإصدار قانون الطرد الجماعي للأندلسيين من طرف **الملك فليب الثالث**(5) سنة 1609م(4). كان النصارى ينظرون إلى عرب الأندلس أنهم غزاة، قدموا عن طريق المغرب، وأنهم مصدر إجتاح دائم لبلادهم ، حتى فكروا في أخر الأمر إحتلال المغرب وتنصيره.(5)

2-1 أسباب الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط :

من الأسباب القوية التي أدت إلى إختيار **الموريسكيين**(6)المغرب الأوسط والاستقرار فيه:

-زوال الحكم الإسلامي منها (إسبانيا) وإنتقال المسلمون من حكام الى محكومين من قبل النصارى وبالتالي لم تعد إسبانيا دارمقام.

-الإسبان يحملون كل حقد، وكرهية والعداء خاصة من قبل النصارى، حيث حولوا

1- أحمد توفيق المدني ،حرب الثلاثين سنة بين الجزائر واسبانيا، ش.و.ن.ت، د.ت ، الجزائر ، ص65

2- عبد المجيد بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر،سنة 1972م، ص.ص19-20

3- محمد المكي الناصري، وحدة المغرب في ظل الإسلام ،المجلة الثقافة الجزائرية، العدد15، سنة 1973، ص14

4- أسعد حومر، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة 1998م ، بيروت، لبنان،ص260

5- **فليب الثالث** :(1578-1661) المعروف أيضا باسم **فليب الورع** كان ملك إسبانيا، والغرب وصقلية ، زوجته الرابعة "آنا" من النمسا إبنة الإمبراطور "ماكسي ميليان الثاني"من الموقع الواب www.ar.wikipedia.org بتاريخ 10/ 2014/06

5- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل سنة 1830م، المطبعة العربية بدار الفكر الإسلامي، 1972، الجزائر ص 163

6- المورسكيون(Moriscos):هده التسمية ألصقت بمسلمي الأندلس بعدسقوط غرناطة رغما عنهم ، وظلت متداولة حتى طردهم من إسبانا سنة 1609م، وصارت مصطلحا عندجل المؤرخين... فالموريسكيون أو الموريسكوس=

الجّوامع الى كنائس وإستبدلوا الهلال إلى صليب.

-تمادي حكام الإسبان في التنكيل بالمسلمين، والتفنن في تعديبهم والإعتداء على حرماتهم، وجرح كرماتهم، لإجبارهم على ترك دينهم الإسلامي، وإكراههم على إعتناق النصرانية .(1)

-الإعتداء الجسدي والتعديب المعنوي يفوق كل وصف ، عن طريق محاكم التحقيق، حيث جندت لهم جيوش من القساوسة والرهبان تفننوا في التعذيبهم .

-سخر حكام إسبانيا كل قواهم المادية والمعنوية للقضاء على المسلمين نهائيا، وجعل إسبانيا المسيحية للمسحيين وحدهم.(2)

-صدور عدد من الفتاوي بالمغرب والأندلس تتعلق بموضوع الهجرة وقد أجاب بعض كبار الفقهاء المالكية بوجوب الهجرة من أرض الكفر- أي بعد أن إنتهى الحكم الإسلامي بالأندلس، وآل الأمر الى النصارى- وأصبحت الهجرة إلى دريار الإسلام واجبة حتى لا يفتنون في دينهم، وإعتناق دين أخر وهم صاغرون، ويصبحوا نصارى قشتالين بمقتضى الزمن وبالتدريج.(3)

كان إختيار الأندلسين للمغرب الأوسط والإقبال عليه ليس على مبدأ الصدفة، وإنما للعلاقة المتينة للغاية بين البلدين لدرجة أن حكام الجزائر وسكانها مند قدوم الأتراك يعتبرون قضية الأندلس هي قضيتهم، وأن مأسات الأندلس إنما هي كارثة أحلت بالأمة الإسلامية، ومند قدوم عروج وخير الدين الى مدينة الجزائرأصبح هَمُّ الجزائريين هو الجهاد ضد الإسبان وخاصة بعد نقد **معاهدة تسليم غرناطة** (4)، التي تعطي للمسلمين حقهم في الحياة

=مطلح إسباني (MORISCOS)، بعض المؤرخين يرون أصل الكلمة إغريقية مشتقة من كلمة (AMAURUS) موري(MURI) أو (MORO) وتطلق على مجموعة ذات البشرة السوداء، أما "ليفي بروفنسال" يرى المورسكيين كلمة إسبانية تطلق على المسلمين الذين بقوا في البلاد القوط بعد أن استولى عليها الملكان الكاثوليكيان ،وفي معجم الأكاديمية الملكية الأسبانية نجدها تعني المغاربة الدين بقوا في أرض الأندلس بعد إستعادة اسبانيا لها . انظر جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس(1492 – 1610 م) دار هومه ، للطباعة والنشر والتوزيع سنة 2004م ص.ص 41-42

1- لوي كارديالك، المورسكيون الأندلسيون و المسيحيون المجادلة الجدلية (1492-1640م)،ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، العدد 09 تونس ، ص108

2- محمد بن عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، لجنة التأليف والترجمة ولنشرالمصرية، ط3، سنة 1986م،القاهرة، ص396

3- نفس المرجع السابق ص66

4- معاهدة تسليم غرناطة : هي معاهدة تسليم غرناطة وُوقعت من طرفي فرديناند ملك أرغون والملكة ايزبلا القشتالية ، و الطرف الطرف الإسلامي (الأندلسي) وقعها أبو عبدالله الصخري وقد نصت على 47 بند تعطي للمسلمين حق حريتهم الدينية، لكن النصارى أبطلوا مفعولها خاصة بعد 1609 بإنشاء محاكم التحقيق، أنظر نفس المرجع السابق ، ص108

وحريتهم الدينية ولكن دون جدوى، وتمكن خير الدين أن يصل شواطئ إسبانيا الجنوبية وإنقاذ عدد كبير من الأندلسين(1)

ومن الأسباب الحيوية التي جلبت أفواج الأندلسيين الى المغرب الأوسط، طبيعة البلاد الساحرة ومناخها المعتدل الدافئ، وسهولها الفاسحة الخضراء، وجبالها الشاهقة والمزدحمة بالغابات، وشواطئها الخلابة التي إختلطت فيها زرقة السماء بزرقة الماء(2) وبذلك أصبح المغرب الأوسط خاصة قطعة أندلسية بطابعها المعماري الأندلسي، وحياتها الإجتماعية بعاداتها وتقاليدها المميزة، وذوقها الراقي السليم.(3)

1-3 أثر التواجد الأندلسي وانعكاسه على الحياة اليومية بالجزائر العثمانية :

يذكر "أبو القاسم سعد الله" أن للهجرة الأندلسية أثر كبير على المجتمع الجزائري من كل النواحي وذلك إختلاف الفيئات المهاجرة من بينهم أحفاد الملوك ، الوجهاء وأبناء الشعب البسطاء وفيهم أصحاب الصنائع وأصحاب القلم فكانت مأساة الأندلس خيرٌ وبركة على مجتمع المغرب العربي(4) ويقول أيضا« إذا كان تأثير الهجرة الأندلسية السياسي والأقتصادي لايهمنا هنا فإن التأثيرها الثقافي لايمكن إغفاله، لقد إحتكر الأندلسيون ميدان التعليم، ولم يقتصروا على حفظ القران الكريم، بل أضافوا إليه التعليم الحديث والقواعد العامة لمختلفة العلوم وتَدَارَسَ بعضها، ولاسيما في حواضر المدن، ونقلوا طريقتهم الخاص بهم إليها، ونشروا خَّطَهَمْ حتى ساد على الخط المغرب العربي، بالأضافة الى ميادين مختلفة أخرى كالنحو، الأداب، العلوم، الموسيقى والفنون ، أثَّروا بها على الأجيال اللاحقة»(5) وعليه سيكون تفصلا لهذه التأثيرات في الفصول القادمة .

2-أهم المدن الثقافية ودورها بالجزائر العثمانية :

لا شك أن الأوضاع السياسية المضطربة، لم تكن عائقا في تطور المدن خلال الوجود العثماني بالجزائر، بل عرفت نموا سكانيا وثقافيا، بحيث كانت تشع بمدارسها ومساجدها ثقافية، يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا ، وعليه سنتعرض الى أهم المدن الجزائرية التي زارها الرحلة الأوربيين و العرب ووصفوا مدنها من حيث المكانة الإقتصادية و العمرانية

1- أحمد التوفيق المدني، حرب الثلاثين سنة، المرجع السابق ص167

2- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص.ص 123- 134

3- محمد منوفي ، ملامح من تطور المغرب العربي في بداية العصور الحديثة ،أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسية ، 1979 ص.ص 86 - 87

4- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 16-20 م،ج1 ، ش.و.ن.ت ، ص35

5- نفس المرجع ا ،ص.ص 35-36

1-2 مدينة الجزائر : العديد من الكتابات المحلية أو الأجنبية وصفت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني سواء كان من الطبقة الفكرية أو الرحالة على أنها ذات طابع تجاري ، ذكرها "إبن حوقل" قبل ذلك في القرن 4هـ/ 6م حيث يقول :« الجزائر بني مزغنا، مدينة عليها سور على سيف البحر، وفيها أسواق كثيرة، ولها عيون على البحر، ولها **جزيرة(1)** في البحر على رمية السهم».**(2)**، أما القرن 6هـ/ 12م قد ذكرها "الإدريسي" بقوله « من شرشال الى الجزائر بني مزغنا سبعون ميلا ومدينة الجزائرعلى ضفة البحر، وهي عامرة ، آهلة، تجارتها مربحة، أسواقها قائمة، وصناعتها نافقة ، ولها بادية كبيرة ، ورجال فيها قبائل البربر...»**(3)** كما ذكرها "التمجروني" في القرن العاشر الهجري الموافق السادس عشر الميلادي حيث يقول «هي عامرة، كثيرة الأسواق...رياسها موصفون بالشجاعة، وقوة الجاه ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم، فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير، فبلادهم بذلك أفضل جميع بلاد إفريقية، وأعمر وأكثر تجارا وفضلا وأنفذ أسواق وأجود سلعة ومتاع حتى أنهم يسمونها إسطنبول الصغرى»**(4)** في نفس الفترة وصفها "ليون الإفريقي" سنة 921هـ/1515 م فيقول «مدينة الجزائر كبيرة جدا تضم 4.000 كانون أسوارها رائعة ومتينة جدا مبنية بالحجرالضخم، فيها دور جميلة ، وأسواق منسقة كما يجب، ويحيط بالجزائر عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار وفواكه ويمر قرب المدينة من الجهة الشرقية نهرنُصِّبَتْ عليه طاحونات تزود السكان بالماء للشرب ولأغراض أخرى، وفي الضَواحي سهول جميلة جدًا»**(5)** أما خلال القرن 11هـ/17م عرفت مدينة الجزائر إزدهارا ورخاء كبيرين نتيجة الأموال القادمة من البحر، بالإضافة الى الذهب المجلوب من بلاد السودان **(6)**، وبعدما كانت مدينة الجزائر قبل العهد العثماني مرسى صغير ، تحولت إلى مرسى كبير، يستقبل مختلف السفن والبضائع، ويقصدها تجارالداخل والخارج على السواء، فتحولت من قرية صغيرة إلى عاصمة لكل البلاد.**(7) (انظر الملحق ص160)**

1- ألجزيرة التي يقصدها ابن حوقل هي "جزيرة البينون" والتي تبعد على ميناء الجزائر بـ 60 متر أصبحت جزء من الميناء في عهد الأتراك، أنظر محمد دراج مذكرات خير الدين بربربوس، ط[1]، شركة الأصالة للنشر والتوزيع،2010، ص.ص 131-135

2- إبن حوقل ، صورة الأرض ، دار الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ،ص.ص 77- 78

3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2002، ص 258

4- أبو الحسن التمجروني ، النفحة المسكية في السفارة التركية ، (د.ت) ، (د. م) ، ص.ص 139- 140

5- حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، ج1، الطبعة 2 ، دار الغرب الإسلامي ، سنة 1983، ص 37

6- Emerit, (M) Un doucement inédit sur Alger Au 17eme siècle, Alger,1959 ,p 233

7- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 164

وبذلك إحتلت مدينة الجزائر مكانة الصادرة في مدن المغرب الأوسط في العهد العثماني، وإنتزعت الأهمية التي كانت لتلمسان وبجاية في القرن 10هـ/16م، كما وصل نفوذها وسلطانها إلى الجهات الثلاثة المسكونة بالجزائر الشرق والغرب وإقليم الجنوب لموقعها إستراتيجي و كونها أنها مدينة ساحلية ، تحميها جبال بوزريعة من الجنوب ووادي الحراش من الشرق، بالإضافة لموقعها على سهل ومتيجة مكنها أن تكون عاصمة سياسية للبلاد **(1)**.

مما لا شك فيه أن مدينة الجزائر خلال تلك الصيرورة التاريخية كانت من المدن الدولية المعروفة آنذاك بثقلها الثقافي بحيث حملت في طياتها مختلف الفنون الثقافية التي إنعكست على الحياة اليومية للفرد الجزائري - وسنفصل في الموضوع في الفصول القادمة - لقد إحتوت مدينة الجزائر على إرث مادي كبير من إنتشار المقاهي والبازارات والدكاكين والمخازن والأسواق، كما وصل عدد أحيائها إلى خمسين حي **(2)**

ضف الى ذلك نظام الشوارع المحكم وما تحمله من ارث ثقافي، بحيث لكل شارع صناعة لمتخصصين في حرفة معينة ، ويُنظم في المدينة سوق كبير مرتين في الأسبوع يأتي إليه السكان المدينة والمناطق المجاورة بكل أنواع الفواكه والحبوب والدواجن ...**(3)** وقد وصل عدد أسواق مدينة الجزائر أربعون سوقا، يقوم جماعة البْسَّاكرة على حمايتها، حيث يتوزعون على الحوانيت والمخازن**(4)** ويذكر"هايدو"«أن عدد حوانيت يقارب ألفّي حانوت، وهو ما يعكسن إزدهار الحياة التجارية»**(5)** إذن نَتَصَوَرْ التأثيرات الثقافية الناجمة عن هذا اللقاء داخل الأسواق لتبادل الخّبرات الفكرية والمهنية المختلفة ... ! وقد أسهبت الباحثة "عائشة غطاس" في الموضوع بحيث قالت «إتضح لنا من خلال الدراسات والأبحاث الخاصة بهذا المجال أن قائمة الحرفيين تضم تسعة وتسعين مهنة »**(6)** إن التنوع في مختلف الحرف هذا يعني تنوع في الثقافات فكل مهنة تحمل معها رموزا ثقافية لفئة معينة

1- أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1، نفس المرجع السابق ، ص 164

2–Raymond,(A), Grandes Ville arabes à L'époque ottomane , Paris,1985, p 135

3- Nicolas de Nicolay, Les quatre premiers livres de navigation orientale, Lion,1968 PP 17- 18

4- Raymond,(A) ,Op .Cit, P 14

5- Haedo,(F.D), Topographies et histoire générale d'Alger, traduction : De Monnerau et Berbrugger, in revue africaine,1871,P56

6- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م) أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر،كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، 2000-2001م، غير مطبوعة ، ص 152

من السكان. ولا يمكن أن نستثني المرآة التي لعبت دورا بارزا في المجال الصناعي كمنتجة ومستهلكة معا ،ومن الأعمال التي كانت من صنعها الحلي والمطرزات(1).

وبنشاطها الصناعي(الجزائر) وتوفير حاجات مختلف السكان والذي يكفي متطلبات المدينة ويصدر منها الى المدن الأخرى، لدليل على أن الجزائر لم تكن عاصمة سياسية فقط أو تعتمد على مداخيل البحر،(2) زد على ذلك أن هذه الصناعات كانت تُعبر عن التَّرف والوفرة والرفاهية كصناعة الملابس المطرزة بالذهب والفضة وصناعة **القَلاَنِسْ**(3) والملابس الرقيقة الداخلية (4) ويقول "بانيتي"(Pananti)«إن الصناعة الجزائرية جلبت أنظار التجار الأجانب الذين كانوا يستهلكون كل ما تنتجه المصانع المحلية بصورة مستمرة»(5).

إن الصناعة الجزائرية إرث ثقافي و صورة من صور الإبداع الفني ومن خلال الكتابات الأجنبية لتلك الفترة نستنتج قوة التأثر الجانب الحرفي والثقافي للشعوب المجاورة وما وراء البحر بثقافة مدينة الجزائر .

2-2 **مدينة قسنطينة** : لقد ذكرت مدينة قسنطينة في الكتب السابقة للعهد العثماني وصفها "البكري" بقوله:«يسكن قسنطينة من أهل ميلة(6)، وقبائل **نفزّاوة، وكتّامة** (7) وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة » (8)، كما يذكرها "الإدريسي" بقوله:«...مدينة قسنطينة عامرة، وبها أسواق وتُّجار، وأهلها مُيَّاسِيرُ ذُوأموال وأحوال واسعة،...».(9)

1- أبو القاسم سعدا لله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1، المرجع السابق ، ص 193

2- Estry,(S), histoire d'Alger, Tours, 1841, P 131

3- القلانس: صناعة الشَاشِيَاتْ

4- Boyer, (P) Op. Cit, P 184

5- Pananti, (F), Relation d'un séjour à Alger ,Paris, 1820, P 361

6- ميلة : تقع ولاية ميلة في شرق الجزائر وتبلغ مساحتها 9875 كم^2، يرجع تاريخها الى العصور الحجرية،برزت في العهد النوميدي، كالمدينة الهامة في عهد ماسينيسا وسميت بعدة ألقاب (ميلو، ميديوس،ميلاف...) أنظر منتدى الشروق على الموقع الإجتماعي www.montada.echoroukonline.com بتاريخ 2015/01/12

7- **نفزّاوة و كتّامة: كتامة** « قبائل عظمة، كانوا من لدن الفتح معتزين ... ملكوا المغرب بإسم بني عبيد، وظهر منهم أمراء عظام مثل " حباسة بن يوسف" أمير برقة وفيهم بيوتات من آل البيت عليهم السلام ». أما **نفزاوة** « ... مواطن نفزاوة جنوب قسنطينة غربي الجريد... ولهم بطون في جميع أقسام المغرب ...بالأوراس وتاهرت و بجاية ...» أنظر محمد المبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث تقديم وتحقيق محمد الميلي، م. و. ك ، الجزائر ، (د.ط)، ج2 ، 1989، ص.ص 216-222

8- البكري ، كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، (د.ت)، بغداد، العراق، ص 63

9- الشريف الإدريسي ، المصدر السابق ص 121

وصفها "حسن الوزان"« بأنها مدينة ذات أسواق عديدة وحسن التنسيق، وأن جميع الحرف مفصولة عن بعضها البعض، بالإضافة إلى العدد الكبير من التجار الذين يمارسون تجارة الأقمشة الصوفية المصنوعة محليا.»(1) كما ذكرها الرحالة الأجانب من بينهم "مرمول" فيقول : «هي مدينة غنية ، بها عدد من التجار والصناع، ولكن موردها الأعظم وتجارتها أكثر ربحا في إرسال القوافل إلى نوميديا، وإلى ليبيا، محملة بالمنتجات الصوفية والكتانية والحريرية والزيت، وتعود منها بالتبغ والتمر والعبيد السود فهي أكثر بلاد البربر تجارة في هذه الأشياء.»(2)، وفي أواسط القرن السابع عشر يذكرها "دانتي":«أنه كان بقسنطينة حوالي 8.000 عائلة وسُكانها كلهم حرفيون وصناع (3)، وفي أواخر القرن السالف الذكر أن عدد سكان المدينة كان حوالي 10.000 نسمة وكلهم أغنياء(4) حتى إن مدينة الجزائر كانوا ينتظرون **دنوش**(5) مدينة قسنطينة بشغف كبير، بالنسبة إليهم كان مناسبة إجتماعية كبيرة (6)

إكتسبت مدينة قسنطينة هذه المكانة ، لِكونها عاصمة بيلك الشرق ، حكمها الشِّبْهُ مستقل عن السلطة المركزية، إلى جانب أنها أكبر المدن من حيث المساحة والسكان، وتركيبتها السكانية لا تختلف عن تركيبة الجزائر العاصمة، زِد على ذلك كونها مدينة داخلية محصنة طبيعيا، وقريبة من تونس (7) . أما مرتبتها الثانية في الجزائر يرجع إلى كون مدينة وهران كانت طول مدة الوجود العثماني تحت سيطرة الإسبانية إلى غاية تحررها عام 1206هـ الموافق لـ 1792م من طرف محمد بن الكبير، في الوقت لم يبقى لمدينة تلمسان شيئا يذكر بسبب ضعفها خلال العصر العثماني

1- حسن الوزان،، المصدر السابق ص56

2- كربخال مرمول، إفريقيا – ترجمة محمدحجي وآخرون- ج3، مكتبة المعارف ، الرباط، 1989، ص 11

3- Davity, (P), Description générale de l'Afrique, Paris, 1660, p 210

4-Dapper (0), Description de l'Afrique, Amsterdam, 1665, P 186

5-الدنوش : هي المساهمة البيلكية الفصلية أو السنوية يقدمها الباي بنفسه للداي الجزائر وهي بمثابة عرس وطني.

Benchnab (M), Op,Cit, P42:

6- - أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص171

7- ، نفس المرجع ، ص.ص : 169- 170

لم تختلف مدينة قسنطينة من حيث التركيبة السكانية عن مدينة الجزائر، فكان العثمانيين في أعلى الهرم السكاني بالمدينة بالرغم من قِلتهم، ثم يليهم الكراغلة الذين كانت لهم الأفضلية عن السكان الأصليين، دون أن يرتقون إلى السلطة، بإستثناء الحاج أحمد باي (1242-1253هـ الموافق لـ 1826-1837م) هو الوحيد الذي وصل إلي رتبة باي (1)، ثم فئة الحضر وهم الكثرة الغالبة، تشمل العائلات القديمة التي إستوطنت المدينة ثم حضر الأندلس، وبجاية ،وتونس، وغيرها من المدن(2)، كما قصدت المدينة قبائل أهل الزواوة للعلم والتجارة ، والعمل فإحترفوا صناعة الأسلحة والبارود، وإتقان صناعة الجلد والزّرابي وحياكة البرانس الرقيقة (3)

كما تنقسم مدينة قسنطينة إلى أربعة أحياء رئيسية بالإضافة إلى العديد من الأحياء الفرعية، والملاحظ أننا لا نستطيع التفرقة بين الأحياء بوضوح (4)، من أهم شوارعها الشارع الكبير القادم من باب الوادي إلى رحبة الصوف، بحث تتنوع فيه المهّن مشّكلة بذلك سوقا كبيرا ...(5)، الى جانب شارع الشط، مشغول بالدباغين (لوفرة المياه) ويقع في الجهة الشرقية للمدينة(6)، أما الشارع العلوي للمدينة فهو معروف بالعطارة، والصباغة والحدادة والخرازة، (7) يوجد شارع سفلي خاص بسوق **الغرابله**(8)، والنجارة و**الرقاقين**(9).

1- Temimi (A) , Le beylik Constantine et Hadj Ahmed Bey , Tunis, 1978,P 56

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1 نفس المرجع السابق، ص 170

3-Temimi (A) , Op. Cit, PP : 55-56

4- فاطمة الزهراء قشي ، قسنطينة المدينة والمجتمع (من أواخر القرن الثامن عشر إلي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي)، أطرحة دكتوره الدولة في التاريخ الحديث، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة تونس الأولى ، 1998، ص 283

5- Mercier (E), Constantine avant la conquête française, in Revue Africaine, Vol 19,1875 ; PP:51-52

6- Peysonnel (L), Et Desfontaines, Voyage dans les régences de Tunis et d’Alger, tome 1,Paris,1838, P341

7- Mercier(E), Op. Cit, PP:51-52

8- الغرابله :صانعوا الغربال الذي يصّفى فيه الدقيق بعد مروره على الرحى، أنظر عائشة غطاس ، المرجع السابق، ص152

9- الرقاقين: صانعوا القِّرَبْ الخاصة بالشرب والتخزين، أنظر نفس المرجع ، ص152

بالإضافة الى شوارع ذات الصّفة الأفقية و المتوازية مشغولة بفن صناعة الصياغة **والبرادعة**(1) **القزازين** (2)...» (3) .

3-2 **مدينة تلمسان** : يذكر "أبو القاسم سعد الله" أن تلمسان لم يصبح لها الدور الكبير في العهد العثماني، فقد فقدت سمعتها وقيمتها بسب إحتلال الإسبان لمدينة وهران الذي أثر سلبا على المدينة، فأدى الى تدهورها إقتصادي والذي إنعكس سلبا على سياستها في القرن السادس عشر ميلادي (4)، زارالمدينة "ليون الأفريقي" سنة 923هـ الموافق لـ 1517 موصف لها قائلا:«... ينقسم جميع أهل تلمسان الى أربعة طبقات:الصّناع، التّجار،الطّلبة، والجنود، التجار أناس منصفون ومخلصون جدًا وأمناء في تجارتهم يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، أهم أسفارهم التجارية هو الذي يقومون به الى بلاد السودان...، والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة،...،أينما وجهت نظرك رأيت التجار والصناع...».(5) وتحدث "مرمول" عن سكانها قائلا: «...السكان منقسمون الى ثلاثة طوائف : طائفة التجار، طائفة الصناع وطائفة النبلاء التي تضم الصناع والمحاربين، الأولون أناس طيبون، أوفياء في تجارتهم، معتزون بنظام الحضارة وحسن التدبير ومهذبون مع الأجانب...والصناع أناس بسطاء ولطفاء يعتزون أنهم يعملون بأدب ويصنعون أشياء متقنة...»(6)، مع العلم أن مدينة تلمسان في عهد **أبي تاشفين**(7) كانت في عظمة بمكان، ضمت 16.000 دار مسكونة، تقام بها أغنى تجارة بإفريقيا(8).

1- والبَرْادَعَةُ: صانعوا البردعة التي توضع على ظهور الحمير ، لحمايتها من الضرر عند حمل الثقل أو لراحة الركاب الدين ينتقلون عبر الأحياء أنظر : فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ص268

2- القَزَازِينْ:صانعوا خيوط الحرير والْقِيَاطُ ، مع العلم أن هذا الخيط الأخير يستخدم في حياكة المَجْبُودْ والجبادوري نوع من ألبسة التقليدية الفاخرة خلال العهد العثماني ولازال وجود هذا النوع من الألبسة قائم إلى يومنا الحاضر بإعتباره من ثرات الثقافي، من أشهر الولايات المعروفة بهذه الصناعة الى جانب قسنطينة ، الجزائر العاصمة ،المدية ، مستغانم، تلمسان، نفس المرجع ص268

3- Mercier (E),Op. Cit, P :80

4- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 نفس المرجع السابق ، ص 171

5-حسن الوزان، المصدر السابق ص.ص 19-21

6- كربخال مرمول، المرجع السابق ج2، ص 300

7- أبو تاشفين عبد الرحمان الأول 718هـ 737/ 1318 1837 تولى الحكم بعد إغتيال والده السلطان أبي حمو موسى الأول. أبعد أقاربه الى الأندلس حتى يطمئن على سلامة ملكه من أهم منشآته المدرسة التاشفنية، حرب مغراوى وغزّى بجاية، وقسنطينة، الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،(د.ط) د. م.ج ، الجزائر 1995ص.ص 88-89

8- كربخال مرمول، المرجع السابق ص 302

كما وصف تلمسان آخرون ، يقول "العبدري" :« تلمسان مدينة كبيرة سهبية جبلية جميلة المنظر، مقسومة الى إثنين بينهما سور ، ولها جامع مليح متسع، وأهلها ذو ليانة لا بأس بأخلاقهم...»(1)، إن تحرش الإسبان لسواحل البلاد في بداية القرن السادس عشر دفع إلى هجرة العائلات الغنية والعلمية التلمسانية الى المغرب الأقصى فرارا من الإسبان، بحيث زاد هذا التّخوف عند دخول العثمانيين إلى تلمسان ، وعلى إثر ذلك فقدت المدينة عددا كبيرا من سكانها ذو ي النفوذ الإجتماعي والتأثير العلمي...(2) وبذلك تأرجّحت إلى المراتب الثانوية من حيث الأهمية الإقتصادية والفكرية. لكن في عهد **محمد عثمان باشا**(3) ثم بعده **محمد باي الكبير**(4) إستقرت الأوضاع نسبيا، فأثرث بالإيجاب على النشاط الإقتصادي والإجتماعي ، شاركهم في هذا الإزدهار الأندلسيون النازحون من إثر الإضطهاد الإسباني. وبعد إندماجهم في المجتمع التلمساني نتج عنه فئة الحضر فكان منهم العلماء والأدباء والفنانون ...(5) بالإضافة الى الكراغلة الذين عاشوا غرباء فترة من الزمن ثم إندمجوا في المجتمع التلمساني هم أيضا، تاركين مركب التفوق الذي طالما تشبثوا به لكونهم من سلالة الأتراك(6) ولا يمكن أن نستثني فئة اليهود هي الأخرى التي كان لها دورا في المدينة، مارسوا فن صناعة الحلي التي كانت أبرز إختصاصاتهم وبيعها (7)، حيث وصل عددهم في المدينة 3.000 يهودي خلال القرن 11هـ/17م (8)، أما فئة الزواوة كانت تمثل اليد العاملة في المدينة. وعموما إتصف سكان تلمسان بالطّيبة والتّحضر(9)

1- أبو عبد الله محمد العبدري ، الرحلة المغربية ، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة ، (د.ت)،ص 9

2- أبو القاسم سعدا لله،تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 نفس المرجع السابق، ص 172

3-محمد عثمان باشا : داي الجزائر(1766هـ/1791م) تولى الحكم بوصية من الداي علي باشا ، لقب بالحاكم المصلح والداي المجاهد دام حكمه قرابة الربع القرن من الزمن، أنظر أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا ... (د.ط)، دار الصائر، 2009، ص.ص 101-102، 120-121، أو أحمد الشريف الزهار لنفس المؤرخ، ص.ص 36-44

4- محمد باي الكبير : هو محمد بن عثمان بن إبراهيم باي وهران ، لقب بمحمد الكبير بعد فتح وهران ، بعدما كان باي معسكر ما بين (1779- 1796 م) حارب الإسبان حتى أخرجهم من وهران سنة 1206هـ / 1792 م، نظر أغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر ، 2009، ص 295

5- شريفة طيان ،الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، المرجع السابق ص.ص 45-46

6- محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، م.و.ك،الجزائر ، 1984، ص238

7- حسن الوزان، المصدر السابق ص 21

8- Davity, (P) ,Op Cit, PP 170-171

9- Dapper (O), Op Cit, P 60

مدينة تلمسان ذات الشوارع العريضة والواسعة، يظهر فيها التجار بهيئة جديدة، وملابس نظيفة (1). وفي القرن الثامن عشر الميلادي يصف "أرفيو"(Arvieux) «أن تلمسان تتميز بفن صناعة البرنوس ذو الوجهين ...(2) والصناعة الحريرية والزرابي الذين يتاجرون بها مع الزنوج (3) .

وعليه فإن مدينة تلمسان لم تكن تختلف عن المدن الأخرى في الجزائر فقد عرفت نفس المصير السياسي والأوضاع الإجتماعية والثقافية التي عرفتها البلاد .

4-2 وهـران:وصف المؤرخون وكذا الجغرافيون أن مدينة وهران قبل القرن السادس عشر الميلادي «...وهران مدينة بحرية مسورة يقلعون منها إلى الأندلس...»(4)، ويصفها "البكري" «...بأنها مدينة حصينة ذات مياه سائحة، وأرجاء وبساتين ولها مسجد جامع...»(5) أما في سنة 549هـ/1154 م تحدث عنها "الإدريسي" أشادة بإتساع عمرانها بقوله: «... وهران على مقربة من البحر الملح وعليها سور تُراب متقن وبها أسواق وتجارة نافعة وهي تقابل مدينة المرية(ألميريا) من ساحل الأندلس...»(6) أما "يقوت الحموي" فيقول عنها «...هي مدينة صغيرة على ضفة البحر وأكثر أهلها تجار لا يعدو نفعهم أنفسهم ومنها الى تنس ثماني مراحل»(7). **(انظر الملحق ص162)**

في مطلع القرن العاشر الهجري الموافق لسادس عشر الميلادي إحتلها الإسبان 1509م بعد إحتلال مدينة مرسى الكبير سنة 1505، حاول الأتراك تحريرها العديد من المرات ، ولم يتمكنوا من إخراج الإسبان منها إلا في سنة 1207هـ/ 1792 م وعلى يد محمد عثمان الكبير، الذي عَمَرَهَا وأعاد حيّويتها من جديد (8)

1- Sanson (N), l’Afrique , Paris , 1656 ,P2

2- Arvieux (Ch.), Mémoire du chevalier d’Arvieux, T1, Paris, 1735, P285

3- Blismon, Notice topographique sur le royaume et la ville d’Alger, Paris,1830, P56

4- المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الإقليم ، ط3، مكتبة المدبولي، 1991 ، ص 229

5- البكري، المصدر السابق ، ص 70

6- الشريف الإدريسي ،المصدر السابق ، ص 105

7- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج 5 دار صادر ، بيروت ، 1957، ص 385

8- يحيى بوعزيز ، مساجد وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1985 ، ص.ص 63- 64

سكان مدينة وهران كان قليلا نسبيا، و يختلف من فترة زمنية إلى آخري بسبب خضوعها مدة طويلة للأسبان (1) وهران مهبط التجار **القطلونيين**(2) **والجنونيين**(3) ومازالت بها دار تسمى دار الجنوبيين لأنهم كانوا يقيمون بها (4) شوارعها ضيقة، سكانها نَسَّاجِينُ وصانعي **الجّوخ**(5) عامرة بالتّجارالأجانب القادمين من إسبانيا، جنوى **والبندقية***.(6). لوهران علاقات تجارية مع دول جنوب الضفة المقابلة من البحر المتوسط على الخصوص فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، حيث تُصّدر لهذه الدول الجلود، والصوف خاصة صناعة الحّايكة البرنوس ذي اللون الأسود مُزّود برسومات متعددة، بالرغم من ذلك تبقى وهران أقل أهمية من مدينة الجزائر. (7)

5-2 مدينة المدية : وصفها "حسن الوزان" المدينة في القرن العاشر الهجري الموافق لِـ السادس عشر الميلادي « المدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد **ثمانين ميلا**(8) من البحر المتوسط وتقع في سهل خصيب جدا تحيط بها جداول ماء كثيرة وبساتين، سكانها أثرياء، لأنهم يتاجرون مع نوميديا ويرتدون لباسا أنيقا ويسكنون دورا جميلة، إلا أن الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات ولا يستطيع ملك تلمسان أن يدافع عنهم ولا أن يسيطر

1- أبو القاسم سعدا لله،تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،المرجع السابق، ص 179

2-القاطلونيين:نسبة إلى إقليم قاطاونيا أو كتلونيا - Les kAtalons - بشرق الأندلس (إسبانيا) حاضرتها برشلونة، أنظر www.ar.wikipedia.org، ليوم 2014/11/15

3- الجنونيين: نسبة إلى جنوه بالإيطالية(Genova)، مدينة وميناء بحري شمال إيطاليا، عاصمة إقليم "ليغوريا" ومقاطعة جنوه أنظر www.ar.wikipedia.org.، ليوم 2014/11/15

4- ليون الأفريقي، المصدر السابق ، ص 30

5-الجوخ: اللّباد (Feltro)، قماش مصنوع من الصوف الناعم بشكل كامل أو بنسب منه، يصنع بنقع ألياف الصوف بالماء وضغطها على شكل مستوي أو على شكل قالب محدد مثل قبعة أو طربوش أو أي شكل آخر مطلوب، ثم تلون باللون المطلوب.أنظر www.ar.wikipedia.org، ليوم 2014/11/15

*البندقية :أو فينسيا (*Veneziano*)، وهي تحريف للكلمة الإطالية بونادوشيا أي الدوقية الجميلة ، كانت جمهورية مستقلة يحكمها الدوج، تقع شمال شرق إيطاليا تطل على البحر الإدياتيكي، وهي اليوم من أجل المدن الإيطالية ، حيث يطلق عليها المدينة العائمة أنظر www.ar.wikipedia.org، ليوم 2014/11/15

6- Dapper (O), Op Cit, P : 67

7-Rozet,(M), Voyage dans la régence d’Alger, t3, Alger, 1833, PP : 271-272

8- ثمانين ميلا : 1 ميل مقياس للطوا ل = 1609 متر - إذن فهي بعيدة عن البحر ما يعدل 116,240 متر- ولكن في الواقع أنها بعيدة عن الجزائر بـ 52 ميل ما يساوي 75,556 متر، أنظر قاموس المعاني على الموقع الإلكتروني www.almaany.com، تاريخ 2015/03/04

عليهم لبعدهم عن هذه المدينة بنحو 200 ميل، وكانت تابعة **لأمير تنس(1)**، ثم خضعت لبر بروس "عروج" ولأخيه " خير الدين"...»(2) (انظر الملحق ص161)

كما يذكر" الوزان" «أن سكان المدينة ذات نشاط ومرح كبيرين وكرم، لأن الغريب في لأمر سكانها يحبسون الضيف لكرمهم »، يقول أيضا «قد حصلت في الشهرين على عشرات المثاقيل بضائع، والنفوذ وماشية حتى هممتُ أن أستّقر بهذه المدينة ...»(3).

وعليه مدينة المدية سكانهما أثرياء ومتحضرين ويتضح ذلك من خلال الترحاب الكبير بالضيف وحسن إكرامهم له، وإن كثرة البساتين تعني التعلق الكبير للسكان بالطبيعة، وبالتالي مَيْلِّهِمْ إلى الفنون، ولهذا لم تختلف عن مدينة الجزائر بشكل من الأحوال

2-6 مدينة عنـــابة : سميت قديما (بونة) ثم سماها العرب عنّاب لكثرة فاكهة العنب بها،عرف أهلها بصناعة البرنوس والسُّروج والزرابي(4)، سكان المدينة ظرفاء، عددهم يقدر بـ 3000 موقد أي ما يعادل 21 ألف نسمة، وتعرف بكثرة المُّرجان (5) و أجود أنواعه المرجان الأحمر، بالإضافة الى الأبيض والأسود، وتملك في هذا المجال مؤسسة تجارية لصيده.(6). عنابة مدينة ساحلي، تطل على البحر المتوسط، بها مرسى أساسي لإقليم قسنطينة ونشاط الشركات التجارية الأجنبية حيث يرتدّون عليها التجار للقيام بأعمالهم التجارية (7) ومما زاد في أهمية المدينة كما يذكر "دفيتي(Davity) «إن عنابة من أغنى المدن الجزائرية من حيث مادتي **الكوارتز** و**الميكا***...»(8).

1- أمير تنس : هو السلطان حميدة العبد ، جرده عروج من الحكم سنة 1517 م ، ثم أرجعه الى سُدة الحكم أخوه خير دين بربربوس الى السلطة، قائد قبيلة سويد العربية (قبيلة محال)، كانت له سلطة واسعة على القبائل العربية في حدود مملكته كل من شلف، تنس، مازونة ومستغلنم، توفي سنة 925هـ /1545م أنظر Haido.De (F),Histoire des rois d'Alger,Traduite et annotée par de Grammont, Alger,1881

2- حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 41

3- حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص.ص 41-42

4-Poiret, (A), Voyage en Barbarie, paris ;1789,P 167

5- حسن الوزان،المصدر السابق ، ص.ص 61-62

6- Laugier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam, Paris ,1728 P : 132

7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق، ص 173

*الكوارتز والميكا :الكوازتز حجر جميل ثاني أكسيد السيلكون رمزه الكيمائي (SiO2) عنصر أساسي في الصناعات الإلكترونية ، أما الميكا فهو مجموع معادن سيليكات لا يختلف عن الكوارتز في جمال كحجر يستخدم كمادة عازلة، أنظر الموقع الإلكتروني www.coins4arab.com ،تاريخ 2015/01/20

8- Davity, (P), 0p. Cit, p: 213

يصفها "الإدريسي" بقوله« ...مدينة بونه وسط، ليست بالكبيرة و لا بالصغيرة... ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح موجودة، وكان فيها الكثير من الخشب جّيد الصّفة، ولها بساتين وشجر، وبها معادن الحديد الجيدة...»(1)

وعليه مدينة عنابة كانت بما كان من المدن الهامة في الجزائر حيث لعبت الدور الإقتصادي والتجاري بفضل مينائها المطل على البحر المتوسط وقربها الى جنوب أوربا وإمتزجت بثقافة سكانها من فئات مختلفة لم تختلف هي الأخرى عن ثقافة مدينة الجزائر

7-2 مدينة القـــالــة : مدينة ساحلية ، أول ميناء في شرق الجزائ، تبعد عن مدينة عنابة بـ13 الى14 **فرسّخ**(2) منازلها خاصة بالضباط وصيادي المرجان (3)، إستثمرها الفرنسيون في نفس المجال (صيد المرجان) في معاهدة مبرمة مع الداي مقابل دفع نقود ذهبية تفوق قيمتها 34الف **ضبلون**(4)، كما أن ألوان المرجان جميلة جدا تفوق كل وصف حسب "دوبروف"(De Brèves)(5).

وصف مدينة القالة إبن حوقل من قبل فقال «... وهي مرسى الخرز وفيه معدن المرجان، غير أنها نبيلة بمكان المرجان وحضورمن يحضرها من التجار...»(6)،أما البكري فقال عنها «...بشرقي المدينة بونه مرسى الخرز فيه المرجان وهي مدينة قد أحاط بها البحر، عليها سور وبها سوق عامر...»(7)

مدينة القالة كغيرها من المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، توفر المرجان و هو أجود من مرجان إيطاليا وبقيمة عالية ورفيعة جعل المدينة مطمع الدول الأوربية لعملية الإستثمار وعلى رأسها فرنسا وتنبثق من هذه الثروة صانعة الحلي والتي لا زالت مَأثرة الى يومنا الحاضر، تُعبر عن موروث ثقافي محلي .

1- الشريف الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 154

2- الفرسخ: مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال (3 أميال) أي 5.350 متر أنظر قاموس المعاني على الموقع الإلكتروني www.almaany.com ،تاريخ 2015/03/04

3-Peyssonnel, (L) , Op, Cit , PP :166-167

4- الضبلون: عملة ذهبية إسبانية، وهو أكبر قيمة من لويزة التي هي عملة ذهبية فرنسية ، أنظر فهيمة رزقي، سكة الفترة العثمانية من خلال متحف سيرتا (قسنطينة)، رسالة لنيل رسالة الماجستير في التراث والدراسات الأثرية، غير منشورة ،جامعة قسنطينة ، 2010-2011، ص.ص 13-16

5-De Brèves, Continuation des voyages, Paris, 1628, PP :24-25

6- ابن حوقل ، صورة الأرض، المصدر السابق ، ص 76

7-البكري، المصدر السابق ، ص 55 ، أنظر أيضا ابن سعيد المغربي، "كتاب الجغرافيا" ، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982، الجزائر ، ص 143

8-2 مدينة مستغانم : مدينة ساحلية تعبد عن مدينة الجزائر بـ 350 كلم ، وهي تنتمي الى التّل الغربي (1)، المدينة مبينيه على هضبة ترتفع بـ 85م عن مستوى البحر وتبعد عنه ما يقارب واحد كلم ، كما تبعد على مصب وادي شلف من الغرب بـ 15 كلم ويقطعها من الداخل وادي عين الصفرة (2) .

جاء في ذكر البكري لمدينة مستغانم خلال القرن الخامس الهجري الموافق لـ 11م يقول: «... مدينة مستغانم هي على مقروبة من البحر، وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، ويبذر فيها القطن فيجّود، وهي بقرب من مصب شلف... »(3) كما وصفها الإدريسي في القرن الثانية عشر الميلادي حيث يقول «...هي مدينة صغيرة بها أسواق وحمامات ومياه كثيرة، وسور على جبل مطل الى ناحية الغرب ...»(4) في القرن الثالث عشر الميلادي يصفها علي بن سعيد المغربي فيقول« ... وفي شرقها (أي مدينة تنس) مستغانم، وهي أرض مغراوة وبينهما 60 ميلا ويصب في شرقها نهر شلف، وتقابلها على الساحل الأندلس دانية المسافة وبينهما ثلاث مجار ونصف، وفي شرقها مدينة الجزائر...» (5) أما في القرن التاسع الهجري (15م) أورد الحميري نصا مشابها لما جاء به كل من البكري والإدريسي، والواضح أنه منقول عنهما، بحيث لم يصف شيأ على ما ذكراه (6)، والمعروف عن الحميري أنه يعتمد في وصفه لبعض المدن على من سبقه من الجغرافيين والرحالة(7)، في نهاية هذا القرن عرفت مدينة مستغانم إنتعاشا اقتصاديا وتجاريا كبيرين في عهد قائدها "حميدة العبد" الذي أعاد بناء أسوارها(8)

1-Belhamissi (M),Histoire de Mostaganem, (des origines à l’occupation française) ; S.N.E.D, Alger ; 1976, P : 18

2-Priou (N),Oran et l’Algérie en 1887(notice historique, scientifique et économique), T2 ,0ran,1888,P :201

3- البكري، نفس المصدر السابق ، ص 737

4- الشريف الإدريسي ، المصدر السابق، ص 128

5- علي بن سعيد المغربي ، كناب الجغرافيا ، ط 1 تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروث ، 1970، ص 142

6- محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، دار القلم للطباعة ، لبنان، 1975، ص 558

7- المصدر المرجع السابق ، انظر مقدمة الكتاب ص4

8- هاينريش فون مالتسان ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ، ترجمة أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ج1، الجزائر ، 1979 ، ص2

الى جانب ذلك ينسب إليه المنزل الجميل الذي يوجد في وسط المدينة القديمة وعرف بإسمه (منزل حميدة العبد)(1)

في القرن السادس عشر الميلادي يصف لنا الرحالة "ليون الأفريقي" مدينة مستغانم حيث يقول :« أنها فقدت ثلثي أهلها في وقته ، ومع ذلك فإنها ما تزال تضم قرابة 1500 كانون (أي 500 منزل)، فأشار الى مسجدها الجميل ودُورِهَا ، ومياهها الكثيرة، وإلى الواد الذي يخترقها (القصد وادي عين الصفرة)، كما أشار الى الأراضي الخصبة التي تحيط بها ، وإلى البساتين الجميلة، كما يذكر أيضا إلى الصناع الكثرون، وميناءها الصغير، تقصده السفن الأوربية للتجارة، مع العلم أنها لم تكن تحقق أرباحا كثيرة بسب فقر السكان وصغر حجم الميناء»(2) إن الهجرة الواسعة للاجئين الأندلسيين في مطلع هذا القرن حقق شيئا من الإستقرار و الإنتعاش الإقتصادي والنمو السكاني بالمدينة وضواحيها (3) فعرفت زراعة القطن إنتشارا كبيرا في عهدهم(الأندلسيون).(4) وفي القرن السابع عشر الميلادي يصفها "مارمول كربخال" (Marmol Carbakhal) بنفس الوصف الذي وصفه حسن الوزان بإستثاء ذكره للحصن الذي يعلوا المدينة يقصد به حصن الترك ، ذكر وصف المنازل التي لا تخلو من الآبار، وجمال بنائها كما يتحدث عن المسجد الأنيق جامع أبي الحسن المريني الى جانب الطواحين والحدائق التي تتوزع على ضفتي وادي شلف ، كما يشير إلى حرفة أهل المدينة من نسيج وحياكة ولكن يغض الطرف عن ذكر مينائها والسورالمحيط بها .(5)

1-Boutin (M), Reconnaissance des villes forts et batteries d'Alger , publié par Gabriel Esquer, Paris, 1927 ; P : 35

2- حسن الوزان، المصدر السابق، ص 32

114- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة 1 ، سنة 2000، لبنان ، ص 558

3-Barbier (J.), Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Paris, 1855, P : 234

4- مرمول كربخال ، المرجع السابق ، ص 350 انظر أيضا أبو القاسم سعد الله ، نفس المرجع السابق ص167،

5- Show (T), Voyage dans la régence d'Alger, Trad., De l'Anglais : Maccarthy, Paris, 1850 P : 237

وفي القرن الثامن عشر الميلادي عرفت مدينة مستغانم إنعاشا كبيرا لنشاطها الإقتصادي والتجاري والعمراني تحت سلطة الباي مصطفى بوشلاغم سنة 1732م فكانت عاصمة بايلك الغرب ، حيث قام ببناء عدة منشآت عبركامل الأيالة ، كما ينسب إليه بناء حصن الترك(1)

كما وصف الرحالة شو(Shaw)ا المدينة في نفس الفترة أنها مدينة جميلة بقوة أسوارها التي تحيط بها، مبنية بحجارة مشذبة ، تُحرس الجهة الشمالية الغربية من البحر ، كما يشير أيضا الى حصن الترك الذي يعلو المدينة ، ويراقب المدن المجاورة.(2)، إن المدينة كانت أهم مراكز بيلك الغرب بعد تلمسان، ويعود ذلك لدور المهاجرين الأندلسيين. بعد قدومهم خلال القرن 16م و 17 م إلى الجزائر(3)، فإرتفع عدد سكانها، حسب تقرير الضابط الفرنسي (Pellion)، فإن سكان مدينة مستغانم قدر بـ 2500 نسمة خلال القرن الثامن عشر ميلادي، لكن بعد تحرير مدينة وهران من الإسبان سنة 1207هـ/1792م، إستمر في الإنخفاض حتى وصل الى2000 نسمة ما بين (1833-1834م).(4)، يذكر (Boutin) أيضا سنة 1808 «إنها مدينة صغيرة محصنة لا توجد بها حركة تجارية (5)، كما إنها مدينة استطاعت أن تُقاوم الهجمات الخارجية بفضل حصنها الذي يقع على مرتفع من المدينة (حصن الترك)، محاط بـ15 الى 20 مدفع(6).

إن منطقة مستغانم مقسمة الى جهتين الأولى على اليسار وادي عين الصفراء تُقِّيُم بها طبقة غنية وغالبا تتكون (من الطبقة الحاكمة) يقصد بها **الطبانة***.

1- الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران ... المصدر السابق، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1990 ،ج1، ص.ص 275- 276

2- Shaw(T), Op. Cit, P : 237

3-Boutin (M), Op. Cit, P : 09

4-محمد غانم ،مدينة في أزمة مستغانم في ماجهة الإحتلال الفرنسي (1830-1833م) ، مجلة انسانيات، العدد5، ماي، 1998 ، ص66

5-Boutin (M), Op,Cit, P : 124

6- Ibid, P: 63

***حي الطبانة**:كلمة عثمانية مصدرها عسكري تعني بطارية عسكرية بها المسجد المريني الّذي بناه السلطان الحسن علي المريني و مستغانم كانت خاضعة لسلطان الدولة المرينية في أواخر القرن 7 هجري و القرن 8 هجري أنظر منتدى الضيافة العربية من خلال الموقع الإلكترونيwww.xplainer.net بتاريخ 2015/04/21

أما الجهة اليمنى يقيم بها جنّد الأوجاق، وعامة الناس ويقصد بها حي **تجديت والمطمر***(1) يربط بين الجهتين جسر من خشب (2)

نستخلص مما سبق أن المدن السالفة الذكر كانت في واجهة الأهمية للوجود العثماني بالجزائر، برزت قوتها بإعتيبارها إما كانت مدن ذات أسبقية التجارية ، صناعية أو لموقعها الإستراتجي،سواء على الساحل أو في الداخل من جهة أو من المدن العريقة من جهة أخرى.

و أعتبرت مدن أخرى ثانوية إما من حيث إنتاجها الحضري، أو من حيث رصيدها الثقافي للتراثي العثماني الضئيل مقارنة بالمدن الكبرى وأخص بالذكر مدينة شرشال ، القليعة، بجاية، جيجل ، مازونة أومعسكر

3- الحياة الثقافية العامة بالجزائر العثمانية :

عندما نتكلم عن الحركة العلمية في عهد الأتراك إنما نقصد بها العلم المنقول أو الحركة الدينية كما يذكرها الباحث محمد بن عبد الكريم « إن مفهوم العلم في ذلك العصر، قد كان إتقانا لفهم الذكرالحكيم، وحفظا لمرويات الحديث الشريف، ومعرفة أصول العقائد والفقهيات وتعمقا في فن الأصول، أما فن المنطق قد جرى فيه خلاف بين العلماء، لأنه يمدّ الى الفلسفة التي حرم الخوض فيها بعض الفقهاء وحذروا منها تلميذتهم ومنعوهم أن يتعلموها، لا سيما الذين لم ينالوا قسطا وافرا من عقائد أهل السنة خوفا عليهم من أن يتيهوا في دروب الكفر ومزالق الإلحاد»(3)، وقد أشار**عبد الرحمان الأخضري**** في مُصَّنَفِهِ "السلم المرونق" إلى الخلاف الجاري بن علماء الإسلام في تعلم المنطق اليوناني قائلا (4)

---

* حي تجديت والمطمر: الأول الأحياء العتيقة لمدينة مستغانم، وقد سماه السكان البربر قديما بـ "تكجديت" التي تعني أساسات. أما المطمر فهو الحي الذي يربط ما بين حي الطبانة وحي تجديت قديم به ضريح سيدي عبد الله الخطابي أنظر الموقع الإلكتروني www.xplainer.net بتاريخ 2014/12/18

1- Thireau (L),Mostaganem et ses environs (histoire, administration, description , renseignements généraux) ,imp., eugéneprim, Mostaganem, 1912, P : 12-13

2-Tinthoin (R), L'Oranie (sa géographie, son histoire, ses centre vitaux), édit, Fauque, Oran, 1952, p : 272

3- محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ص.ص 46-47

**عبد الرحمان الأخضري :(920هـ-953هـ / 1514م-1546م)، ولد في بنطيوس قرية من قرى بسكرة كان من أعلام الجزائر في الحساب والفرائض والبيان، من نظمه كتاب "الجوهرالمكنون في علم البيان والمعناني"، "الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء"، في علم الحساب، وكتاب "السراج "في علم الفلك، أنظر حنيفي هلايلي ،أوراق في تاريخ الجزائر .... المرجع السابق، ص.ص 229-252

4- نفس المرجع السابق ص 47

فَابْنُ اَلْصَّلَاحِ* وَاَلْنَوَوِي** حُرُمًا *** وَقَـــالَ قَوْمٌ يَنْبَغِي أَنْ يَّعْلَمَـــا
وَاَلْقَـوْلَةُ اَلْمَشْهُـورَةُ اَلْصَحِيحَةُ *** جَـوازُهُ لِكَـــامِلِ اَلْقَرِيحَـةِ

إن الحركة الثقافية كانت زهيدة، ربما راجع الى عناية العلماء بالعلوم التي كانت متداولة آنذاك، ولم تخرج عن تقليد السابقين من العلوم الشرعية وآداب وتواريخ محلية والتصوف (1) فكان رجال هذا العصر لا يُحكّمون العقل، بل ينحنون نحو التسليم الى سابقهم من رجال التقليد، يرون في الأخذ بالمنقول أصوب منهج لمن إتبع سنة الله ورسوله، حتى أنشد بعض علماء العصر***(2)

خُبْرًا عَنِي اَلْمُرِيدِ بِأَنِّي *** كَافِرٌ بِاَلْذِي قَضَتْهُ اَلْعُقُولُ
مَا قَضَتْهُ اَلْعُقُولُ مِنْ اَلْدِّ *** ينِ بَلْ اَلْدِينُ مَا حَوَتْهُ اَلْنُقُولُ

أما التصوف قد تحول الى الدروشة ، كما يذكر "بن ميمون" تتبلور فيه التوسلات بالأضرحة والقبور، والتّوسّل ببسط الأكف عند المزارات في الحل والترحال ، والركون إلى الخرافات الخيالية، كان من يتصفح مؤلفات ذلك العصر الخامل ومصنفاته الباكية يجد نفسه يعيش في عالم الأموات، هذا يترقب خروج الدجال، والأخر ظهور الدابة ، وغيره يتوقع إنقضاء الدنيا والفناء والنفخة الأولى في الصور، في هذا الوضع كانت الحركة الثقافية بنوعيها العلمي والأدبي موزعة على بعض المدن في القطر الجزائري وفي قليل من القرى والمدّاشر، هذا التوزيع الذي لا يفي بحاجات أهل القطر لدينهم الضروري وآدابهم المكتسبة (3) والسبب قد ذكرناه سابقا ألا هو ذلك التقليد المقيد للسابقين، في الحين عنايتهم بالطب، الحساب، الرسم والعمارة قليلة جدا، مما جعل الإنتاج الثقافي في هذا العصر يكون ضئيلا بدليل قول أبي راس الناصري « إنني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت دياره ومراسمه، وعفت أطلاله ومعالمه، لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الهجران، ونسّجت عليها عناكب

---

*هو عمرو بن عثمان بن عبد الرحمان بن الصلاح، توفي رحمه الله سنة (557هـ-643هـ /1161م- 1245 م) ، صاحب كتاب "علوم الحديث "،أشهر رجال الحديث وفقهاءعصره، نقلا عن الموسوعة العربية العالمية www.mawsoah.net بتاريخ 2014/09/07

** هو يحي بن زكرياء بن مري بن الحسن بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الملقب بمحي الدين ولد سنة (231هـ / 1243 م)، وله عدة وتأليف منها "شرح مسلم" و"رياض الصلحين" ، توفي (676 هـ/ 1287 م)أنظر الأمام السيوطي، المنهاج السّوي في ترجمة الإمام النووي، تحقيق أحمد شفيق د م ج، ط1،دار إبن حزم،بيروث،1977، ص.ص 21-19

1-أبوراس الناصري الجزائري ، المصدر السابق ص 44

2- محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ص48

*** **منشد البيتين** هو: عبد القادر الراشدي ، توفي سنة (1194هـ / 1780 م) أشهر علماء القطر الجزائري تولى منصب القضاء في قسنطينة من مؤلفاته كتاب "مباحث الاجتهاد"، وكتاب "تحريم شرب الدخان " أنظر سعد الله، تاريخ الجزائر .الثقافي... ج1، ص 334

3- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق ص.ص 44-45

النسيان، وأشرفت شمسها على الأفول، وإستوطن فحولها زوايا الخمول، يتلهفون عن مدراس العلم وفضائل ، ويتأسفون من إنعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل، وإلى الله المشتكي من دهر إذا أساء أصّر على إساءته، وأن أحسن ندم عليه من ساعته. »(1)

إذا سلمنا بندرة الحركة الثقافية في القطر الجزائري خلال العهد العثماني، فإننا لا نستثني بعض الحواضر التي كانت منارات للعلم والمعرفة في مختلف الميادين مند العصر الإسلامي، وكانت هذه الحواضر تحظى بثقافة العصر كبسكرة وورقلة في الجنوب الى جانب المدن الرئيسية التي بقيت تحظى على شيء من التراث العلمي والأدبي كقسنطينة والجزائر العاصمة ووهران وتلمسان حيث يشير (Paul Gaffarel) « كانت قسنطينة على عهد الأتراك ...عاصمة دينية، وكانت فئة العلماء تتمتع بها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت عاصمة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمسة وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية...حقا كانت مبعث نور الجزائر، كما كانت تُشَرِفُ العلماء وتقدرهم حق قدرهم(2).

كما يقول "أبو عبد الله محمد بن القاسم بن زكور" وهو يصف علماء مدينة الجزائر العاصمة الذي أخذ عنهم وأجازوه سنة (1094هـ / 1686م) «غرار أعلام، ينجلي بهم الظلام وشموس أئمة ، تنفرج بهم كل غمة ، وتفتخربهم أحبار هذه الأمة ، من رجال كالجبال ، أخيار كالأقمار ...فاهتديت بأنوارهم السنية »... حيث يعترف بجميل هولائي العلماء فيقول بيتا شعريا جميلا *(3) :

وَلَوْ لَمْ يَزِّدْ إِحْسَانُهُمُ وَجَمِيلَةٌ *** عَلَى اَلْبِّرِ مَنْ أَهْلَي حَسِّبْتُهُمُ أَهْلِيّ

ومن بعض الفنون والكتب التي كانت تدرس آنذاك مثل "جامع الجوامع " للأمام "السّبكي"،و" ألفية العراقي" في مصطلح الحديث،و"تلخيص المفتاح" في علم البيان،وجملة من كتب السير وكتاب "الشفاء"للقاضي عياض، و"البردة" بشروحها للأمام البوصيري و"عقائد السنوسي"، بالإضافة إلى كتب أخرى في النحو والصرف والتفسير والعروض والحساب والفرائض...(4) ويضيف "عبد الرحمان الجامعي" قولا عن مدينة الجزائر«فهي

1- أبي راس الناصري الجزائري المصدر السابق ص 45

2-محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ص52 أنظر أيضا :

Paul Gaffarel, l'Algérie, imprimerie del'institut, paris, 1883, p 123

*البيت لإبن زكور الفاسي نقلا عن كتاب نشر أزاهر البستاني فيمن أجازني بالجزائر وتطوان مطبعة فونتانا 1902 الجزائر، ص.ص 3-4

3-إبن ميمون الجزائري ،نفس المصدر السابق ص.ص 52-53

4-نفسه ص.ص 53-54

بحمد الله إلى الآن دار الجوهر الفرد في الآداب، وعلم العقل، وتُنبت العلماء والصالحين كما تُنبت السماء البقل...هذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء، وأعلام خطباء ، مساجدهم بالتدريس معمورة ، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة »(1)

4- دور الرباطات وإنتشار الزوايا في الجزائر العثمانية :

تعتبرالمرافق الدينية والتعليمية من أهم المعالم في المدن الإسلامية، وفي مقدمتها نجد المساجد والزوايا والأوقاف العامة والكتاتيب، وترتبط الثقافة بالجزائر بهذه المرافق، إذ أن وجه التعليم بالدرجة الأولى يعتمد على المعارف العامة، والثقافة التقليدية. لقد كانت لهذه المرافق الثقافية أدوار هامة في المجتمع الجزائر العثمانية (2)، ولقد كانت الزوايا والرباط تحتل الصدارة بن مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء، من أبناء الشعب المتعطشين إلى إكتراع زلال العلم والمعرفة، وكانت مقسمة إلى قسمين كل قسم منها يقوم بدوره.

*القسم الأول :يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم ، ويؤمه غالبا الأفراد الدين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، واستظهروا بعض السور من آيات الذكر الحكيم.

*أما القسم الثاني : فإنه يقوم بتدريس بعض فنون الفقهيات، وبعض مبادئ الفلك، والعقائد وقواعد النحو والصرف ، وفنون اللغة والمنطق...(3).

وما يميز العهد العثماني بالجزائرإنتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها، ففي المدن والأرياف وفي الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة عاش معظم المتصوفة يبتغون عقائدهم ويلفتون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة، فمنهم من إشتهر في تأسيس مركز يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع، ويعلم فيه الطلبة، ومما زاد في إتساع هذه المراكز كان الناس يتبرعون لها، فكبرت وتضاعف قَاصِدُهَا ومُرِيدُهَا، فأصبح إسم المتصوف (المرابط) عَلَمًا على المكان، والمكان بذاته يدعى بين الناس زاوية فلان، أو الرباط ، يَرِثُ الأبناء والأحفاد مكانة وعمل (سيدي فلان)، فزادت قدسية الزاوية بن أهل الناحية وبين نواحي أخرى بعيدة...* (4)

1- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ، مطبعة البعث ،قسنطينة ، سنة 1965 ، ص.ص 198- 199

2- أشرف صلاح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر)،أواخر العهد التركي ، مجلة **أما براك** مجلة علمية محكمة ، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجية ، مجلد4 العدد 8، 2013 ص.ص62-74

3- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق ص59

4- أبو القاسم سعدا الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، المرجع السابق ، ص .ص 262-263 ،

*(وهو الموضوع الذي سيكون محل بحثنا ودراستنا بشكل أوسع في الفصل الرابع)

⪢ الفصـــل الثـــاني ⪡

أهم مظاهر التأثير والتأثر للموروث المادي بالجزائر العثمانية

1- التعريف الحديث للموروث المادي

2- الموروث العمراني

2-1 صدي المورث العمراني بالجزائر العثمانية

2-2 عناصر الفن المعماري العثماني بالجزائر-العناصر الجمالية

2-3 أنواع العمارة بالجزائر العثمانية

3- الموروث الفكري والتعليمي بالجزائر العثمانية

3-1 السياسة التعليمية بالجزائر العثمانية

3-2 الفئة الفاعلة في عملية التعليم

3-3 أشهر رجالات التدريس من علماء الفترة

3-4 المكانة السياسية والاجتماعية لعلماء الفترة العثمانية

3-5 آراء بعض الرحالة والأوربيين والمغاربة حول التعليم والعلماء بالجزائر العثمانية

4- الموروث الأدبي والغوي

4-1الشـــعر

4-2 النثـــر

4-3 اللغة المتداولة في الجزائر العثمانية

5- الموروث الفني (الخط والزخرفة)

5-1 مفهوم الزخرفة في الفن لإسلامي

5-2 العناصر الزخرفية في الفن العثماني الجزائري

5-3 الزخرفة الكتابية

5-4 الزخرفة الرمزية



1- التعريف الحديث للتراث المادي: هو ذلك التراث الملموس، ما إكتشفته الحفريات، وتضمنته المتاحف، وكلها تمثل عصورها بشكل أو آخر، ويشمل الآثارالمنقولة كالمخطوطات،المسكوكات،والآثارالثابتة كبقايا المدن التاريخية والعمارة والمنشآت العسكرية والدينية...

2- الموروث العمـــــراني

العمارة - بكسر حرف العين- هي ما يعمر به المكان ، وهو كل مكان ذو، عمارة، كما يقال لساكن صاحب الدار العامر، والمَعْمَرْ- بفتح الميم وسكون العين- هو المنزل (1)

أما التعريف البسيط للعمارة فهي فن البناء، أما ذوي الاختصاص أعطوها تعارف متعددة، فمنهم من يركز على البناء ككتل و أحجام ومنهم يعرفها من حيث أولويات الوجود النفعي، إعتمدنا على صورة العمارة لظننا أنها كتل صماء، وبالتالي سنخطأ التقدير، ولكن بالتعامل معها يجعلنا نستنبط معنى كل جزء من أجزائها، فنوافي حقها في التقدير والتثمين، كما تحمل العمارة معاني مادية واقعية وأخرى فلسفية وجمالية، والتمّازج بينهما ركبه الفكر الهادف الهادئ، إن إنتاج القطعة المعمارية يشترك فيها كل من العلم والفن ويزيد نصيب كل منهما حسب الهدف من البناء (2)

2-1 صدى الفن المعماري العثماني بالجزائر :

إن الفن المعماري العثماني ما هو إلا جزء من الفن الإسلامي، حصيلة جهد واعٍ ، ولما نضج إتضحت معالمه العثمانية، إنطلقا من مقره تركيا ليصل إلى الحدود الغربية الجزائر مخترقا في ذلك الحدود المتنوعة، كما لم يكترث بالعوائق الجغرافية. فساعدته العوامل السياسية والاقتصادية وأنجزت هنا وهناك عِمَارَاتْ وعِمَارَاتْ (3)

إن متعة دراسة المعالم العمرانية العثمانية تكمن في ذلك الامتزاج بين الكتل المعمارية ورسائلها المعنوية، يتتبعها المعماري في مراحل الانجاز.

1- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار الصادر ، الطبعة 3 بيروت ، لبنان 2004، ص 279

2- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة، الجزء2 ،الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ، مصر، 1970، ص 47

3-العِمارات بكسر العين : تعني المباني الصغيرة، العَمارات بفتح العين:تعني البنايات الكبيرة، المرجع السابق، ص 47



كل معماري خَلُصَتْ صورته في ذهنه ليضع على التربة هيكل لا يخلو من الراحة والجمالية، وهذه الأخيرة يعرفّها أحد الباحثين على أنها عملية تفاعل الإنسان مع العمل الفني(1)

إن ما تُجسّد من معالم في الجزائر خلال العهد العثماني لدليل على قيمة و رسوخ هذا الفن الذي كان له ما أعطاه وقدمه للمساجد، المساكن، الفنادق والمقاهي وغيرها كثير، وبلغ صداه إلى ما لمسناه في التأثير على التصميم والأشكال المحلية وما أدخلت عليها من بصمات الفن العثماني، فالعمارة العثمانية عمارة إستندت على« المعرفة والعلوم التقنية والتطبيقية ، وتميزت بحسن تنظيم المكان وتوازن الكتل...» (2) وحتما كان هنالك إنسجام بين الفن التركي والفن المحلي الجزائري مما سمح بأن يأخذ المحليون عن هذا الفن وكلهم إقبال عليه متوافقا مع ذوقهم الجزائري ومتداخلا متمازجا مع رغباتهم الاجتماعية، وتعملوا معه بكل وعي ، هذا ما يفسره تمكن الفن المعماري العثماني من أن يجد مساحة مدنية وإجتماعية لفنيات عصره .(3)

إن المتفحص فيما أنجزه العثمانيون في الجزائر يعد بحق البصمة العثمانية ذات الذوق الخاص، ولكن مقارنة بالعمارة العثمانية لمصر والشام فان هذه العمارة لم تبلغ هذا المبتغى في الجزائر بسبب الإضطرابات السياسية والفتن الداخلية والتي كان لهما الأثر الحساس في ضعف الاقتصاد وبالتالي ضعف العمران بالجزائر في تلك الفترة (4)، كما يضيف "مبروك مهيرس" «... بساطة المعالم العثمانية وقلة زخرفتها يعود إلى اللآمن ولا إستقرار بالجزائر وخاصة في الغرب الجزائري، حيث كانت للأحداث الداخلية أثرها السلبي على العمارة والفن ، فمعظم ميزانية الدولة كانت تخصص للجهاد،فأعتبر ذلك من أهم العوامل التي أحالت دون إزدهار الفن المعماري العثماني بالجزائر. » (5)

1-سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني، رسالة ماجستيرفي الآثار الإسلامية ، معهد الآثار، غير منشورة، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 2008-2009، ص 7

2- أحمد المرسي الصفصافي ، إستانبول عبر التاريخ "روعة الحضارة"، دار الأفاق العربية ، الجزء 1، 1991،ص 102

3- سعاد بن شامة ، المرجع السابق ص.ص :7-8

4- عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبان ، 2003، ص 310

5- مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر 1401هـ/1402هـ، دبلوم الدراسة المعمقة ، جامعة الجزائر ، السنة الدراسية 1981-1982 ص211



هناك قوس آخر ساهم في ضعف كيان الفن الإسلامي عامة وليس العثماني فحسب والذي قلل من الإبداع، وهو الغزو الفني الأوربي للبلاد الإسلامية وخاصة خلال القرن التاسع عشر حيث توغلت تيارات فنية دخيلة على العمارة والزخرفة المحلية والمتمثل في فن " **الباروك* و"الركوكو"*.(1)**

---

*فن **الباروك (Baroque)** : مصطلح يطلق على أشكال كثيرة من الفن الذي ساد غربي أوربا عام 1600م وكان واضحا بشكل ملفت في ايطاليا (روما) ثم إنتشر في بقية القارة وأمريكا اللاتينية. يتميز الأسلوب الباروك بالضخامة بالتفاصيل المثيرة ،يمتاز أيضا بالتوازن التماثلي بطريقة درامية وإثارة ليصل الفنان في عصر النهضة إلى التوازن والجمال، يستخدم فيه المساحات المستطيلة والمساحات المقوسة ، هذا الفن مجد ملوك عصر النهضة فالقصور الباروكية الفخمة ومن بينها قصر فرساي بفرنسا ، وقصر زفنجير في ألمانيا ، والتي عبرت على قوة رئيس الدولة. أما في العمارة زج هذا الفن عناصر الفن الكلاسيكي، يعتمد على إستخدام الأعمدة والأقواس بطريقة جديدة ، وحلت المساحات المقوسة محل المسحات المستطيلة المنظمة وأدى كل من النحت والتصوير الزيتي دورا أكبر في تصميم المباني وعلى الإلمام بمساحات كبيرة، هذا الاهتمام تمخض عنه علاقة بين المباني وما يحيط بها من بيئة إلى تركيز أكثر على تخطيط المدن وتصميم المناضر الطبيعية ومن أهم سمات الباروك تكوين حدائق واسعة ، حيث ثم التحكم في الطبيعة في هذا التصميم فتظهر العمارة في شكل متناسق على هيئة شلالات صغيرة ، نفورات ، مصاطب و أشجار، كانت المباني الباروكية في النمسا وإسبانيا بوحيه خاص معقدة، من أكبر المعماريين الذين تبنوا الأسلوب الباروك الفنان الإيطالي "جان لورنس برينيني" و "فرانسيسكو بروميني:، كما يمكن الرجوع المصدر المعلومة للموقع www.marefa.org بتاريخ 2014/06/13 **(أنظر الملحق ص 149)**

* **فن ركوكو (Rocaille)** :وتعني باللغة الفرنسية بالصدف أو المحارة الغير منظمة الشكل ذات الخطوط المنحنية والتي إستمدت منها زخارف تلك الفترة ويعتبر فن التزيين الداخلي، ظهر هذا الطراز في القرن الثامن عشر الميلادي يعد إمتدادا لفن الباروك ولكن بمقاييس جمالية و تتسم بالسلاسة والرقة ، إستمر هذا الطراز مزدهرا في ألمانيا وفرنسا بصفة خاصة بعد قيام الثورة الفرنسية عام 1789.

أما العمارة فبدأ إنتشارها في عام 1715 حيث فضل الأمراء والنبلاء الإقامة في باريس بدلا العودة إلى قصورهم العظيمة في الريف فشيدوا منازل عرفت باسم "وكنده" مثل وكنده سوبيز وماتينيون ، وبدلا من الاهتمام بالواجهات الأرستقراطية التي نشرها ليبران ، إهتم النبلاء بزخرفة منازلهم من الداخل ، وإبتكر المهندسون زخارف إستمدوا إلهامها من شكل الصدفة ، وقد عم هذا الطراز في ميادين التصوير و النحت وفي الأثاث وما شكله

إذن من بداية القرن التاسع عشرميلادي بدأت العمارة العثمانية تنهار أمام زحف هذا الفن المعماري الأوربي الجديد وخاصة بعد كتشاف العالم الجديد والحركة الاستعمارية في بداية القرن السادس عشر الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي وفي عقر ديار العثمانيين في أسيا وإفريقيا عبرت عنه الثكنات والكناس في هذه المستعمرات، من الموقع الإلكتروني www.marefa.org ، بتاريخ 2014/06/13. **(أنظر الملحق ص 152)**،

1- أحمد مرسي الصفصافي ، المرجع السابق ص102

2-2 عناصر الفن المعماري العثماني بالجزائر: العمارة العثمانية تعتبر جزءا فنيا من العمارة الإسلامية وعليه لا يمكن التكلم على العمارة العثمانية دون أن نعرج على أهم عناصر إقامتها، فهي تتميز بصورة جمالية خاصة، حيث أنها تُعبر عن الإنتماء الاجتماعي للفئة العربية الإسلامية وبالتالي نحن مجبرين لِتَعَقُبْ الدراسة الأثرية للموضوع، ومن أهم العناصر الأساسية الفن المعماري العثماني يمكن ذكرها في مايلي :

2-2-1 العناصر الجمالية

●**المـــــداخل**:هي كل فتحة في بناء مما يغلق عليه بمصراع، مصراعين أو أكثر(1) كما تعتبر المداخل الواصلة بين وسطين، عام وخاص، كما تنظم الحركة بينهما، جُعِلَتْ منها الرئيسة في الأسوار مند العهود الإسلامية إلى عهد الفترة العثمانية، تقوم عليها الحراسة المستمرة، كما ضبطت مواقيت فتحها وغلقها، أما الفرعية منها فإنها تصل بين القاعات الداخلية للمباني، كما تعتبر هذه المداخل أساس ومبتدأ حرمة المباني الدينية والمدنية.(2)، كما تغطيها أمانا وحماية، تنجز متينةً من الخشب، يحدوها إطار من الرخام عموما.(3)

إتبع المعماريون في العصر الإسلامي الأسلوب الشائع في إنشاء مداخل المساكن من النوع المنكسر، بحيث يصمم المدخل الرئيسي على أن لا يفتح مباشرة على وسط المسكن، كان الغرض من إنشاء تلك المداخل المنكسرة لحجب أنظار المارين من أن تقع داخل المسكن...(4)، إستمرهذا النوع من المداخل إلى العهد العثماني...(5)، يذكر أبو صالح الألفي « يصمم إطار ويثبت في الجدار يثبت على هذا الاطار مصراعين ، يتكون من قائمين أساسين، أما في حالة الأبواب المركبة إضافة إلى القائمين الرئيسين هناك عدد من رؤوس العريضة ، تضم بينها الحشوات »(des cales aux bois) (6)، « هذا التركيب يعطي للباب

1- عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي ،2000، ص66

2- محمد حسين جودي ، العمارة الإسلامية ،خصوصيتها ،ابتكاراتها ،جماليتها ، الطبعة الأولى ، عمان ، الأردن ، 1998، ص66

3- Berque. A, L'Algérie , terre d'art et d'histoire, Alger, 1937, P 240

4- مرسي محمد رفعت ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية ، (دون تاريخ) ، ص 104

5- سعاد بن شامة ، المرجع السابق، ص 259

6- أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، دار المعارف للنشر والطباعة ، القاهرة ، (د. ت) ، ص:39



متانة وصلابة، كما يصمم في أعلى دفة المدخل الرئيسي، هناك فتحات مشبكة تسمح برؤية من في الخارج قبل الفتح »(1)، « والتي تساعد على الوافدين على الدار، وهي الصورة التي نجدها في مداخل مدينة الجزائر»(2)، «كما تتحرك الأبواب عند الفتح أو الغلق بصنارة بارزة من الخشب المُزخرف أو من النحاس مُرصّعة بأشكال هندسية أو نباتية ...، تغلق الأبواب من الداخل بواسطة "مزاليج طويلة"»(3)، « كما صممت بعض المداخل بأبواب صغيرة سميت "**الخوخات**"* بحيث تثبت إلى عضاضة الباب الكبيرة بواسطة مسمارين طويلين يثبتان نحو الاتجاه المعاكس حتى لاينزاح عن مكانه»(4)،«هذا لتقصي المسافة، بحيث يجنب فتح الأبواب الكبيرة، ولا تفتح هذه الأخيرة إلا عند الضرورة، والهدف من ذلك مصلحة أمنية...»(5). **(انظر الملحق ص 149، 150)**

●**الفتحـــات**: يقصد بها تلك الفتحات التي تنجز في الجدران لمنافع واضحة، كالتهوية أو الإضاءة ، وتشمل النوافذ والشمسيات والقمريات.

- **النوافـــذ**: تقام في المباني بشكل فتحات لثلاثة أغراض، التهوية ،الإضاءة والإشراف على الخارج(6)، تختلف أحجام النوافذ طبقا لطبيعة المبنى، ففي المباني السكنية تكون صغيرة الحجم، وبخاصة في الطابق الأرضي، مفتوحة على الصحن، تسّج بقضبان حديدية بواسطة سنابل بشكل مكعبات منظمة ومتعددة الأوجه(7)، مايلاحظ أن هناك قوانين عرفية تضبط إقامتها، بحيث لا يسمح فتحها في حالة مضايقة الجار بالرغم أن فتحة النافدة في ملك صاحب الدار، لذا إنشاؤها يقتصر إدخال الضوء والهواء دون الإطلال على بيوت الجيران (8) **(انظر الملحق ص 155،152)**

1- A. Berque, op .Cit, P ; 241

2- محمد حسين جودي العمارة الإسلامية (خصوصيتها، ابتكاراتها ، جماليتها)،الطبعة الأولى ،عمان ص: 67

3- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة ،2000، ص:156

* الخوخات : جمع خوخة نعني بها الباب الثانوية التي تتوسط الباب الكبيرة للمدخل، نفس المرجع، ص156

4- محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص: 151

5- محمد حسين جودي المرجع السابق، ص: 67

6- أبوصالح الألفي، الفن الإسلامي ، المرجع السابق ص:65

7- محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ص: 158

8-محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية ،الطبعة الأولى، دار الأفاق ، 1999 (د.م)، ص335



كما صممت النوافذ الداخلية من دفتين الزجاج (1) وغلب هذا الشكل المربع من النوافذ قصور مدينة الجزائر العثمانية.

- **الشمسيات والقمريات**: تعتبر هي الأخرى من الفتحات الهامة في لمباني ...، كليهما عبارة عن فتحات مستطيلة معقودة بقوس نصف دائري(2)، تصنع من الحجر، الرخام أو الجص، المستورة بالنقوش المعشقة بزجاج ملون والزخرفة الهندسية، النباتية و الكتابة، فتوضع إحدى اللوحات المخرمة على الوجه الداخلي للجدار والأخرى على الوجه الخارجي (3) ، وإستعملت الشمسيات والقمريات كثيرا في المساكن العثمانية بالجزائر لإمكانية تسرب نور الشمس وضوء القمر إلى الداخل في حالة غلق الأبواب والتوافد نهارا أو ليلا، فينبعث من تخريماتها نور بشكل بديع وترسل ألوان القطع الزجاجية تطف بهجة وإنشراح في الداخل بإضاءات ملونة، كما صممت شمسية واحدة فوق كل نافدة وكل خزانة جداريه، وتعددت فوق أبواب وإيوان الغرف وعلى جانبيه (4) . **(أنظر االملحق ص151)**

2-2-2 عناصرالدعم : تعتبر القواعد، الأعمدة، التيجان والإحدارات من أهم عناصر الدعم التي تساهم في تقوية المبنى، ومنحها صلابتها، نجدها في غالبية المباني، وبإشكال وأحجام متنوعة.

- **القواعـــد** : عناصر معمارية تدعيميه توضع عليها الأعمدة ، تتنوع أشكالها بين الدائري ، المضلع، والمربع ، بحيث إنتشرت أمثلة كثيرة لهذه الأشكال من القواعد في مدينة الجزائر العثمانية مثل : قصر عزيزة وحسن باشا في الشكل الدائري ، وأروقة قصر خديوج في الشكل المضلع (5)، بالإضافة إلى قواعد ثمانية الأضلاع المتقاطعة ومستديرة الشكل، كما تنوعت مواضيع إستعمالها، فهي تستعمل تارة لحمل القبة، وأحيانا أخرى لحمل الأركان(6) من نماذجها قواعد مسجد مصطفى باشا بوهران(7) **(انظر الملحق ص153)**

1- أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، المرجع السابق ص: 65

28-محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر...المرجع السابق ص: 160

3- يحي وزيري ، موسوعة العناصر العمارة الإسلامية ، ج 2 ،ط 2 ، مكتبة مدبولي ،1999، ص:65

4-محمد الطيب عقاب، المرجع السابق ص: 160

5- نفس المرجع ،ص: 160

6- نفسه، ص: 63

7- مبروك مهيرس ، المرجع السابق ، ص:115



أما مساجد مدينة الجزائر قد إستعملت في مسجد علي بدشين ومسجد المصيّدة كعناصر دعم للقبة المركزية (1)، كما دعمت بها عمارة المساكن مدينة الجزائر، نجدها منتشرة بأنواعها المستطيلة، المربعة والمستديرة في الطابق الأرضي.(2)

- **الأعمـــــــدة**:هي عبارة عن أبدان إما مستطيلة الشكل، مربعة، أسطوانية، أو مضلعة، وهي الأخرى من العناصر المعمارية الهامة التي تساهم كثيرا في دعم المبنى كدور رئيسي في الدعم العمودي لرفع الأسقف(3)، ساهمت هذه الأعمدة في حفظ توازن المبنى، نتيجة توزيعها الدقيق والمتساوي الأبعاد، أحجامها هي الأخرى متناسبة المقاييس من حيث الطول و القطر، فهي تلعب دورا في سلامة المبنى من التضعضع (4)إن النماذج القائمة في مباني العهد العثماني على نوعين : النوع الأول ذات البدن الأسطواني أملس المظهر والرخامي الصنع يوجد هذا النوع خاصة عند مداخل القصور، أما النوع الثاني مركب ويتفرع إلى نوعين ، إحدهما بجزء سفلي مضلع وجزء علوي حلزوني، والأخر بجزء سفلي مضلع وجزء علوي مسنن، كثر إستعمالها في عمارة مساكن مدينة الجزائر(5). إن غالبية مساجد التركية بمدينة الجزائر إعتمدت في تجزئة المستوى الداخلي لها على الأعمدة من الصنع المحلي، باستثناء مسجد بتدشين ومسجد المصيّدة التي صنعت أعمدتها باليد نحاتين أجانب (إيطاليين).(6) **(انظر الملحق ص153)**

- **التيجـــان**: إن التيجان من العناصر المعمارية المرتبطة بجمالية الأعمدة، تتكون في نهاية العلوية للعمود،وبالتالي يطلق عليها مصطلح رؤوس الأعمدة، والسبب أنها زينة العمود

1- رشيد بورويبة و أخرون، الجزائر في التاريخ ، العهد الإسلامي ، الجزء 3 ، م. و. ك ، الجزائر ، 1984، ص 115

2-DOKALI. (R) , Les Mosquée de la période turque a Alger , 1984, P : 43

3-. ADAM.(J.P) , La construction roman, matériaux et techniques, picard, paris, 3eme édition P : 123

4- محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر...المرجع السابق ص: 164

5- نفسه، ص: 16

6- R. DOKALI, op, Cit, p.p. 43-45



فإن نوعها مرتبط أيضا على الصورة المبتكر لها، والخاضعة بشكل مستمر للتطور من حيث اللمسة الفنية لها. لم تختلف التيجان التي إستعملها العثمانيون في عمارتهم عن التيجان المستعملة في القديم ، كتيجان **ضريح مدرسن** (1) الذي شيد في القرن 5 ق م،(2)، ما يلاحظ أن التاج هو ملازم للعمود في كل بنايات الإسلامية، وبمرور الزمن لم تخلوا اللمسة الفنية للتاج في العهد العثماني من الإبتكار، فظهرت تيجان على هيئة الناقوس، التيجان البصلية، المقرنصة أو المزينة بأوراق نباتية في الأسفل التاج لتشكل زهرة منفتحة (3) **(انظر الملحق ص154)**

كما إتفق المعماريون في العهد العثماني على توحيد نمط التيجان في الجزائر فكانت على شكل **النمط الكورنتي**(4). وإن عرفت بعض الاختلافات الزخرفية كالتي في قصور مدينة الجزائر، ماعدا تيجان رواق قصر عزيزة أنجزت بشكل معقد، وأستعملت أنماط أصيلة للفن الجزائري والذي يتكون من قسمين: سفلي به أربع أوراق ملساء وقسم علوي متوازي الأضلاع (5)، هناك نماذج أخرى أدخلت في العمارة العثمانية وهي التيجان المقلوبة وذات القسمين الشبه منحرف، و يصمم التاج بشكل تكون فيه القاعدة دائرية وفي زواياه العلوية أوراق مطوية بشكل حلزوني، تضم بينها شكلا هلاليا تارة ولوزي تارة أخرى(5) ولم تختلف نصب التيجان عن الأعمدة بحث كان للنحثين الايطاليين دورا كبيرا في إنجازها في العهد العثماني للعلاقة التجارية القوية بن الجزائر وإيطاليا والدول الأوربية الأخرى (6)

1-ضريح مدرسن (إمدغاسن) :يقع قبر إمدغاسان وهو ضريح نوميدي في ولاية باتنة ويعود تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وهو قبة ضخمة محاطة بأعمدة ذات تيجان من نوع دوريسي إن هذا الضريح هو أقدم ضريح ملكي في شمال إفريقيا، حسب رأي بعض المؤرخين في القرون الوسطى فإنه يأخذ إسمه من ملك نوميديا. وقد تم إدراجه في قائمة التراث العالمي من قبل السلطات الجزائرية في 2002، ويأتي في المرتبة 100 من بين الآثار المهددة بالانقراض أنظر الموقع الإلكتروني www.medmem.eu ليوم 2014/05/20

2- عبد القادر الريحاوي ، العمارة عبر التاريخ (العمارة في الحضارة السلامية)، الطبعة 1 ، مركز النشر العلمي ، جدة ،1990، ص165

3- محمد حسين جودي العمارة الإسلامية... المرجع السابق ص 71

4-النمط الكورنتي: نسبة إلى مدينة كوريثة (modèle crotte) الإغريقية القديمة ، والتي تقع غرب شمال اليونان من خلال الموقع الإلكتروني :www.startimes.com بتاريخ 2014/05/20

44- R. DOKALI, Op, Cit, p. 45

5- مبروك مهيرس ، المرجع السابق ص 106

6- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق ص: 169



3-2-2 الحوامل الخشبية: كثر إستعمالها في العمارة العثمانية بالجزائر، وجودها في أعمدة بشكل قضبان أسطوانية تنبث عند بداية منسوب العقد، كما تدعى أيضا الأوتار الخشبية (1)، تستعمل في الأماكن التي لا يصلها الماء، تؤدي دورها المعماري من حيث قدرتها على المقاومة الأفقية، وإستغلالها كحوامل لوضع القناديل الضوئية.

- العقـــود: هي وحدات معمارية على هيئة مقوسة(2)، نتيجة ترك فتحة في البناء بوضع حجر، الطوب أو المواد أخرى وفق نظام تراصها،(3) كل حجرة تسمى فقرة أو صنجة(4) تتوسطها صنجة رئيسية تعرف بالمفتاح، وتكون العقود بأحجام متفاوتة تبعا لأبعاد فتحة العقد وإرتفاعه، وهي تجمع بين دورين وظيفيين، الأول معماري، وتبرز أهميتها في قوة تحمل السقف، الإنارة والتهوية من خلال فتحتها، والثاني كعنصر جمالي فان شكلها يوحي بخفتها، (5) فتنوعت العقود المستعملة في العهد العثماني منها :

* العقد النصف الدائري: لوحظ إستعماله في العمارة العثمانية بمدينة الجزائر بنوعيه الديني والمدني، بحث أستعمل في أماكن محدودة من القصور كالمداخل مثلا.
* العقد المتجاوز: تَبَنَتْ العمارة العثمانية بالجزائر في مراحلها التاريخية إستعمال هذا النوع خاصة في قوس المحراب، وأقواس بيت الصلاة كعقود مسجد أبي مدين، وسيدي بحلوان بتلمسان، والباب الرئيسي لمسجد باشا، وجامع الكبير بمعسكر (6) كما غلب إستعماله في أبواب الغرف في مساكن العثمانية بالجزائر.(7)

1- عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة ... المرجع السابق ص204

2- المرجع السابق ص190

3- فاروق عباس حيدر ، تشييد المباني ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، الطبعة 1، الإسكندرية ، 1986، ص 137

4- يحي وزيري، موسوعة العناصر العمارة...المرجع السابق،ص 61

5- عاصم محمد رزق، المرجع السابق ص 190

6- مبروك مهيرس ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر... المرجع السابق ص: 120

7- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...المرجع السابق ص: 175



*العقد المتجاوز المتكسر : يتصدر قائمة العقود الأكثر إستعمالا في الجزائر العثمانية ، وخصت له مواضعا ظاهرة، فكانت منها أروقة مسجد القصبة (1) ومسجد باي الكبير بوهران (1207هـ/ 1892م) ومسجد الكبير بمعسكر(1160هـ/ 1747م)،(2) كما نجد هذا النوع من العقود بأروقة صحن بالمساكن و أبواب الغرف الأواوين(3) حتى إعتبرت الجزائر الأكثر وفاءا له(4) إضافة إلى ذلك أنه الشكل المميز للعمارة المغربية والأندلسية(5)

*العقد المفلطح:« لم يعرف أصله، ويبدو إن الجزائر تنفرد به دون غيرها من البلدان الإسلامية، لم يستعمله المعماريون لا في تونس، ولافي المغرب الأقصى ولا في الأندلس (6) ، يوجد هذا النوع من العقد بكثرة في المساكن والقصور العثمانية في مدينة الجزائر، عند مقاعد السقائف، المخازن الجداريه وفوق النوافذ، و ينفرد بشكل واسع في مسجد "سيدي عبد الرحمان مزّينةً لمئذنته » (7)

●**الأســقف:** تعتبر من أشكال التغطية، بنوعيها المسطح والمقبب

*الأسقف المستوية : أسقف مسطحة والأنسب لإقامة مباني بطوابق، ينتشر هذا النوع بشكل كبير في المساكن التقليدية بمدينة الجزائر،(8) وذلك لتوفير الخشب وسهولة إعداده للتسقيف .

1–DOKALI. (R)., op, Cit, p. 45 –

2- مبروك مهيرس ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر... المرجع السابق ص: 120

3- محمد الطيب المرجع السابق ص: 175

4- DOKALI.(R), epid, p. 45

5- G.Marcais, les monuments arabes de Tlemcen, Paris, 1930, P : 175

6- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق ص: 178

7- DOKALI.(R),epid ,p. 50

8- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق ص: 188



الأسقف المقببة:، ويختلف شكلها من حيث المنظر الخارجي، فهي قباب نصف دائرية ، مخروطية ، بصلية أو مضلعة (1)، وفي كل الحالات أعطاها شكلها المقبب من الخارج والمقعرمن الداخل تجانسا وظيفيا متحلية بما أمكن بزخارف تتنوع من حيث الكتابة، الأشكال الهندسية (2)، يعتبر"DOKALI" حسب دراسته المقارنة لقباب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تعود إلى النمط القائمة على قاعدة الدائرية أو القبب المضلعة مثل قبة مسجد القصبة وهي ذات الثمانية أضلاع، و بها أربعة نوافذ، لكل ضلع نافذة (3)

●**الأقبيـــة**: أستعملت الأقبية منذ العهود القديمة والإسلامية، إدن فهي ليست مستجدات العمارة العثمانية، وإنما وَضَّفَتْهَا على غرار الشعوب السابقة، ونرى إستمرار إنشاء الأقبية في القصور والمساكن العثمانية مثل مخازن دار عزيزة، ومسجد المصيّدة، حيث تحمله دعامات وأعمدة (4)

●**الســلالم**: يذكر محمد الطيب عقاب أن السلالم لم تأخذ حقها من الدراسة والاهتمام الكافيين مقارنة بما حضت به العناصر السابقة، بالرغم من أهميتها كنصر معماري هام و أساسي، فالسلالم العثمانية لم تتميز عن غيرها من السلام القديمة والإسلامية، فهي تحتوي على إنكسارات قائمة الزوايا، أو منحرفة، ولغرض إضاءتها فُتِّحَتْ في جدرّانها الجانبية كوات أو نوافذ تجمع بين عرض التهوّية و الإضاءة. (5)

1- مصطفى صالح لمعي ، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية ، بيروث ، لبان ، (د.ت) ، ص 11

* إختيار القبة كعنصر للتسقيف رجع ذلك إستغلها في طرد القوة الحرارية ، كون سطحها الخارجي لا يتعرض دفعة واحدة لأشعة الشمس مقارنة للسطح المستوي ، بالإضافة إلى مظهرها الجمالي. ولسعة فضائها الداخلي تساعد على تجميع الأصوات وإرجاع صداها أثاء القراءات : انظر عفيف بهنسي ، العمارة عبر العصور ، ط1 دار طلاس 1983، ص:120

2- سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية... المرجع السابق ،ص276

3- R. DOKALI op, Cit, p.p.: 56-57

4- R. DOKALI, epid, p.: 97

5- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر...المرجع السابق ص: 180



3-2 أنواع العمارة بالجزائر العثمانية: لاشك أن العمارة ليست نوعا واحدا وإنما تتنوع بإختلاف الظروف الاجتماعية، الإقتصادية، المناخية أو حتى الثقافية، وحتى في المجتمع الواحد فهي تتغير من عهد إلى آخر، وبالتالي لم يكن المجتمع الجزائري يشكل إستثناء في ذلك .

وعليه هناك معايير كثيرة بفضلها تقوم العمارة منها على سبيل المثال: حجم البناء من حيث الكبر أو الصغر وطراز البناء كأن يكون عاديا أو فخما، ومن حيث نسبة الاستغلال بمعنى الاستقلالية في السكن أو الاشتراك، بالإضافة إلى مكان البناء كأن يكون داخل المدينة أو خارجها ويمكن حصر هذه الأنواع فيما يلي :

1-3-2 **القصبة:** يذكر علي خلاصي «لقد شاع إستعمال لفظ القصبة في المغرب، ويطلق اللفظ على القلعة التي بها مقر الحاكم... وقيل القصر، وقصبة البلد مدينته وقيل معظمه، والقصبة القرية وسطها »**(1)**، كما «تعتبر القصبة من أكبر مباني التاريخية على الإطلاق، كان مجموع المبني يغطي كتلة بيضاء موحدة، وعند الاقتراب منها تطلعنا مجموعة من الشرفات والفتحات المدفعية تحتوي على عدد كبير من المدافع. كما تتّخذ القصبة مظهرا عمرانيا شديد الشّبه بالمدينة الصغيرة، فهي تتألف من قصر الداي ومرافقه ، قصر البايات ومرافقه، قصر الأغا والأجنحة الخاصة ومنتزهات، ومسجد وعيون ، حمامات وخزانات المياه.»**(2) (انظر الملحق ص 157)**

2-3-2 **قصر الداي**: يقع غرب السقيفة، ويحده من الشرق جناح خوجة الباب ومسجد الجيش ومن الجنوب مخازن المطابخ، ومسجد الداي، وحمام قصره، يعتبر القصر أكثر مباني القصبة حظوة، من أهمية القصر التاريخية أن كل المسائل السياسية، الإدارية و المالية للدولة الجزائرية كانت تناقش بطابقه الأرضي، وأن أموال الدولة التي أسالت لعاب الأوربيين كانت مخزونة بالجزء الغربي من ساحة هذا القصر، كما أن بداخله كان الرياس يعرضون غنائمهم البحرية، ليختار منها الداي ضريبة، السدس أو العشر. تتصل بالقصر السقيفة وما تلعبه من دورهام في مراقبة الحركة المستجدة بالقصبة منذ صعود**علي خوجا (3)**

1- علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزء 1، الطبعة 1 ،2007 ، ص46 ، المزيد أنظر أيضا : إبن منظور، المصدر السابق، ص:95

2- علي خلاصي المرجع السابق ص.ص:57-58

3- علي خوجا: وهو لقب "العلي بن أحمد" ما قبل آخر الدايات تولى الحكم الجزائر سنة واحدة (1817م-1818م)، مات بداء الطاعون، انظر الموقع الإلكتروني www.hukam.net بتاريخ 2014/05/20



إلى الحكم لفترة زمنية قصيرة (1) **(انظر الملحق ص158)**

2-3-3 **قصر البايات :**يقع قصر البايات كمعلم أثري بالقسم الشرقي من القصبة ،... والذي يتكون من ثلاث طوابق ومنزه، ويضم حديقة النّعام والمرافق الخاصة ومخبرة وبهذا يحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية بقصبة الجزائر وبشكل عام يتألف الطابق الأرضي من ثلاثة أروقة متوازية تمتد من الشمال إلى الجنوب، أما حديقة النعام تقع بن الطابق الأرضي من قصر البايات وبين خوجة الباب ومصنع البارود و الحديقة في منتهى الجمال حيث يذكر علي صلابي عن روزي Rozet قائلا :« نجد بجانب مصنع البارود حديقة في منتهى الجمال بها مطيرات ، وزريبة للوحوش(الحيوانات)»(2). أما الطابق الأول يتألف من الجناح الخاص بالضيافة، ويتكون من صحن رباعي الشكل تدعمه أربعة أروقة مغطاة بأوتاد خشبية، وبلاط الأرض بقطع سداسية من الرخام، بالإضافة إلى جناح الخدم المحاد للمدخل الجناح الخاص والذي يتألف من أربعة غرف، ينتهي الجناح الخدم إلى الباب الشرقي الخاص بالخلوة أو العزلة التي كانت عادة تخصص للضباط (3)كما يتألف الطابق الثاني لقصر البايات من غرف نوم مغطاة بسقوف خشبية مزخرفة ومطلية بألوان متعددة، كما ينقسم هو الأخر إلى جناح الخاص مخصص لأتباع وكبراء نجوع البايات ، كان لزاما على الدولة إيواءهم ، وجناح الخدم به المطبخ والمخازن المخصصة للطهاة على وجه الخصوص (4)، الطابق الثالث لايقل أهمية عن الطوابق السابقة بحيث يحتوي عل المنزه والسطح ، ويضم سوى قاعتين متصلتين بالجزء الشمالي من السطح... ، كما فتحت بجوانب جدارالسطح فتحات للبنادق على نمط فتحات سطوح جناحالحريم.(5).

1- علي خلاصي المرجع السابق ص.167

2- نفسه ص.54 ،أنظر المزيد

Rozet,(M), Voyage dans la régence d’Alger.3Alger ;1833 p29

3- المرجع السابق ص60 أنظر المزيد

Haedo,(F .D.E), Topographie et histoire général d’Alger, R, AF, 1870, p 394

4- علي خلاصي المرجع السابق ص 63

5- نفسه ص.ص 68-69



2-3-4 **قصر الأغا:** كان المسؤول الأول عن الإنباجية (الحارس الخاص) بدار الملك ، فهو خوخة الباب، المسؤول عن الشؤون العسكرية والمدنية للقصبة، ولايعتبر قائد الجيش وإنما القائد العام للقصبة يشرف على عدد من الشواش منهم خوجة الباب، قائد المدفعية، وكبار الطباخين، المقتصد(وكيل الحرج) والحامية المكلفة بالدفاع عن القصبة، يعرف بلبس الرزة (نوع من العمائم)، يعين لمدة سنة واحدة خلاف أغا الجيش الذي كان يعين لمدة ثلاثة أشهر. وكان الأغا ينفرد بقصر وسط المجمع العسكري يتكون من مجموعة غرف بعضها منفذ عن البعض الأخر إلى جانب نادي وحمام الجيش والمطبخ ...**(1)**

2-3-5 **الحمامات :**هناك مصادر كثيرة تتحدث على الحمامات سواء في تركيا، المغرب العربي، الأندلس أو في المشرق العربي، فان ما ذكر عن حمامات الجزائر فهي قليلة لذلك سنقتصر عل حمام الداي وحمام الجيش بالقصبة **(2)** يذكر لنا روزي (Rozet) في وصفه لبعض قاعات حمام الداي يقول« ...نجد ممر يؤدي إلى حمامات النساء، تتكون من أربعة قاعات متصلة ببعضها البعض مغطاة بالرخام ومكسوة بمربعات الزليج ، في كل قاعة نجد حنفية يسيل منها الماء داخل حوض من الرخام الأبيض ... » **(3)**، ويقول أيضا:« كانت تخلو الحمامات الإسلامية في الجزائر من المسابح، ماعدا البعض منها، التي قصدها اليهود، وقد وجدت لأغراض دينية، حيث يغطس فيها السابح اليهودي بعد الانتهاء من الاغتسال ليتخلص من ذنوبه ومعاصيه»**(4)** . عند الإستحمام الأقدام لا توضع في حوض الحمام... وإنما كانت تغرف المياه من الحوض بواسطة وعاء نحاسي يعرف عند العامة (الطاسة)، أما بالنسبة للحمامات المعدنية الطبيعية كان يلزم على كل مستحم أن يغسل كليا قبل إستعماله الحوض المشترك**(5) (انظر الملحق ص158)**

1-على خلاصي ، المرجع السابق ص.ص 107-108.

2- المرجع السابق، ص 35

3- نفسه ، ص38، للمزيد أنظر أيضا Rozet, Op.Cit….p20

4- نفسه ص,ص 38-39

5-نفسه، ص39، للمزيد حول شبكة المياه والعيون والنفورات بالجزائر العثمانية، طالع ناصر الدين سعيدوني، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد للعثماني،المجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 9،1995، ص.ص 61-79، أو أحمد الشريف الزهار، في مذكراته(1754م-1830م)، نقيب أشراف الجزائر، تقديم وتعليق أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت ، الجزائر، 1980، ص 45



6-3-2 **مصنع البارود:** فهو الأخر لا يقل أهمية من حيث الإنجاز المعماري بالجزائر العثمانية وموروث يدل على أهمية صناعة البارود والأسلحة، يقع في الجزء الأوسط من القصبة يذكر على خلاصي :« إن هذا الموقع أراه إستراتجيا لحمايته من القصف والتدمير من طرف الغزاة ، تحده من الجهة الشمالية حديقة النعام... ومن الجهة الشرقية قصر البايات ومن الجهة الغربية مسجد الجيش وحديقة خوجة الباب، يعد أصلا إلى المراحل الأولى في بناء القصبة، أعيدت هياكله سنة 1629م من طرف **الكراغلة*** على أيام **حسين خوجة*** كما أعيد على أسس وهياكل جديدة في عهد علي باشا» **(1)**، يذكر أيضا من خلال روزي (Rozet) التفاصيل بقوله:« مصنع البارود الخاص بالداي هو بناء واسع جدا ،نلاحظ عدة قاعات مقببة في غاية الجمال تحتوي كلها على ورشات، وصنعت الأدوات الخاصة بصناعة البارود بطريقة رائعة، قد أعجبت خاصة ببناء المطحنة المخصصة لخلط المواد، فهي شبيهة تماما بتلك التي نستعملها في **دوقية بورقونيا*** لصناعة زيت الحبوب » **(2)** وبالتالي يعتبر مصنع البارود صرح هام في القصبة لصناعة المادة الأساسية للأسلحة والتموين العسكري**(3)**

7-3-2 **الـــدار:** لفظ يطلق على المسكن، بسبب كثرة حركات الناس فيه، وهي كلمة مرادفة للمنزل مشتقة من فعل "دار يدور"،**(4)** وفي حديث نبوي شريف« ألا أنبئكم بخير دور الأنصار»**(5)**

---

*الكراغلة: أنظر التعليق ص 12

*حكم حسن خوجة ما بين (1627م- 1633م) على أيام السلطان عثمان الثاني، إنتصر على التونسيين وورسم حدود الجزائر مع تونس كما حسّن علاقات الإيالة مع فرنسا، أغتيل من طرف الجيش، سنة 1633، وإستلم الديوان السلطة، أنظر أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا... المرجع السابق ، ص 15

1-علي خلاصي ، المرجع السابق ص.ص 118-119

*دوقية بورقونيا(BOURGOGNE): هي عاصمة مقاطعة المَاران بفرنسا حليا، وجدت بين عامي(843 م - 1477م). كان يحكمها دوقات بالوراثة وأنتهت هذه الدوقية بوفاة شارل الجريء سنة 1477 إلى أن تم إستيعاب الدوقية في تاج الفرنسي من قبل لويس الحادي عشر ملك فرنسا. أنظر الموقع الإلكتروني الموسوعة الحرة www.ar.wikipedia.org_ بتاريخ 2014/12/21

2- علي خلاصي، المرجع السابق، ص 120،

3-Merle, (J.T), la Prise d’Alger Racontée par un Algérien, Paris, 1830 ; p 216

4- ابن منظور، لسان العرب ، المصدر السابق ،ج3 ص.ص1450-1452

5-حدثنا سعد بن حفص الّطُّلْحُي، حدثنا شيبان عن يحي،قال أخبرني أبو أسَيدٍ أنه سمع النبي ﷺيقول:«خير الأنصار- أو قال : خير دور الأنصار – بنو النجار، وبنو عبد الأشهل، وبنو الحارث، وبنو ساعده » أنظر إبن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح البخاري، ج7، ط1 دار الريان للتراث،القاهرة، 1986، ص144



ولفظ الدار المستخدم في عهد العثماني للدالة على البنايات المتعددة(1) ويخصص بها المنازل، التي تبنى بحجم وشكل معين، تتوفرعلى مرافق تكون الأسرة بحاجة إليها، فكانت الوحدة الأساسية التي قام عليها العمراني في المدينة، بالإضافة إلى تشابه بنيانها بشكل عام ، والذي يدل على البعد في الوحدة الثقافية والإجتماعية التي كانت عليها الأسر الجزائرية آنذاك.(2) وغالبا ما كانت تتألف الدور من طابقين طابق على مستوى الشارع ويطلق عليه الطابق الأرضي وآخر علوي ويطلق عليه الطابق العلوي(3)، هذا الوصف أدلى به أيضا الأسّير (Filippo Pananti) خلال القرن التاسع عشر الميلادي، أما (Shaw) عمم وجود الطابق الثالث في الدور بالجزائر في رحلته بين (1720م-1730م)(4)، ويبدو أن الطابق الثالث الذي تحدث عنه الرحالة الإنجلزي، ليس طابقا حقيقيا بل عبارة عن عن سقف لشرفة تبنى في أعلى الطابق الثاني تستخدمها النساء من أجل التنزه، وشم الهواء حسب قول الضابط الفرنسي (Rozet)(5).

كما أن في أغلب الأحيان الدور بالجزائر العثمانية كانت تسمى بأسماء ملاكها القدامى أوالجدّد، فالقليل منها ما كان يسمى باسماء مستعار كدارالورد، دارالجوهر، دار الحمرا...(6)

8-3-2 **الدويرة** : تصغير لكلمة "الدار" ويقصد بها الدار الصغيرة، ولكن في الواقع فإن الحجم الذي يميز الداركبيرة والدويرة لم يكن محل إتفاق، ولذا وجدت بعض السكنات التي أشير إليها في العقود مرة بالدار ومرة أخرى الدويرة، بالإضافة إلى عدم الاتفاق حول

1- يبدوأن الكلمة لا يخصص بها المسكن فقط بل حتى المحل المخصص لممارسة حرفة فنقول در اللحم يقصد بها المذبح، دارالصابون، دارسركجي (دار صناعة الخل في اللغة التركية)، دار الطبجية (دار يقيم بها الجنود)، دار الإنكشارية (ثكنة للجيش)، كما يراد بها الإقليم كقول دار السلطان أو دار الإمارة... للمزيد طالع خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري ، غير منشورة، قسنطينة ،2006 ص.ص 461-478

2-خليفة حماش ، المرجع نفسه، ص 462

3-de Paradis,(V), Tunis et Alger au 18° siècle, Paris , Sind Bad ;1983 ; P :109

4-Shaw.(D),Voyage dans la régence d’Alger, tr de l’anglais,2° éd,Tunis bouslama,1980, P :289

5- Rozet, Op.cit., P22

6- خليفة حماش ، المرجع السابق ص 466



شكل الذي يميز الدار والدويرة، قد تكون هذه بناء مستقل أو مشتركة المدخل لباب واحد، قد تكون أيضا الدويرة عبارة عن غرف فوق سقيفة إحدى الدور، يكمن أيضا أن تكون عبارة عن غرف راكبة على بناء أخرغيرالدور، كدويرة الراكبة على الكوشة، كدويرة كوشة حرمة العين عبد الله العلج بمدينة الجزائر (1).

2-3-9 **المنازل الريفية :** واحدة من العناصر الملكية الخاصة بسكان مدينة الجزائر لا تختلف أهميتها عن الدور والمحلات التجارية الموزعة في المدينة، فكانت أسّرها مصدر ثروة للثمار واللحوم والألبان ... يطلق عليها جنائن الفحوص المنتشرة خارج المدينة ولذاك أعتبرت مكانا للعمل والسكن حيث أشار الرحالة (shaw):« إن الهضاب والأودية بمدينة الجزائر مغطاة بالمنازل الريفية والحدائق حيث يمضي الأثرياء فصل الصيف، وكل المنازل مطلّية بالجير ومغطاة بالأشجارالمثمرة، وهو منظر يري من البحر ويولد إنبهارا كبيرا في النفس»(1)، ويضيف « إذن لاشك أن هذه المنازل كانت تعكس المستوى الاجتماعي لمالكها وخاصة الأثرياء منهم، فكانت تتوفر على شتى وسائل الراحة و الأُبهة كما هو الحال في القصور تماما،» هذا ماورد في وصف المنزل (برج الجنّة) **الداي الحاج شعبان***، وكان ملك لزوجته بفحص **تاجرارات*** وجاء فيه بأنه:« برج تحوط به السعادة من سائر جهاته ويكتفنه الإقبال من جميع جنباته ، يشمل على بيوت، غرف ، مخازن وغيرذلك » (2)

المتخصص في العمارة العثمانية يدرك أن العثمانيين بالرغم من عدم إضافة شيء جديد لهذا المجال فإنهم إهتموا به غاية الإهتمام وكل ما أنجزه يُعبر عن موروث ثقافي عمراني فنًا في غاية الجمال لازالت معالمه إلى يومنا الحاض، تعكس الحياة الاجتماعية بمختلف فروقاتها المعيشية، فكل بناء يعبر عن مستوى الأفراد، من السلطة الحاكمة إلى بقية الشعب الجزائري خلال تلك الفترة، حيث تعدد المرافق العمرانية بإختلافها حسب وظيفتها المنوط بها سواء كانت للسكن، التجارة، أو مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية بالإضافة المرافق الصحية الذي لم يتسع لنا ذكرها في هذا البحث باعتبارها موضوع تخصص.

1- خليفة حماش ، المرجع السابق ص 468

2- Shaw.(D), Voyage dans … Op.Cit. P 303

* الداي الحاج شعبان :تمكن في عهده الجيش الجزائري من دحر قوات السلطان المغربي المولى إسماعيل بالقرب من نهر ملوية وإنعقدت معاهدة وجدة الذي إعترف بها السلطان المغربي بالمعاهدات السابقة ، أنظر أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا ..... المرجع السابق ، ص 64

* تاجرارات : ناحية ريفية خارج فحص باب عزون بالجزائر العاصمة، أنظر خليفة حماش ، المرجع السابق، ص472

2- نفسه ، ص 473



3- الموروث الفكري والتعليمي :في الواقع أن مكانة العلم والتعليم في أي مجتمع تعكس صورة تطوره أو تخلفه، بإعتبارهما أساسان لكل ثقافة لشعب من الشعوب، وبالتالي لا تستثنى الفترة العثمانية عن إنتشار التعليم إنتشارا طيبا حتى غطى كل مدينة، قرية، جبل أو صحراء، وبرزعدة علماء صحت صورتهم وتدرجت مكانتهم العلمية في أوساط المفكرين وساسة العثمانيين، بالرغم من الإنتاج الفكري المتواضع مقارنة بما أنتجته الفترة السابقة من العهد الإسلامي وأن كل ما إستّقيناه من معرفة عِلمية عن هذه الفترة مصدره الإرث الأوربي و السؤل المطروح في هذا المجال ماهي سياسة التعليم خلال العهد العثماني ؟ وماهي مراحله ؟ ومن هم الفاعلين بعملية التعليم ؟ من هم أشهر المدرسين خلال الفترة العثمانية؟ ما مكانة العلماء وعلاقتهم بالحكام ؟ وماهي آراء الرحالة الأوربيين حول التعليم والعلماء؟

1-3 السياسة التعليمية بالجزائر العثمانية : يذكر أبو القاسم سعد الله« أن الدولة لم يكن لها أي دخل في هذا الميدان، فلم يكن للدولة الجزائرية عنذئد وزير لشؤون التعليم ولا مدير أو وكيل أو نحو ذلك من الوظائف الرسمية، لقد كانت كل هموم الدولة منحصرة في الحفاظ على الاستقرارالسياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب للخزينة وتوفير أجور الجند...والمعدات الحربية ... وتوزيع الهدايا والعطاء للسلطان العثماني، وموظفي دولته من جهة وعلى موظفي وحظوظي الأوجاق في الجزائر» .**(1)**، فالتعليم لم يكن له نصيب في الترقية والتنمية الحكومية.

فالتعليم كان يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية ولكن أشير أن رجال الدولة تدخلوا بشكل فردي وليس بشكل رسمي، فالآباء بدافع أو آخر جعلهم يحرصون على تعليم أبنائهم، بدافع حرص الدين على التعليم أو أنهم لم يصلون سن العمل، أو دافع الوراثة بحيث الأسرة إمتهنت التعليم، القضاء أو الإفتاء، كما أن الأمر ينطلق من تقاليد الجزائريين الراسخة وهي إحترامهم للإنسان المتعلم وتقديرهم للعلم في حد ذاته، ولعل السبب القوي كون العثمانيين في أغلبهم عزب، وكون رؤسائهم أغلبهم حدثي العهد بالإسلام قد جعلهم لا يهتمون بتعليم الأطفال في الجزائر لأنهم كانوا في جملتهم بدون أطفال، فكان نشر التعليم بين الأطفال المسلمين أمرا ثانوي بالنسبة لهم .**(2) (انظر الملحق ص165)**

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...ج[1]، المرجع السابق، ص.ص 415-416

2- نفسه، ص 317



ومهما كان الأمر فالأسرة الجزائرية هي التي كانت تتحمل عبئ التعليم، حتى ولو كان الآباء فقراء، فكانوا يحرصون على إرسال أبنائهم إلى الكتاب لحفظ القرآن وتعليمهم المبادئ العامة من المعرفة، فكانت نفقات الأوقاف، الصدقات والأموال الخاصة هي التي تتكفل بتغذية الأطفال وتعليمهم وليس ميزانية الدولة**(1)**.

إن التعليم الابتدائي كانت يعتمد أساسا على حفظ القرآن الكريم، ومن أجل ذلك تعلموا الكتابة والقراءة ، وبعض العلوم العملية كالحساب لغرض ديني وهو معرفة الفرائض وقسمة التركات بن الورثة. وأجرّة المعلم كانت نوعا ما من الصدقة والإحسان **(2)** أما التعليم الثانوي والعالي، كانت تختلف عن سابقاتها من مراحل التعليم فالمُدرس لم يكن حرا وخصوصيا في المدن، كان موظفا يعينه الباشا أو الداي ، تسلط عليه الرقابة والقيود.

أما في الأرياف فرجال العلم إتخذوا من التدريس وسيلة لجلب الناس والطلبة إلى زواياهم وإعتناق مذاهبهم الصوفية، وإكتساب المال والصدقات والحبوس، ولم يكن التعليم خلال العهد العثماني مربحا من الناحية المادية، ولم يكن مرغوب عند الكثير، حيث بعض المتعلمين إتخذوا من التجارة حرفة بدلا عنه، فهذا "سعيد قدورة" رغم منصبه العلمي فهو تاجرٌ بماله مع بعض التجار، كما كان "إبن حماد وش" يجمع بين المال والتجارة ، وهذا "محمد النقاوسي" الذي تحدث عنه "الفكون"، و"حمودة المقايسي"الذي عدل عن مهنة التدريس وتعاطي مهنة المقاييس، وما يقال عن إنتشار التعليم التي تشير إليه بعض المصادر، إنما المقصود به التعليم الابتدائي وليس التعليم الثانوي والعالي، وأن تكاد لا تَجد في الجزائر من لا يعرف الكتابة والقراءة فالمقصود بذلك المستوى الأدنى من التعليم أو محو الأمية ، أما التعليم الحّي والذي يُعني به رقة الثقافة والتعمق في المسائل وتكوين رأي المستقبل وتذوق المعارف الذي يشبع الفضول الإنساني فقد كان قليلا **(3)**.

ولكن ما يحسب للسلطة العثمانية بالجزائر ذلك الإنفراج في تبادل الأساتذة مع الدول الإسلامية الأخرى، فقد سمحت لعلماء غير جزائريين الاستيطان بالجزائر والتدريس والتوظيف فيها، في الوقت ذاته سمحت لعلماء الجزائر، طلب العلم بالمعاهد الإسلامية خارج الجزائر، حتى مع الدول التي كانت بينها وبينهم توترات سياسية كالمغرب مثلا.

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ...ج1، نفس المرجع السابق 317

1- نفسه ، ص.ص 317-318

3- نفسه ،ص.ص 321-322



إن مصدر هذا التسامح يعود إلى عقيدة العثمانيين من الدين ورجاله، فهم بالرغم من الإختلافات السياسية أحيانا، ترك العثمانيين أبواب الجزائر مفتوحة على العالم الإسلامية **(1).**

2-3 الفئة الفاعلة في عملية التعليم :لا شك أن الجانب البشري يلعب دورا هاما في إستثمار عملية التعليم لشعب من الشعوب وعليه فإن الأعمدة الأساسية في بناء عملية التعلم يحملها المعلم أو كما كان يسمى في الإبتدائي "المؤدب" بحيث يذكر أبو القاسم سعد الله :« من الطبيعي أن يكون عمدة التعليم هو المعلم، فهو المَثّل الأعلى للتلاميذ من الصّبا إلى المراهقة، بل إلى الشباب والكهولة...»إنقسم المعلمون في المدينة إلى صنفين :

*أولهما المعلم (المؤدب) ويباشر التعليم الابتدائي المتصل إلى أن يبلغ الطفل سن المراهقة (سن 15 سنة)، وهو مدرس إذا كان يباشر التعليم للفتيان الغاية سن العشرين ،

*أما الصنف الثاني يطلق عليه الأستاذ أو الشيخ، إذا كان يدرس لما فوق ذلك من الأعمار والمستويات، ويشترط في المعلم الذي يختارونه أهل الحي من أهل التّقوى والصلاح والضمير الاجتماعي، وأن يكون متزوجا وحافظا للقرآن الكريم بالطبع وأن يكون المعلم من العثمانيين أو الأندلسيين أو الأشراف بحيث يعودون إليه في عدة مسائل دينية .

أما المعلم في الريف فهو لا يختلف عن المعلم في المدينة إلا أنه أكثر صلاحيات منه، بحيث يرجع إليه سكان القرية في كتابة العقود، ويلجؤون له في الفّتن والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية، فهو محل ثقتهم وتقديرهم، كونه له صلة قوية بالأهالي**(2).**أما المدرس فيذكر أبو القاسم سعد الله « أنه موظف في الغالب وخاصة في المدينة له أجر ثابت من مال الأوقاف والهدايا وعطايا خلال المناسبات، أما في الريف فهو أكثر حرية ورزقه غير مقيد بالوقف ونحوه، وكان يمارس التدريس في المسجد، الزاوية، أو مدرسة متخصصة، وغالبا المدرسون ما يجمعون بين الوظائف الرسمية كالقضاء والإفتاء والتعليم، وذوي الخبرة منهم في المسائل العلمية، تدريسهم كان نوعا من التعليم العالي » **(3).**

1- أبو القاسم سعد الله ، نفس المرجع السابق ،ص 323

2- نفسه ، ص.ص 324-325

3- نفسه، ص329



أما المُتلقي والمقصود به التلاميذ بإعتبارهم محور العملية التعليمية فكان سنهم يتراوح بين السن السادسة والرابعة عشر، قد نابهم حفظ القرآن، وتعلُّم القراءة والكتابة وقواعد الدين وأوليات الحساب، كما يمكن للتلميذ أن يكون مساعدا للمؤدب في تعليم الأطفال الأصغر منهم. وكل أسرة كان طفلها يختم القرآن، كانت سعادتها لا تصف، حيث تقيم مأدبة غداء تَدْعِي فيها الأطفال الآخرين، كما يُلبّس طفلها ملابس جديدة تُعبر على أنه أصبح طالبا ينخرط في سالك الطلبة الثانوية، كما يشارك الجيران في الحفل أيضا **(1)**. إن عدد التلاميذ في كل كُتّاب يتراوح بين العشرين والثلاثين مع العلم أن هذا العدد يتوقف حسب عدد السكان، إن عدد الكُتّاب وعدد التلاميذ هو نسبي لا توجد إحصائيات ثابتة لهذا العدد، حيث تحتوي مدينة تلمسان على خمسين مدرسة(كُتّاب) بها نحو ألفين تلميذ**(2)**، كما إنتشرت تسعين مدرسة إبتدائية بقسنطينة ضمت حوالي ألف وثلاثمائة وخمسين تلميذ، أما مدينة الجزائر ضمت حوالي ألفين تلميذ، حيث كان سكانها حريصين على تعليم أبنائهم في المرحلة الابتدائية. التعليم الثانوي والعالي كان أمره يختلف عن التعليم الابتدائي، فهو أساس التعليم المجاني فالطالب لا يدفع شيئا، بل هو المدفوع له، يمكنه التحصل على سكن والماء والزيت والحلوى والأكل وأحيانا كان يقتضى مبلغا نقديا، من الوقف على أنها منحة سنوية مقدارها ست وثلاثون فرنكا. ثلثي هذا العدد من الطلبة كانوا في الأرياف يقيمون في الزوايا، يدرسون في المدارس والمساجد.

مصدر التعليم الثانوي لم يكن دائما متوفرا... كما إختلف أعداد الطلبة في المدارس الثانوية من عهد إلى آخر، حسب الظروف السياسية وحالة الأسرة ودخل الأوقاف (ميزانية الوقف)، فكانت تحوي هذه المرحلة من التعليم ما بين ألفين وثلاثة آلاف طالب في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة ، أي حوالي تسعين ألف طالب في كل القطر كله.

أما تعليم المرأة يذكر أبو قاسم سعد الله أن من مفارقات هذا العهد« لم يكن للمرأة نصيب في التعليم، وكانت غائبة طيلة هذا العهد على مسرح الرسمي، فلا أميرات وسيدات يشاركن في الحياة العامة ... ولا شاعرات أو كاتبات يساهمن في الحياة الثقافية وترقية الذوق الاجتماعي »**(3)**.

1- - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ص.ص 335-336

2- نفسه، ص 336 ، المزيد أنظر أيضا (Emiret)،الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، ص13

3- أبو القاسم سعد الله ، نفسه،ص.ص 337 - 340



ويرجع أبو القاسم سعد الله الأسباب في ذلك الى :

*غالبا ما كان الحكام العثمانيين من العزاب المغامرين، ما يشغل وقتهم هو جمع المال والبقاء في الحكم

*يفضلون الجواري المسيحيات بالدرجة الأولى عن الجرائريات المُسّلمات.

*إعتبروا الزواج من المرأة المسلمة مذلة وحطة من شأنهم، وجعلوا أبناءهم منها في درجة العبيد، بينما أبناء الجواري والسبايا والمسيحيات الأحرار يحكمون ويرثون وظائف أبائهم،(1) ،

كما يذكر في نفس السياق جازما بقوله" لا نتصور أن مجتمعا فيه أهل الأندلس والمثقفون درسوا التاريخ الإسلامي ودورالمرأة فيه، ويبخلون بتعليمهم بناتهم القراءة والكتابة واللغة... لكن يستدل "بأبي رأس الناصري" الذي يخبرنا عن نماذج من تعلّمن بأن أمه كانت كرابعة العدوية علما وتقوى، أما "الورثلاني" ... فإحدى زوجاته كانت تحفظ ربع القرآن الكريم، وأجزاء من رسالة أبي زيد القيرواني، وزوجه الأخرى كانت تنسّخ الكتب...وقد ذكر (Sheller) أنه هناك مدارس للبنات، والنّساء هن التي يدرن هذه المدارس، لم يشهدها ولكن الناس حدثوه بها.

أما المرأة الريفية كانت أكثر ظهورا من المرأة الحضرية، فكانت تقوم بدورها الاجتماعي والاقتصادي، بدون حرج في حدود البيئية والتقاليد والدين ... فكانت تتلق في صباها قواعد الدين والقراءة على يد والدها إذا كان متعلم أو على يد مؤدب خاص (2)

3-3 أشهر رجالات التدريس من علماء الفترة :حسب المصادر التاريخية، هناك الكثير من العلماء من إمتهنوا التدريس، سواء في الجزائر أوخارجها، فكانت شُهرتهم تسع المكان لقوة طريقتهم في تدريس، وطلاقة لسانهم، وإطلاعهم الواسع على المواضيع التي تُعالج ، بالرغم من عدم ووجود أي مركز علمي يضاهي **كالقيروان*** الذي أسّس في الثلث الأخير

1-أبو القاسم سعد الله ، نفس المرجع السابق ص 340

2- نفسه،ص341

*القيروان (بتونس) : أسسها عقبة بن نافع سنة 670م فصارت عاصمة لإفريقيا، بلغت أوج عزّتها على عهد ملوك الأغالبة في القرن التاسع الميلادي، فكانت مركزا صناعيا هاما ومحطة للقوافل وسوقا للتجارة. للمزيد أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ، دار الصادر، بيروت، (د.ت)، المجلد 4، ص.ص.440-441



من القرن السابع الميلادي أو مركز **فاس*** الذي عرف شهرة في القرن العشر الميلادي ، ونقتصر في هذا الموضوع على سّرد بعض علماء المدرسين لهذه الفترة (العثمانية)، حتى وإن كانت قليلة فقد أدت ما عليها علميا وثقافيا، لا في الجزائر فحسب ولكن أيضا في المغرب العربي بأكمله(1) .

3-3-1 **السعيد قدوره:** "هوسعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمان، وشهرته قدوره، ملكي المذهب، من أسرة علمية بالغة النفوذ في الفتوى بالجامع الكبير بالعاصمة، لا ندري بالضبط متى و لا أين ولد، نشأ طالبا للعلم سافر إلى تلمسان حولي 1012هـ و تتلمذ على يد سعيد المقري وأخذ عنه العلوم العقلية (في الحديث، المنطق، والبيان...)، وأخذ التّصوف على يد أحمد بن أبي عبد الله السجلماسي المعروف "بأبي المحلى"(2)، ولا ريب أنه قد ذهب إلى فارس راغبا في الدراسات العالية ، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1019هـ، تدرج في عدة وظائف من إمام جامع البلاط، وخطيب جامع سيدي رمضان، وإمام وخطيب ومدرس الجامع الكبير، بالجزائر إلى كونه مفتي المالكية ووكيل أوقاف الجامع الكبير، وبذلك قد وصل إلى قمة السّلم الوظيفي بتعيين من الباشا نفسه.(3). ومن أعماله شّيد مدرسة لفقراء الطلبة والغرباء منهم...، وللوعته الكبيرة بلغ من تقديرالباشاوات وأهل الديوان له أنهم كانوا يقدمونه على المفتي الحنفي، الذي كان يمثل المذهب الحاكم، كما درس عنه وأحذ منه واستشهد بكلامه: "عيسى الثعالبي"و"محمد بن عبد الكريم الجزائري" و"يحي الشاوي الملياني"و"عمر المانجلاتي"، و"محمد بن أحمد الشريف الجزائري"، كلهم ألفوا وأجازوا طلبة آخرين(4)

---

* فاس(بالمغرب الأقصى) :إشتهرت فاس وإزدادت أهميتها في عهد الموحدين (1055م-1269م) وتوسعت هذه الشهرة في عهد المرنيين خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، بحيث شيدت فيها الجوامع والمدرس وأصبحت قطبا لجلب العلماء من المغرب والمشرق الإسلامي .المزيد أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص.ص.330-331

1- عمار هلال ، العلماء الجزائريون في فاس ما بين القرن العاشر والعشرين الميلاديين، مجلة الدراسات التاريخية ،العدد 9 ، الجزائر، 1995، ص 35

2- إبن أبي المحلى : كان كاتبا وشاعر وصاحب تأليف..قيل أنه إدّع المهداوية وبالغ في التصوف وقد مات حوالي 1022هـ أنظر أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ص367

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ نفس المرجع ص 368

4- نفسه ،ص341



ترك سعيد قدوره موروثا ثقافيا هاما من(حيث التأليف)(1) منها :

* شرح خطبة مختصر خليل في الفقه.

* حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل.
* شرح النوازل التلمسانية .
* رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو.
* شرح المنظومة الخزرجية في العروض.
* حاشية على شرح صغرى السنوسي.
* شرح على سّلم المرونق في المنطق.

2-3-3 **علي الأنصاري السجلماسي :**هو علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي المعروف (يلقب الفيلالي)، شارك في الحياة العلمية ولا سيما التدريس كان من علماء المغرب الشقيق، إستوطن بالجزائر خلال القرن السابع عشر الميلادي، حيث قربه إليه "الباشا يوسف"، إنطلقت دروس الأنصاري في الجزائر العاصمة، متمكنا من عدة علوم يذكر أبو القاسم سعد الله على لسان المُحبي « إنه كان آية باهرة في جميع العلوم»، ومن العلوم التي كان يدرسه، أصول الدين، البيان والمنطق، النحو ومصطلح الحديث والفقه، السّير والتصّوف، فتعليمه أقترب ما يسمى اليوم بالتعليم العالي، يستعمل في أصول الدين كتاب "جمع الجوامع لسبكي" و "مختصر إبن الحاجب" وفي البيان "تلخيص المفتاح" وفي المنطق "شرح الجمل للخَوْنَّجِي" و"مختصر السنوسي" و"السلم المرونق" للأخضري بالإضافة إلى مصطلح الحديث "صحيح البخاري" وفي الفقه "مختصر خليل" و"أحكام بن عاصم" ، كما كان يُدرس كتاب "الشفاء" للقاضي عياض و "البردة" للبوصيري ... وبذلك إشتمل برنامجه على علوم غزيرة وكتب مثيرة كان على الطلاب أن يحذقوها ويبرعوا فيها (2) .

ترك الأنصاري موروثا من المؤلفات معظمها منظومات وشروح، ذكر بعض منها "أحمد المقري" وذكر البعض الأخر "المحبي" منها:

1- هذا الموروث أفصح عنه الدكتور أبو القاسم سعد الله بعد زيارته إلى المغرب الأقصى، أنظر كتابه تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ، ص375

2- أبوالقاسم سعد الله ، نفس المرجع ص.ص 377-380

*تفسيره للقرآن الكريم بلغ فيه إلى قوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(1)

*ألف منظومة في أكثر من ألف بيت في السير والشمائل النبوية، سماها (الدرة المنيفة في السيرة الشريفة)

* شرح نخبة لإبن عاصم.

* كفاية الطالب النبيل في حل ألفاظ مختصر خليل.

* المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية .

* منظومة جامعة الأسرار في قواعد الإسلام الخمس.

* أرجوزة في العقائد والأشباه والنظائر سماها "المواقيت الثمينة فيما إنتمى لعلم المدينة".

* عقد الجواهر في نظم النظائر .

* نظم بعنوان "مسالك الوصول إلى مدارك الأصول، بالإضافة إلى مجموعة خطب.(2).

3-3-3 **محمد بن أحمد بن والوقاد:** المتوفى (1001هـ/ 1593م) أديب وفقيه ، عارف بالتفسير والحديث، ولد وتعلم ونشأ بتلمسان، بعد دخول العثمانيين إليها غادرها ...، إستقر مدة من الزمن بسجلماسة ، ثم إنتقل إلى مكناس ثم فاس ، ثم **ترودانت** *، فولي، فهو الأول من قرأ الجامع الصحيح للبخاري في ترودانت قراءة ضبط وإتقان وخطب فيها ببراعة اللسان ، وأول من أحيا بها ليلة المولد النبوي الشريف ، بإجماع الناس بمنزله وقراءة القصائد في مدح الرسول ﷺ (3)

1- سورة البقرة،الآية 189

2- أبو القاسم سعد الله ، نفس المرجع السابق ص.ص 382-383

*- ترودانت :تعد ترودانت من أعرق المدن المغربية بمنطقة سوس . يرجع تاريخها إلى العهود القديمة (الفترة الفينيقية) حيث إشتهرت كمركز حضري وتجاري .ستكتسي ترودانت أهمية بالغة خلال الفترتين المرابطين والموحدين ، حيث أعتمدت كقاعدة عسكرية لمراقبة منطقة سوس وضمان إستقرار الطرق التجارية الصحراوية. ضعفت المدينة خلال عهد السعديين حيث أضحت المدينة مجالا لنزاعات محلية، حتى قيام الدولة العلوية إذ دخلها المولى الرشيد سنة (1669 – 1670). أنظر موقع وزارة الثقافة المغربية www.minculture.gov.ma ليوم 2010/01/20

3- عمار هلال، المرجع السابق ص32

3-3-4 **أحمد المقري**:هو بن محمد بن يحي أبو العباس المعروف بالمقري التلمساني، (986هـ-1587م/ 1041هـ-1631م) ولد بتلمسان وبها نشأ وتعلم، وفي سنة 1009هـ /1600م إنتقل إلى فاس و حضر مجالس علماء المدينة في جامع القرويين، وناقشة في بعض المسائل الفقه الإسلامي، فأعتّرف له بعض الشيوخ بالتفوق عليهم بقوة الحجة والبرهان والنّباهة، ولما إنتقل إلى مراكش قربه إليه الخليفة **"المنصرالسعدي"***، عاد إلى فاس ومنها إلى تلمسان سنة 101هـ/1604م ثم عاد إلى فاس مرة ثانية سنة 1022م حيث أسندت إليه خطة الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين، فكانت أزهى سنوات أحمد المقري، عطاء وخدمة للعلم، فكان مؤرخ عصره، أديب، محدث، مفسر، وأية في علم الكلام، من سنة 1618م إلى وفاته، قضاها في المشرق يجوب في أقطار بلدانها ينشر ما أهابه الله من علوم.**(1)**

3-3-5 أ**حمد التيجاني بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف :** ولد ونشأ في **عين ماضي***من علماء الجزائرالذين عاشوا في المغرب خلال القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي، مؤسس الطريقة الصوفية المعروفة "بالطريقة التيجانية" من فقهاء المالكية ، عارف بالأدب، وعلم الأصول و فروعه، أخذ من علماء وفاس وتلمسان ومنها قصد الحجاز سنة 1186هـ، ثم عاد إلى فاس ومنها إلى منطقة التّوات بالجنوب الجزائري وغادرها بسسب عدة مشاكل سنة 1213هـ و إستقر نهائيا بفاس حتى وفاته وما يلفت إنتباه الشيخ أحمد التيجاني هوتأسيسه للزاوية التجانية **بعين ماضي*** والتي تخطت هذه الطريقة حدود المغرب نحو إفريقيا الغربية، فجلبت إليها مريدين كثرون، كما تصدرت الطرق الصوفية آنذاك فلعبت دورا هاما سياسيا، ثقافيا واجتماعيا ، ولازالت إلى حد الآن محل العام والخاص**(2)**

3-4 المكانة السياسية والاجتماعية لعلماء الفترة العثمانية:« كان الباشاوات في الجزائر هم الذين يعينون العلماء في وظائفهم، بينما لم يكن للعلماء دخل في تعيين الباشاوات،

*المنتصر السعدي:هو أبو عبد الله محمد الشيخ، الملقب بالمهدي، سلطان الدولة السعدية حكم ما بين سنتي 1540و1557وفي عهده قضى على الوطاسيين بالمغرب سنة 1554، و بعدها قام بتوطيد دعائم ملكه أمن البلاد وإستولى على تلمسان1551 وعتني بالعلم في صغره وتعلق بأهدابه فأخذ عن جماعة من الشيوخ وبلغ فيه درجة الرسوخ حتى كان يخالف القضاة في الأحكام ويرد عليهم فتواهم، كما كان أديبا وحافظا وكان يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب. أنظر الموقع www.ar.wikipedia.org بتاريخ 2014/12/12

1- المحبي، المصدر السابق ، ص 202

*مدينة عين ماضي: مدينة جزائرية، قع على بعد 50 كلم من قدم جبال العمور على صفة بيضاوية الشكل، مما جعل سكان يقولون أن عين ماضي بيضة النعامة شقت طولا تبعد عن عاصمة الولاية الأغواط بأكثر من 60 كلم يحدها من الشمال الشرقي تاجموت ومن الشمال الغيشة و بلدية واد مزي مع الحدود الغربية للغيشة و تاجرونة أما من الجنوب الغربي ولاية البيض، ومن الشرق الحويطة وحاسي الرمل. أنظر موقع جواهر المعاني، www.benaoun1983.arabblogs.com ، بتاريخ 2014/11/26

2-عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الجزائر، 1988 ص.ص : 118- 126



فقد كان الأوجاق هم الذين يقررون مصير الباشا... ، إذ كان يكفي تجمع عدد من الجنود عند القصر، ودخول طليعة منهم للقبض على الباشا وإعدامه، فكان دور العلماء في هذه الحالة سلبيا، فهم ينتظرون إنجلاء غبار الثورة لكي يباركوا للباشا الجديد، ويقدموا إليه بالبيعة والتهنئة وعروض الولاء. وقد وقف بعض العلماء أحيانا مواقف سياسية معادية من بعض الولاة فكان نصيبهم الإعدام، كما حدث للمفتي "أحمد قدورة" مع الباشا **"محمد بكداش"*.** كما أن العلماء إحتكروا مجالات معينة في المجتمع كالإفتاء، القضاء، التعليم، الإمامة والخطابة "(1) وبالرغم من تعدد هذه المجالات، لكن ولّدت تنافسا كبيرا بينهم لإرضاء الحكام ... وخصوصا في المدن، كما إبتعدوا عن الشعب وأصبحوا ينظرون إليه **نظرة فوقانية*** فمصالح العلماء كانت في إرضاء البايات وكسب ودهم وليس في خدمة الشعب والتقرب منه ورفع مستواه.(2)

لا شك أن أعلى وظيفة كان يتولاها العالم هي الفتوى، بعد أن جعلها العثمانيون من الوظائف الرسمية، وبالرغم من خطورة المنصب لا نكاد نجد أو نسمع أن أحدا رفض أو إعتذرعن قبول الوظيفة، بل إننا سنرى التنافس عليها كان على أشده ولم يكونوا يقومون بحقها حق قيام، بل معظمهم كانوا ينظرون إليها على أنها مكسب للرزق ومطلب للجاه ، ونفس الأمر يقال على القضاء مع الإشارة أن تعيين كل من مفتي وقاضي كانا من مذهبين مختلفين أحدهما حنفي وهو المذهب الرسمي والثاني مالكي، مع العلم أن مفتي وقاضي المذهب الأول موجه للطبقة الحاكمة والعسكر العثمانيين والمذهب الثاني مفتي وقاضي عامة الجمهور (3). أما الوظيفة التي كانت لها أهمية هي الأخرى الخطابة، و من المعروف إن من

*محمد بكداش: (1707م-1710م) هو محمد بن أبي نور الدين بن محمد عربي الأصل،سماه والده "بكداش" تيمنا بشيخ البكداشية، لأنه متصوف أخذ الصوفية على الشيخ "قاسم محمد البوني" كان عالما في عدة فنون ماهرا في علم اللسان ، تقلد عدة مناصب عسكرية و حكومية، كان حامل الراية العسكرية ، موظف لتقسم الخبرعلى الجند ، دفتر دار(كاتب عام) ،ثم عين دايا على الجزائر سنة 1707م تولى الخطابة في بعض المساجد، ولكن تشويه حُساده أدبه الباشا بنفيه إلى طرابلس الغرب... أنظر تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي ج3 ص 453،

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1،المرجع السابق، ص.ص 394-396

* نظرة فوقانية: نظرة إستعلاء وتكبر، كما جاء في رسالة لأحمد بن عمار : "العوام كالهوام"، أبو القاسم سعد الله المرجع السابق ص395

2- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص 196

3- أشير ليس كل العلماء كانوا بهذه الصفة بل بعضهم رفض منصب الإفتاء والقضاء على غرار "عمر الوزان"، ومنهم من أجبر على الإفتاء كالشيخ "محمد بن أحمد البوني" في عهد الباشا محمد بكداش ومنهم من لم يمتهن وظيفة الإفتاء ولا القضاء "كالمازوني"صاحب كتاب (الدار المكنونة في نوازل مازونة)، أو "الونشريسي" صاحب الموسوعة (المعيار)، كل هؤلاء أنظر محمد بن مبمون الجزائري التحفة المرضية، ص174



شروط الخطيب الفصاحة، جودة الصوت، سعة الإطلاع، والجرأة الأدبية، لكن في الجزائر العثمانية كان يُكتفي ببعضها على الأقل، حتى ولو لم يكن العالم الخطيب في مستوى تطلعات الجمهور، كما إمتهن الخطيب وظيفة الإمامة بالناس، والخطابة هي الأخرى كانت أيضا محل تنافس بين العلماء، والعالم الجريء والفصيح كان محل مخاوف السلطة الحاكمة، فينشرون حوله العيون إذا تكاثر الناس حوله، قد يعزل أو يقتل إتقاء شره ،حسب زعمهم.

أما التدريس قد سبق التطرق له فيما سبق، وفي غالب الأحيان تكون هذه الوظيفة تابعة لوظائف أخرى كالفتوى، القضاء أوالإمامة (الخطابة) وكانت أقل المهّن تنافسا من طرف العلماء حيث إعتبار التعليم من الوظائف المجلوبة للفقر.

ومن المهام التي قام بها العلماء العمل الدبلوماسي وتمثيل الجزائر في الخارج ومن أقدمها سفارة "محمد بن علي الخروبي الطرابلسي" إلى المغرب وسفارة القاضي "محمد القوجيلي" إلى إستانبول1065هـ/ 1650م وسفارة "محمد بن العنابي" إلى المغرب عقب حملة "**اللورد إكسموث**"* سنة 1231/ 1816م حين أرسله عمر باشا طلب العون العسكري من "السلطان سليمان"(1)

يذكر أبو القاسم سعد الله أمرا مهما حول الحياة الاجتماعية للعلماء حيث يقول «من مظاهر عيش العلماء في دائرة ضيقة توريثهم الوظائف لأبنائهم وأقاربهم» حيث ورث سعيد قدورة إبنه محمد في الخطابة بالجامع الكبير بالرغم من صغر سنه، وبعدها أصبح هو المفتي الرسمي، كما تولى محمد بن خوجة بن مسلم الخطابة بعد والده، كما توارث عائلة إبن العنابي، إبن فكون وإبن باديس الإفتاء والقضاء لمدة زمنية طويلة

بالإضافة إلى علاقة البنوة والأخوة في الوظائف هناك علاقة أخرى تتمثل في المصاهرة ولاسيما بن هذه الفئة (العلماء) ومن الأمثلة على ذلك مصاهرة عائلة قدورة وعائلة المرتضى التي كان فيها نقابة الأشراف ومصاهرة عائلة الزهار من الأشراف وعائلة إبن المبارك وهي آسرة مرابطين ، وغيرها من الأسر الأخرى .

---

*اللورد إكسموث:إسمه بالكامل "بارون إدوارد إكسموث كوالاس" (Baron Edward Ex motte Koalas) أميرال إنجليزي، صاحب الحملة الإنجليزية بمعية الأميرال الهولندي "فاون كبلين" (Van Kapellen) على ميناء الجزائر سنة 1816 والذي ألحق خسائر كبيرة بالأسطول البحري الجزائري خلال تلك الحملة حيث إقترب من ميناء الجزائر رافعا العلم البيض طلبا للمفاوضات، ولكن كانت خدعة عند إقترابه من الساحل الجزائر، رشق الأسطول البحري الجزائري بنيرانه حيث دمره كليا، أنظر مولود قاسم نايت بلقاسم، الشخصية الجزائر الدولية وهيبتها قبل 1830، دار الأمة، ط2، ج1 الجزائر ،2007ص.ص 196-202

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص.ص 396-405



وما يلاحظ كانت هناك شحنة قوية بين رجال الطرق وكبار الصالحين والعلماء (الفقهاء) فالفئة الأولى ترى هؤلاء الفقهاء ماديون تحتكرهم السلطة، أما الفئة الثانية ترى أن المتصوفة من رجال الطريقة إنتهازيون وزنادقة، بين هذه الفئتين علماء متصوفة يتنهدون أسفا على ضياع العلم وسقوط الفقه وذهاب شروط التعليم(1)

5-3 آراء بعض الرحالة الأوربيين والمغاربة حول التعليم والعلماء:

معظم أو جل القناصل والرحالة الأوروبيون يصفون الجزائر بأوصاف قاسية وقبيحة، والتصرفات المنافية لكل حضارة، والمناهضة للأخلاق، فيعتقدون أن الجزائر وكرًا للصوصية، معقل للأسرى الأوروبيين، يذوق النصارى فيها مختلف أنواع العذاب، سجون العاصمة مكتظة بالأسرى، ولكن الواقع غيرذلك(2)، وإذا وقفوا عند الحياة الثقافية للجزائر أجازوا و أخطؤوا فمثلا :

ينفي القنصل شالر (Shaler) وجود العلم والتعليم في الجزائر ويدعي أن السكان يحتقرون العلوم، ويكتفون بتعليم القرآن (3)

وهاهو "بيتيس ذي لاكروا"(F.Petit de la Croix)* يكتب: «المرابطون يديرون الكتاتيب ويقرأون وهم يغنون، وعندما يرتكب التلميذ ذَنْبًا يضرب على قدميه، ولكن إذا حفظ عن ظهر قلب القرآن فإنهم يجولون به وسط أنغام الموسيقى وهو يرتدي اللباس الفاخر ، والمصحف على رأسه ويمشي وراءه جميع التلاميذ »(4)

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص.ص 406-407

2- مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني ، ش. و. ن. ت، الجزائر ، 1979، ص 31 أنظر أيضا

Boyer (P), une Note publiées le père Hérault, in Revue de l’occident musulman, N^{0}17, 1974, P.P 19-41

3- Shaler (W), Esquisse de l’Etat d’Alger , traduction M.X.Blanchi,Paris, 1830, p 77 paragraphe :«Il est inutile de parler de l’état des science à Alger ou elles n’existent pas ou elles sont méprisées , le Coran est toute leur littérature ».

4- مولاي بلحميسي، المرجع السابق ، ص.ص 31-32 من خلال كتابات،

Petit de la Croix (A.I.E.O), 1953,P : 19

* François Pétis de la Croix : (1622-1695), secrétaire-interprète du roi Louis XIV pour les langues turque et arabe, est le père de François Pétis de la Croix (1653-1713), lui-même secrétaire-interprète duOL roi, professeur d'arabe au Collège royal et auteur de l'ouvrage à succès *Les Mille et un jours* (1710-1712).., site,www.data.bnf.fr de date 20/11/2014



وبالرغم من الإتهامات التي يذكرها الرحالة الأوربيين على سُوء الوضع الاجتماعي والثقافي وخاصة وضعية الأسرى السّيئة، فالواقع كان غير ذلك فقد عُملوا هؤلاء بإحترام وإنسانية على أساس ما يدعى اليوم حقوق (المساجين) والعكس ما كان يُعامل به أسرنا في أوربا.

ومن أبرز الرحالة المغاربة الذي وصف الوضعية الثقافية خلال القرن السابع والثامن عشر الميلادي بالجزائرمن خلال الأستاذ **عمار هلال*** هو "إبن زكور"بحيث يقول عن الشيخ "إبن عبد الله بن خليفة"« وليكن هذا المولى خاتمة من أردنا ذكره من الأعلام هذه البلاد ومن حاضر وباد، وإنما لم أحفل بسواهم. إكتفاء بالبحرعن الجدول والأنهار والاستغناء عن شموس النهارعن الدراري والقمار»(1)، وبالتالي نذكر من خلال ذلك أن عصر"ابن زكور"(1075هـ1120هـ/1663م-1708م) كان مؤججا بالعلماء والمشايخ سواء كانوا مشارقه أو مغاربة، كما يذكر أيضا من خلال رحلته أهم المشايخ الذين تتلمذه على يدهم "كأبي حفص عمر بن محمد بن عبد المؤمن المانجلاتي"، والشيخ "سعيد بن إبراهيم الجزائري" والشيخ "محمد بن عبد المؤمن" وعلى" يدي "أبي عبد الله بن خليفة" ، ونال "إبن زكور"على يد هؤلاء الشيوخ انجازاته(2)، كما لا يفوتنا أن نذكر غيره من الرحالة وهم كثيرون كان لهم الفضل في وصف الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية كالحسن الوزان (ليونالإفريقي) وكتابه وصف إفريقيا، و"والتماجروتي"(1003هـ/ 1594م-1595م) وكتابه النفخة المسكية في أخبار السفارة التركية، و"العياش"(1037هـ-1090هـ/ 1628م-1697م) وكتابه ماء الموائد، وغيرهم "كأبي راس الناصري" وكتابه"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار(3)، أما مايخص النِّتاج الثقافي فسيلحق في الفصل الرابع في مبحث المكتبات .

---

*الأعلام الذين ذكرناهم يمكن الإطلاع عليهم من مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، جامعة لجزائر، الجزائر1995 م، ص.ص 7-59

1- مولاي بلحميسي ، المرجع السابق، ص 32

2- نفس، ص 33

3- محمد مزين، المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول بين القرنين 16-17م، من خلال مجلة الدراسات التاريخية ، الجزائر، العدد 9 ، 1995 ص.ص 92-93



4- الموروث الأدبي واللغوي:

يذكر أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد أن عصر الأتراك بالجزائر « لم يُنجب أديبا بارزا يغشى بأدبه بلاطات السلاطين ومجالس الطرب واللهو... كما أن الأدب قد إختلط بالتاريخ كما هو الحال عند "**بن قنفد**"* أو ما إختلط بالتصوف والمدائح النبوية كما هو الحال عند "**الحوضي**"»*.ويقول أيضا « ومن الغريب أن نتحدث عن التأثير الأندلسي في الحياة الإجتماعية والثقافية ثم لا نجد (طريقة) أندلسية جزائرية في الأدب تميّز بها القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي، ولُقحت فيها قرائح الأندلسيين ومواهب الجزائريين»(1) وفي موضع أخر يقول:« لقد كان الشعر وفيرا في الجزائر خلال القرن(9هـ/ 15م) غير أن روح التصوف قد طغت عليه، ولا نكاد نجد عالما إلا وله قصيدة...في موضوع ديني، أو صوفي أو في رثاء متصوف أو زاهد... كقصيدة (المرادية) "الإبراهيم التازي"،أو (المنظومة الجزائرية) "الأحمد بن عبد الله الجزائري"،أو (منظومة المراصد) "الإبن زكري"».(2) إلى جانب الغرضين الأساسيين شعر التصوف و الرثاء، هناك أغراض أخرى تناولها أُدباء هذا العصر إلا أنها كانت شاذة في نوعها، إلى جانب الغزل والمقامات والمديح،... وفي غالب الأحيان كان الشعر وليد المناسبات(3) ومثال علي ذلك كقصيدة عبد الله بن علي بن عبد الله الغبريني البجائي ، تلميذ عبد الرحمان الثعالبي والتي تقع في أربعين بيتا مطلعها (4)

حَادِي اَلْرَكَائِبَ وَاَلْأَضْعَانِ فِي اَلْسَفَرِ * رِفَقًا فَلِي كَبِدٌ لَهْفًا (كذا) عَلَى اَلجَمْرِ**

وَيَا غَزَالَ اَلنَقَا عَزَ اَللِقَاءُ وَمَـــــــا * وَقَـفْتُ يَوْمًا لِأَحْبَابِي عَلَى خَيْرٍ.**

*إبن قنفد(740هـ -810 هـ): أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن قنفذ القسنطيني، الشهير بابن الخطيب وبإبن قنفذ، أشهركتاباته: هواية المسالك في ألفية بن مالك، سراج الثقات في علم الأوقات ...، أنظر إبن قنفذ القسنطني، كتاب الوفيات، تحقيق وتعليق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط4، بيروت،1981، ص.ص 5-19

* الحوضي : توفي سنة 900هـ ، أنظر الترجمة في كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء تلمسان ، لابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني،تحقيق محمد ابن شنب، المطبعة الثعالبية ،1908 ص:189

* أما بالنسبة للأعلام الباقية، أنظر إبن مريم التلمساني... المصدر السابق، حسب أحرف الأبجدية لفهرست الأعلام

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفس المرجع السابق ص 69

2- نفسه ،ص.ص 69-73

3- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية... ، نفس المصدر السابق ص62

4- أبو القاسم سعد الله،، المرجع السابق، ص 74



يذكر إبن ميمون « لقد شدّ إنتباهنا ديوان (أشعار الجزائر) وهو مخطوط لأحمد بن عمار من القرن الثامن عشر الميلادي (1205هـ) الذي قام بتحقيقه أبو القاسم سعد الله، لأريد التفصيل في هذا الديوان وإنما وإستوقفتنا شخصيتين من خلاله هما الشاعران: "محمد بن محمد بن علي"* و"أحمد بن عمار الجزائري"** حيث كانا من أشهر نماذج عصرهما الذي تمييز بنقص النضوج العقلي، والشعور الحي وسعة الخيال»(1) أي ما يصطلح على هذه الفترة عصر (الانحطاط).

1-4 الشعر: لقد تعددت مواضعه وبواعثه، من شعر ديني، سياسي، إجتماعي أو ما أوحت به النفس والذات، بالإضافة إلى شعر الملحون أو ما يسمى الشعر العامي، الذي أصبح لسان كثير من الناس(2)، وهناك إشارة أخرى أن المجتمع (الجزائري) وخاصة في المدن لم يكن منغلقا تماما على نفسه، فغالبة المدن الكبرى كانت مسرحا لتيارات عديدة أوربية إسلامية، شرقية وأندلسية، قد عرفنا أن الخمر كانت رائجة وأن بيوت الحنا(3) كانت موجودة وأن الفساد الاجتماعي والأخلاقي كان منتشرا، كما شاعت القهوة والدخان (السبسي)، تجارتهما مربحة للغاية، يضاف إلى ذلك وجود الأسيرات كعنصر جديد على الحياة الاجتماعية(4)،كل هذه الموجودات دفعت قريحة الشعراء إلى نظم الشعرفي مختلف أغراضه

*هو محمد بن محمد بن محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العلج من أعلام الجزائر، و واحد من أعيانها المشهورين ومثقفها في القرن 18م، كان من المنافسين في المجال الإبداع الأدبي، والتفقه في الدين ، لعدد من الأعلام المعاصرين له، كأحمد بن عمار ، وابن حماد وش، و الورثلاني من أصحاب الرحلات المشهورة وإبن ميمون صاحب (التحفة المرضية) المزيد أنظر أبو قاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي،ج2 المكتبة الوطنية للكتاب ط2، الجزائر سنة 1985، ص312، و رحلة بن عمار (نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب) مطبعة فونتانا، الجزائر ، 1902 ص 46

**- هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن عمار، من أعلام الجزائر العثمانية وأدبائها، عاش بمدينة الجزائر في القرن 18م (1159هـ)، كان إبن عمار ميالا إلى الأدب من خلال حفظه عيون الشعر العربي القديم كشعر المتنبي والبحتري وأبي تمام...كما أنه أخذ الأدب من شيخه محمد بن علي ومن قول في مدحه:

مَا خَاضَ يَوْمًا نُطْقُهُ فِي اَلحِكْمَةِ * إِلَا إِخْتَفَى سُقْرَاطُ بَيْنَ دَنَانِهِ،**

للمزيد: أنظر إبن حمادوش، رحلة إبن حمادوش تحقيق أبو القاسم سعد الله، (ش.و.ن.ت) الجزائر، 1983 ص256، أو تجارب في الأدب و الرحلة، أبو القاسم سعد الله، (م.و.ك)، الجزائر، 1983، ص.ص 64-65

1- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية... ، المصدر السابق ص62

2- أبو القاسم سعدا لله،تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2 ، ص 247

3- بيوت الخنا :بيوت الفُحْشْ (الدعاره) ، ومن خلال لسان العرب "الخنا" هو الفحش، وفي التهذيب: الخَنَا من الكلام أَفْحَشُه ،أنظر الموقع قاموس المعاني.www.almaany.com/ar/dict/ar ليوم 2015/02/21

4- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.ص 249-250



وحتى عدم إختلاط المرأة الحرة برجال الشعراء هذا لم يمنعهم في إستعمال الرموز والتصريح في غزّلها العفيف أو المّاجن، الى جانب بعض الشعراء تغزّلوا بالذكور، ما يبعث على المّجون والإنحلال الاجتماعي خلال العهد العثماني(1). وعليه سنعرج على بعض أغراض الأشعار الأكثر إنتشارا في تلك الفترة منها :

1-1-4 **الشعر الصوفي(الديني):** يعتبر الأكثر تداولا من حيث القصائد التي قيلت في هذا الغرض ولا سيما في مدح الرسولﷺوالتشّوق إلى زيارة قبره، وإحياء مولده ، والتوجه إلى الله في وقت الشدة، بالإضافة إلى مدح ورثاء الأولياء الصالحين، حتى خَصُوهُ بديوان كامل، وأفضل مثال عن ذلك ديوان **عبد الكريم الفكون*** وأشعار إبن عمار قد سبق ذكره فيما قبل حيث إشتهر هذا الأخير بنظم الموشحات من أمثال(2)

يَــا نَسِيمَا بَاتَ مِنَ زَّهْرِ اَلربَا * يَقْتَفِــــي اَلـــرُكْبَّــانَ**

أَحْمِلَنَّ مِنِي سَــلاَمًا طَّيِبًـــا * لِأَهْيَــــــلِ اَلبَــــــانَ**

والشعراء كثرون في هذا النوع من الشعر نذكر البعض على سبيل المثال ولا الحصر أحمد المانجلاتي وموشحه (نِلْتُ اَلْمَرَامْ)، ولوعته لزيارة البقاع المقدسة حيث يقول(3) :

بِــاللهِ حَــادِيَ اَلقَطَــارِ قِفْ لِـــي * بِتِلْـكَ اَلْــدَرِ وَأَقِـرِ اَلسَــلاَمَ**

سَلَــمٌ عَلَــى عَــرَبِ نَّجْـدٍ وَأُذْكُــرُ ***صِبَــابَةُ وَجْدِي كَيْــفَ يُــلاَمَ

مِــنْ بَّـــادِرَتِهِ اَلدُمُـــوعَ شَّوْقًـــا * لِتِّلْــكَ اَلرُبُوعِ مَـــعَ اَلمَقَـــامَ**

1- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص.ص 250

*عبد الكريم فاكون:المتوفى (1083هـ - 1663م)، عالم المغرب الأوسط في وقته، أديب ...، محدث، له ضلع في علم الكلام، والفلسفة كان يتولي إمارة ركب الجزائر في الحج ، توفي بقسنطينة، له تآليف عديدة منها : "منشور الهدية في كشف حال من أدعى العلم والولاية"، المزيد أنظر الحفناوي المصدر السابق ج1ص162، ج2، ص 233، و عبد الله العياشي، الرحلة العياشية ،ج2،ص390

2-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 256 ، أنظر أيضا، إبن حماد وش، رحلة ابن حماد وش، ص259

3-نفسه، ص 256

2-1-4 **شعرالأخوانيات:** وهو نوع من الشعر الذي يشاطر فيه الشعراء بعضهم بعضا في المناسبات، حيث كانوا يتبادلون المدح والمّرح والنّكت والهجاء والفخر والرثاء، بالإضافة إلى شعر التلغيز وشعر المُزاح حيث أن "أحمد بن سحنون" كان يمازح الأمير بن الباي "محمد الكبير" قبل توليه الحكم بقوله :(1)

عَسَـــى اَللَّيْـثُ عُثْمَـانَ يُعَـذِرُهُ * وَيَجْـــرِّي عَلَى خُطَّـةِ اَلكِـــرَمِ**

ومما جاء في موضوع المدح والفخر ما قاله "العياش المغربي"* في مدح شيخه "**عيسى الثعالبي**"* بقصيدة طضيَّبةٌ اللفظ والمعنى جاء في مطلعها: (2)

إِذَا غَالَبَتْـــكَ اَلْنَّائِبَـاتِ فَغَـــــالِبُ * بِفَخْـرِ فُحُـولَ اَلعِلْـمِ عِيسَـى اَلثَّعَالِبِـي**

إن شعر الرثاء كان حاضرا بقوة الرابطة بين الشعراء، فالموت كان أيضا يُقّوي هذه الرابطة ، وعند وقوع مصاب بأحد الشعراء، تنظم قصائد الرثاء على فقدانه، أما ما يخص الرثاء السياسي يكاد يكون معدوما بسبب النهاية المأسوية لغالب الحكام، وحتى الأبيات التي وجدت على ضريح صالح باي لم يكتب الشاعر إسمه فضلت مجهولة النّسب(3)، حيث تقول هده الأبيات :(4)

ضَّرِيـــحٌ لاَحَ أَوْجَّ اَلسَعَــــادَةَ * كَمَـــا عَقَدَ اَلجَّوهَرَ اَلنِضَـــادَةَ**

بِـهِ بَـايُ اَلْزَّمَـانَ أَخُـو اَلْمَعَالِـــي * بِـــهِ قَدْ رَاحَ (صَالِحُهُ) رَشَّـادَةَ**

أَمِيـرٌ عَاشَ فِـي اَلْدُنْيَـــا سَعِيــدًا * وَعِنْـدَ اَلمَـوتِ قَـدْ حَازَ اَلْشَهَـادَةَ**

1- أبو القاسم سعدا لله ،تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2 ص.ص 276-279

*عبد الله العياشي المغربي: هو أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي و لد 1037هـ / 1628م.كان أبوه شيخ زاوية و هو الذي أشرف على دراساته الأولى ثم تتلمذ لمحمد بن الناصر، أكمل تعلمه على يد مشايخ مثل عبد الرحمان بن القاضي و عبد القادر الفاسي الذي أجازه سنة 1063هـ / 1653م. توفي العياشي بالمغرب الأقصى سنة 1090هـ/1679م بسبب الطاعون. ومن أثاره في التصوف "تنبيه الهِمَمْ العالية على الزهد في الدنيا الفانية"والتراجم "إقتفاء الآثار بعد ذهاب أهل الآثار" أنظر الرحلة العياشية تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القريشي, دار السويدي للنشر والتوزيع, الإمارات العربية المتحدة, ط1, 2006, ص29.

* عسى الثعالبي: "(1020هـ-1611م/ 1080هـ- 1669م)، من قبيلة الثعالبة التي كانت تقطن واد يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، ولد ونشأ ببلاد القبائل الكبرى، وتعلم بمدينة تونس والجزائر...، رحل إلى المشرق وحج، ولقي كبار العلماء والمشايخ في الحجاز ومصر، فأخذ وأعطى، عاد إلى مكة حيث توفي بها" أنظر هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية مابين القرن (3هـ -9م/ 14هـ - 20م)،ص213 و محمد بن محمد، شجرة النور الزكية، ،ج[1] ، مصر 1359هـ ، ص311، و إبن ميمون ، التحفة المرضية ... المصدر السابق ص 74

2- أبو القاسم سعد الله المرجع السابق،ص281

3- نفسه، ص 264

4- أقوجيل : هو محمد بن محمد بن علي كان حيا سنة (1142هـ / 1729م)، قد تولى القضاء في عهد الباشا محمد بكداش، أنظر إبن ميمون الجزائري، التحفة المرضية ....، ص 112



4-1-3 **شعر الجهاد :**هو نوع من أغراض الشعر السياسي والعمود الفقري للعاطفة الدينية، ويقصد به مجابهة غير المسلمين، وفي هذا الصدد إذا كان العثمانيون قد ساعدوا الأهالي في صد الإسبان من المدن الساحلية على غرار مدينة الجزائرو بجاية ...، وبقي مستمرا في ظل وجود الإسباني بوهران إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، رمزا للجهاد والدعوة إليه، وقيل هذا النوع من الشعر في تهنئة الحكام بالنصر، أو تحريض العامة على المقاومة لرّد العدوان (الإسباني) وخير ما ذكر في هذا المجال، قول أقوجيل في تهنئة الباشا **حسين خوجة الشريف***(1):

جَهَـزَ جُيُوشًـا كَاْلأَسُّـودِ وَسَرَحَـنْ * تِلْـكَ اَلْجَوَارِي فِي عُبَابِ بُحُورِ**

أَضْرَمَ عَلَى اَلْكُفَـارِ نَـارُ اَلْحَربِ لاَ * تُقْلِـعُ وَلاَ تُمَهِلُمُـهُمْ بِفُتُـــــورِي**

وَبِقُرْبِنَـا وَهْــرَانَ ضَـــرْسٌ مُؤْلِـــمٌ * سَهَـــلَ إِقْتِلاَعٍ فِـــي إِعْتِنَاءٍ يَسِيرِ**

كَـمْ قَدْأَذَتْ مِنَ اَلمُسْلِمِينَ وَكَـمْ سَّبَـتْ * مِنْهُـــم بِقَهْـــرٍ أَسِّيـــرَةٌ وَأَسِيـــرِ**

هذه القصيدة بلغت (70) بيتا وفيها أيضا نصحا للباشا ووصف أحوال العلماء السيئة.

4-1-4 **الشعر الوطني** : هو نوع من الشعر الذي تغنى به الشعراء في عصرالعثماني بمدينة الجزائرو من بين أهم الشعراء في هذا الغرض، أحمد بن سحنون، وأبوراس الناصري، وأحمد القرومي والطيب المازوري وغيرهم، وهذا محمد المستغانمي ينظم قصيدة في بكداش جعل عنوانها (الكوكب الثائر في مدح أمير الجزائر)، ويعني بها أيضا الوطن **(2)**

فَدَعْنِـــي مِنْ غَرْنَاطَـــةِ وَرُبُوعُـــهَا * وَشَنِيــلُ فَاَلحَسَـنُ إِنْتَهَى لِلجَزَاْئِـــرُ**

فَمَا تَفَضُّـــلُ اَلْحَمْرَاءُ بَيْضَـــاءُ غَـــادَةَ * مُقَرَطَـــةٌ بِاَلْبَـــدَرِ ذَّاتَ غَدَاْئِـــرُ**

---

*حسين خوجة الشريف :تولى الحكم (1117هـ / 1706م)، الذي أولى إستعداد المحاربة الإسبان في حبية وهران ، أنظر الو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ...،ج2'(على الهامش) ص 265

1- المرجع السابق ، ص 265

2- نفسه ، ص 267

ومن الشعر المضاد الذي قيل في الأتراك كان قليلا، ربما لعدم سماح العثمانيون بترخيصه، بالرغم من ذلك كان موجودًا ومتداولاً في الأوساط الشّعبية ، حيث وصف الشعراء هؤلاء الأتراك وصفا بشعا وإتهموهم بالفُحش، الشّر، حب المال وإرتكاب الجرائم ، وهذا "السعيد المنداسي" المتمكن في اللغة والأدب وشاعر المدائح النبوية واحدا منهم، إعتبر علماء الجزائريين المقربين للحكام منافسين له ودراويش، مما دفعه الإقامة بالمغرب هروبا من الأتراك. ومن هجائه لهم(1)

فَمَــا دُبٌّ فَوقَ اَلْأَرْضِ كَاَلأَتْرَاكِ مُجْــرِّمٌ* وَلاَ وَلَــدَتْ حَوَاءٌ كَاَلأَتْرَاكِ إِنْسَّانَــا**

5-1-4 **الشعر الملحون** : تطرقنا إلى هذا الموضوع ليس من باب الإختصاص الأدبي، ولكن من باب المعرفة التاريخية بإعتباره جزءًا من التراث الشعبي الجزائري (أوقل التراث المغاربي)، إن رواج هذا النّوع من الشّعر لدلالة على ضعف الثقافة الأدبية في البلاد، والسبب يعود إلى إبعاد اللغة العربية عن الإدارة، بالإضافة لعدم وجود جامعة أو مركزًا إسلاميًا عتيقًا في البلاد،(2) وبالرغم من ذلك فإن الشعرالملحون وَثَّقَ للعديد من الحوادث السياسية والعسكرية والاقتصادية، وبالتالي هو أشمل وأقرب إلى الحقيقة من الشعر الفصيح والذي في غالبيته كان مصطنعًا. وقد خاض هذا النوع من الشعر العديد من المواضيع كمدح الرسول الرسولﷺ والتحريض على المقاومة ووصف المعارك، والأحوال الاجتماعية والأزمات الاقتصادية ورثاء كبار المشايخ، ولكن ما يلاحظ من تصفحي بعض المصادر والمراجع أن الشعر الملحون خدم بشكل واسع التصوف والمتصوفين، ومن بين الشعراء الذين عرفوا بهذا النوع من الشعر "الأكل بن خلوف" المعروف(سيدي لخضر بن خلوف) في القرن 16م المعروف بقصيدة (واقعة مزغران) يحيث قال في مطلعها:(3)

يَــاسَايَلْنِي عـَـنْ طَّرْدِ اَلرُّومِ * قَصَّــةْ مَزَّغْرَانْ مَعْلُومَــةٌ**

بالإضافة الى "محمد بن درمش الشرشالي" في القرن 17م وغيرهم...،الذين مجدوا العثمانيين. في الوقت نفسه هناك فئة أخرى من شعراء الملحون وقفوا ضد هم (العثمانيين) كالشاعر "**إبن السوكيت**"(4)، حيث هجا فيها العثمانيين بسبب إنتصار السويد على العثمانيين في غرب الجزائر، عرفت بحرب (ثورة المحال)،

1- أبو القاسم سعد الله ، التاريخ الجزائر الثقافي ...ج^2 ص 275

2- نفس المرجع السابق ،ص 324

3- المرجع نفسه ، ص 325

4- إبن السوكيت: هو شاعر من بني سويد، ومن قبائل العربية التي لعبت دورا كبيرا في حياة البلاد، حيث نظم أشعرا خلد بها الوقائع والحروب بين بني سويد والأتراك . إبن سحنون الراشدي الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تقديم المهدي البوعبدلي (ط خاصة) ، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013، ص 38



وأيضا "بوعلام بن الطيب الشجراري"(1) الذي طعن في سياستهم وأخلاقهم وإشادة بثورة درقاوى قائلا: (2)

كِي قَصَّةْ لَجْوَادْ مَعَ أَتّْرَاكْ اَلنُّوبَةَ * يَوْمَ أَنّْ فَزَّعُهُمْ إِبْنَ اَلشّرِيفْ أَوْجَاوَا.**

ومن أشهر شعراء تلمسان في الملحون خلال القرن الثامن عشر الميلادي "محمد إبن مسايب" ، و" إبن التريكي"، حيث جادت قريحتهما بمدح الرسول ﷺ وعلى آل بيته رضي الله عنهم (3).

وبالتالي يعتبر الشعر الملحون بوابة من خلاله نستطيع أن نتطلع على الواقع الاجتماعي ، السياسي والاقتصادي الذي عاشه الشعب الجزائري بإيجابياته وسلبياته، فَالعودة إلى الشعر الشعبي ضرورة من ضروريات البحث التاريخي .

2-4 النثـر: ويشمل كل من المقامات، الرسائل الرسمية، عقود الزواج، الشروح الأدبية، الإجازات وغيرها فكانت هذه الأغراض متفاوتة الإهتمام بين الأدباء في العهد العثماني، بإستثاء عهد "الباشا محمد بكداش"، "الباي محمد الكبير" و"**صالح باي**"(4) حيث عرف عهدهم إصلاحات علمية وأدبية بارزة الوضوح بسبب جمع العلماء من حولهم وتشجيعهم بالعطاء وتقربهم إلى مجالسهم وإستحسان إنتاجهم وتقديره.

1- بوعلام الطيب الشجراري، ذكره صاحب الثغر الجماني من خلال قصيدة قالها في إنهزام الأتراك في بيلك الغرب بقيادة الباي مصطفى، ضد الثائر عبد القادر بن الشريف في معركة فرطاسة سنة 1219 ، أنظر أيضا ابن سحنون الراشدي الثغر الجماني ... المرجع السابق،ص 43

2- أبو القاسم سعد الله ، التاريخ الجزائر الثقافي ...ج2 ص 326 ، أنظر أيضا ابن سحنون الراشدي الثغر الجماني... تقديم المهدي البوعبدلي المرجع السابق ص34

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 330، أنظر أيضا(أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر لنفس المؤرخ) ، ومحمد إبن المسايب لابن شنب ، مسار الرحلة من تلمسان الى مكة، المجلة الأفريقية العدد 44 ،1900، ص.ص 261-282 ، العلاقة بن التصوف وشعراء الملحون في الجزائر (محمد بن مسايب نودجا) مقال بقلم سعيد جاب الخير www.startimes.com، بتاريخ 2014/09/20

4- الباي صالح باي: من مواليد 1725م، في أزمير بتركيا باي قسنطينة من (1771م- 1792م)، من أشهر بايات بيلك الشرق ، معروف بجولته الداخلية في إستبداد الأمن في المنطقة ، حيث نجح من قبل في رد الهجوم الأسباني على الجزائر سنة 1755م وصاحب أشهر الأعمال للأشغال المدنية (الطرق والجسور)،توفي سنة 1792م بقسنطينة، محفوظ قداش، الجزائر أثاء العهد العثماني، د. م. ج ، الجزائر ،1992،ص.ص 1992-239 أو شمس الدين شيتور ، الجزائر العودة الى الماضي ، دار القصبة ، 2004، ص 318



وما يلفت الانتباه في الأدب العثماني بالجزائر، شرح الأعمال الجاهزة، كشرح لقصيدة نظمها الشارح بنفسه أو قصيدة أوعمل آخر لغيره، وخاصة في المسائل النحو والصرف ، المواعظ والحِكَمْ، ومن أشهر من سلكوا هذا المجال "أحمد بن سحنون الراشدي"، و"أبو راس الناصر" في شرح قصيدة "سعيد المنداسي" (العقيقة)، وشرح (لامية العجم) "لأحمد بن القاسم البوني"، وشرح المواعظ والحكم والحلل الحريرية "لأبي راس الناصر"، وشرح الشواهد النحوية "لأبي يعلى" من طرف "عبد الكريم الفكون"(1)

ومن أشكال النثر الأدبي أيضا التقريظ*، الأجازات والعقود، فكانت من وسائل التعبيرمن غير الشعر، كما يتغلب التقريظ الروح الإخوانية (مدح المؤلف أو صاحبه)، في موضوعات فقهية أو أدبية أو غيرها، وفي غالب الأحيان يمزج بين النثر والشعر في التقريظ، مثل تقريظ "أحمد بن عمار" لكتاب (الدررعلى المختصر) لأبن حماد وش حيث إنتهى بأبيات من الشعر (2)

هَنِيئًـــا هَنِيئًـــا أَيَّا مُخْتَصَـــرُ* بِشَـــرْحِ بَدِيـــعُ جُمُـوعِ أَغَّـــرُ.**

أما العقود فقد تنوعت نصوصها من الفَقَّهِ التقليدي، إلى الأدبي الاجتماعي، منها طويل النص أو قصير، مستعملين فيه كل أغراض البلاغة، (3)

1- أبو القاسم سعد الله ، التاريخ الجزائر الثقافي ...ج2 ص .ص 180-181

*التقريظ : جاء في المعاجم اللغوية التقريظ يعني مدح الإنسان وهو حي ،والتأبين مدحه ميتا ، قرظ (بالظاد)الرجل تقريظا : مدحه وأثني عليه، وهما يتقارظان الثناء. أما التقريض (بالضاد) يعني مدح أو ذم الإنسان. لا يكون التقريظ إلا في المدح والخير ، التقريض في الخير والشر. فالصواب إستخدام كلمة التقريظ للدلالة على مدح الشخص ما ، أو لكتاب معين أو مؤلفه أو لهما معا وهو أسلوب تدرج عليه الأقدمون: تعني في وقتنا المعاصر **التقديم**، فتوسع مدلولها عن المدح والثناء إلى تقويم الكتاب ومؤلفه. للمزيد أنظر : أبي الفضل جمال الين محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1410هـ / 1990م ، المجلد السابع ص 455 ، أو عبد الله أحمد يوسف، فن التقريظ (منهجية الدكتور الفضلى نموذجا) ط1 المملكة العربية السعودية ، 1430هـ / 2009م ص.ص17-19 من موقع على الانترنيت www.alyousif.org. بتاريخ 2014/09/20

2- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص.ص 190-191

3 – نفسه، ص.ص195-196



كما كانت تمنح **الإجازات*** لمستحقيها من العلماء والفقهاء، والأمثلة كثيرة منها إجازة "عمرالمانجلاتي إلى إبن زكور، وإجازة عبد الوهاب المكي الهِندِي لمحمد خليل المرادي الشامي وغيرها من الأجازات، حيث لا يسمح لنا المقام في ذكرها وعليه أنظر رحلة بن حماد وش و رحلة بن زكور في هذا الصدد.

كما إحتلت الرسائل إهتمامات الأدباء والموظفين والأصدقاء والأحباء في هذه الفترة، ومنها العادية والرسمية (الديوانية)، وكانت تختلف هذه الرسائل من حيث الكم والنوع حسب طبيعة الأديب ومكانته الاجتماعية ورصيده العلمي والأدبي، بالإضافة إلى الرسائل الإخوّانية الذي كان يمتّزج فيها نظّم الشعرالنثر، كرسائل "بن فكون"، "أحمد المقري" و"أحمد بن عمار" وغيرهم، ويقول أبو القاسم سعد الله« ومهما كان الأمر فإن هذه الرسائل جميعا تعتمد على المسجوع ويتضمن النص الآيات القرآنية وأحاديث نبوية وأخبارا تاريخية وأحيانا بعض الأبيات الشعرية »(1).

3-4 اللغة المتداولة في الجزائر العثمانية : عرفت حواضر الخلافة العثمانية التنوع الإثني والمذهبي، الشيء الذي إنعكس على المجتمع الجزائري ثقافيا، وطبعه بسّمات و أنسّاق حضارية نادرة الحدوث (2)، وبما أن معظم ما وصلنا من كتب الرحالة العرب مكتوبة بلغة الضاد، بإعتبار تكوينهم كان باللغة العربية، فلم تصلنا إطلاقا لغات متداولة في تلك الفترة من خلال كتابات المحليين أو الرحالة العرب كرحلة "إبن حماد وش" لسان المقال أو "أبي راس الناصر" عجائب الأسفار، فهي أصلا مكتوبة باللغة العربية. لكن الطرف الأخر الأوربي قد أشر إلى لغة متداولة إلى جانب اللغة العربية فحيث يذكر "De Tassy" أن هناك لغة تَكَّلَمَ بها الجزائريون هي لغة "**الفرنكا** *("**La Langue Franque**")(3)، ويعرفها "Haedo"

---

*الإجازات جمع إجازة : هو طَالِبُ العلم يَسْتَجِيزُ العَالِمُ علمه فيجيزه فَيُقَالُ للطالب مَسْتَجِيُز وللعالم مُجِيزُ، أنظرالخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص312 من موقع مكتبة الكتب،www.download-islamic-pdf-ebooks.com بتاريخ 2015/01/10

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص .ص 196- 204

2- محفوظ رموم ، الثقافة والمثقفة في المجتمع الحضري بالجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)، دراسة أنثروبولوجية ، رسالة ماجستير، مرقونة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2002 ص 52

* اَلْفَرَنْكَا : لغة تداول بين الأوربيين والمغاربة، وهي لغة هجينة تسمح لهؤلاء الناس من الأعراق والأصول المختلفة بالاتصال في ما بينهم، وهي لغة الأسرى بالمغرب على طول السواحل حتى إسطنبول، وهي ليست لغة لأي أمة ... المزيد راجع: كورين شوفاليه، ثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر (1510-1541) ترجمة جمال حمدانة ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2007، ص 75

3- Logier de Tassy : Histoire de royaume d’Alger, ,préface Noel laveau, André Noushi , édition loysel, paris, 1724, P :128



في القرن السادس عشرالميلادي، بأنها خليط من عدة كلمات مختلفة إسبانية، برتغالية وإيطالية في غالبيتها (1)، إن سكان مدينة الجزائر من أصول مختلفة وأعراق متباينة، ولكن ماهي اللغة المشتركة التي يتكلم بها الجزائريين ويفهمها الجميع، يذكر "مولاي بلحميسي" « نجد الأتراك يتحدثون باللغة التركية فيما بينهم، ومع من يفهم هذه اللغة، بإعتبارهم الطبقة السيدة الحاكمة، إلى جانب اللغة العربية التي يتكلم بها معظم السكان مدينة الجزائر، وخصوصا الفئة التي سكنت المدينة منذ أمد بعيد كاليهود مثلا، وبعض الأتراك ومهاجري الأندلس ...ثم بعدها تأتي لغة الأسرى المسحيين المتعددي الجنسيات والأوطان من أوروبا، حيث ذُكر أن عددها هي عشرة لغات». (2)

5- الموروث الفني (الزخرفة والخط): في الواقع أن الفن لا يقتصر على الزخرفة والخط، وإنما هناك فنون أخرى لها مكانتها الفنية حضاريا كالموسيقى والرسم...،وإن اختياري لهذين المجالين يرجع إلى إعتبارهما من التراث الملموس فقط، وعليه يذكر "البهنسي" في موضوع الفن حيث يقول:« بالرغم من إمتداد رقعة الإسلام وتعايشه مع حضارات زاهرة ذات جذور متميزة، بقي الفن الإسلامي محافظا على معالم شخصيته، فإنتّشر بالشكل موحد والمضمون والثابت ثبات الإيمان فشكل لغة الإتصال بين المسلمين المبدعين، فإنعكس إيمانهم الموحد على فَنِهِمُ المُعَبّرُ عن المطّلق والمجّرد لينسّجم مع جوهر الإسلام، ويبتعد عن ظاهرة التمثيل تفاديا لمضاهاة الله عز وجل وسعيا وراء معانيه من جهة أخرى»(3)

1-5 مفهوم الــزخرفــة في الفن الإسلامي: الزخرفة لغة الزّينة وكمال حسن الشيء (4). أما الزخرفة في المصطلح الفني فهي الصورة المُرتّبة بمقاسات محددة سواء الحفر أو الرسم في الأشياء المنقولة أو الغير منقولة مما ينتفع به العام أو الخاص كالتحف، والمباني

1-Diego de Haedo, OP.Cit , P106

2- مولاي بلحميسي، المرجع السابق، 1981 ص 16

3- عفيف البهنسي، الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1986،ص

4- أبو الفضل إبن منظور، المصدر السابق، ص 17



ويعرف في تاريخ الفنون الإسلامية بمصطلح "الفن الصناعي"(1) كما لم يقم هذا الفن بأي دور في تجسيم العقيدة الدينية، لكن الفن الإسلامي فن وُجّد لخدمة حاجات المسلمين من ترف وتجميل لحياتهم، ولقد إستوحي الفن الإسلامي في نشأته وتطوره روح الإسلام و تعاليمه ، فمن جهة نشأ بدافع الرغبة في إجادة والإتقان العمل، كقول الرسول ﷺ «**إنّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ**»(2) ومن المعروف أن المبالغة في الإتقان والإجادة تؤدي بطبيعتها إلى التنميق والتزويق ومن جهة أخرى هو الرغبة في تجميل الحياة والإستمتاع بزّنتها، وهذه الرغبة أيضا مستوحاة من العقيدة الإسلامية. قال الله تعالى:﴿**يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(3).وقال أيضا : ﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾(4) .ونستطيع حصر خصائص شخصية هذا الفن إضافة إلى الوحدة التجريد، كراهة تمثيل الكائنات الحية، التقشف و ملء الفراغ،(5) لا يهمنا في هذا المقام شرح هذه الخصائص، حيث نترك الأمر لذوي الاختصاص في علم الآثار، ولقد تأثر الفن الزّخرفي الجزائر خلال العهد العثماني بعدة عناصر حاول فيها الفنان الجمع بين العديد من الأساليب الفنية، لينتج تحفة رائعة في الجمال.

ومن أهم هذه المؤثرات :

***مؤثرات تركية**: و تتمثل في الحركة التجارية لعدة منتجات يبن مدينة الجزائر

1- كاظم الجنابي زخارف الهندسة الإسلامية ، مجلة سومر ج1 و2 المجلد 34 ، بغداد، 1978،ص.ص 143-151

2- رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم 897، ج1، تحقيق طارق بن عبد الله محمد وعبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطبعة و النشر والتوزيع، القاهرة، 1995، ص 275

3- سورة الأعراف، الآية 31-32

4- سورة الحجر، الآية 16

5- عفيف البهنسي، المرجع السابق ص 59، أنظر أيضا، يونس خنفر، تاريخ وتطور الفنون الزّخرفية والأثاث عبر العصور، دار الرتب الجامعية، ط1 بيروث ، لبنان، 2000، ص 58



والقسطنطينية وآسيا الصغرى ومن أهم هذه المنتجات التي صبغت بزّخرفة عثمانية المنسوجات، الأحزمة، الأواني الرفيعة، والزرابي

***مؤثرات مشرقية**: تَنَقَلْ العديد من المغاربة إلى الشرق الإسلامي نتيجة مواسم الحج أو العمرة للأماكن المقدسة، جعلهم يتأثرون بالملبس ونمط المعيشة ومخططات بناء المساجد.

***مؤثرات أوروبية** : شاهدت الجزائر خلال العهد العثماني إزدهارا تجاريا مع مدن جنوب أوروبا خاصة المدن الإيطالية (كالبندقية، نابولي، صقلية وجنوه) فكانت الإرادات: تتمثل في المرايا والزجاج والرخاميات من جنوه، كما إستوردت المطرّزات والحُلي من ليفورنه، أما في ما يخص البناء فكان التأثير واضحا في قصور الحكام وكبارالدولة في المزج بين الفن الإسلامي والأوروبي ما يعرف بفن الباروك و الركوكو(قد سبق توضيحهما في بداية الفصل)

***مؤثرات أندلسية**: لقد إستقبلت الجزائر بعد سقوط غرناطة سنة 1492م عدد هائلا من اللاجئين الأندلسيين، وبطبيعة الحال منهم حرفيين بارعين في كل أنواع الصناعات، فكانت لهم بصمة واسعة في فن الزّخرفة الإسلامية بالجزائر العثمانية.(1)

والقول أن الأسلوب العثماني هو أشد تأثيرا، فيعد نتاجا لتمازج مجموعة فنون، بإعتبارهم كانوا أكثر إتصالا بحضارتي إيران و الصين، وبذلك أعتبر كعنصر ثالث في هذا المزيج الفني الإسلامي والأوروبي (2). إن المواد المستعملة في الزخرفة والتزيين لم تكن تختلف عن ما وجدت من قبل في العالم الإسلامي، حيث إستعمل العثمانيون عدة مواد لإبراز قدرتهم الفنية في الزخرفة كالزخرفة الجصية، الرخامية، الخشبية، النحاسية وغيرها(3).

1- Berque (A),l’Algérie terre et d’histoire, imprimerie Victor Heinz, Alger, 19337, P.P 224,225

2-محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، 1987، ص 277

3- علي حملاوي الزخرفة الجصية بين التطور والانحطاط في مباني الإسلامية بالجزائر خلال القرن 8هـ/10م مجلة الدراسات الأثرية، العدد1 الجزائر ، 1992، ص 58 المزيد أنظر لطيفة بواب ، الموضوعات الزخرفية في السقوف الخشبية بقصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، دراسة فنية وتحليلية ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ،غير منشورة، 2001م، ص 73



2-5 العناصر الزخرفية في الفن العثماني بالجزائر : حرص العثمانيون على أن تكون منجزاتهم الحضارية في غاية الجمال والدقة المتناهية في فن الزخرفة ، وأن لا تكون مخالفة للتعاليم الإسلامية، حيث نجد أن الدين وجه فن الزخرفة بالرغم من التأثيرات السابق ذكرها، وفي غالب الأحيان إعتمدت الزخرفة العثمانية على عناصر، تنوعت بين الزّخرفة النباتية، الهندسية، الرمزية، والكتابية **(1)**.

5-2-1 **الزخرفة النباتية:** إستعملها الفنان العثماني إستعمالا واسعا، حيث كون من السيقان والأوراق الأشجار الملتفة والضفائر والفروع، والزخارف المتداخلة مواضيع زخرفيه يتفق مع المفهوم الإسلامي**(2)**، فرمزية الوراق أقتبست من الطراز الإغريقي وأستخدمت في الفن المسيحي في سوريا... **(3)**، ولم يستعملها العثمانيون إلا بعد دخول التأثيرات الأوربية على الطرز العثماني في القرن 12هـ/ 18م**(4)**

وأضاف الفنان العثماني في زخرفته عنصرالورقة بشكلها المحوري والطبيعى على هيئة شجرة السّرو منحنية القمة تعرف بالمروحة الشرقية (Palme orientale)، كما إستعمل الأزهار مثل زهرة القرنفل، زهرة لالة،...**(5).(انظر الملحق ص 163)**

5-2-2 **الزخرفة الهندسية:** يقصد بالزخرفة الهندسية هو إستخدام أشكال الهندسية المستوية أو المجسّمة المرسومة بمقاسات...على التحف و المباني، و قد تُمتزج الزّخارف

1-Marcais (G),L'Architecteur musulman d'occident, Tunis, Maroc, Algérie, Paris,1954, P450

2- المهدي عنايات، روائع الفن الزخرفة الإسلامية، دار الطباعة، إبن سينا، القاهرة، 1992، ص10

3-Bouillt (M,U), Dictionnaire universelle des science des lettres et des art, libraire des l'hachette, Paris, 1985, P57

4- Arseven (C,E), les arts décoratifs Turcs, Ankara, édit par Milli Egitim Basimevi, turkey 1950

5- أنظر المرجع السابق، وللمزيد أيضا، محمود لعرج، مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر، (المؤتمر الخامس لجمعية الأثريين العرب)، مجلة دراسات في أثار الوطن العربي' العدد 3' الندوة العِلمية الرابعة، القاهرة، 2002، ص54



الهندسية، بالزخارف النباتية أو الحيوانية أو الكتابية، مبالغة في زينتها وإظهار جمالها على أكمل وجه(1)، وتتكون الزخرفة الهندسية من خطوط بأنواعها المختلفة مستقيمة، منكسرة، منحنية، ومظفرة، كما تتكون من أشكال مستطيلة ، مربعة ، معين، مثلث أو دائرة أو أشكال بيضاوية، إلى عقود بأنواعها والأطباق النجمية والأشكال المضلعة، وكانت تستخدم في الغالب كإطارات، ولغيرها من الزخارف الرئيسية (2)، أُستعمل هذا النوع من الزخرفة في العناصر المعمارية،منها الأبواب والأسقف الأعمدة....بطريقة الإفراد أوالتَّجميع(3).**(انظر الملحق ص164)**

3-2-5 **الزخرفة الكتابية**: يُعْتَبَرُ هذا النّوع من أهم المصادر التاريخية بالنسبة للبحثين في التاريخ وعلم الآثار بحيث يسلط الضوء على الفترة التي أنجزت فيها(4)، كما أُختص هذا الفن بنوع من الرعاية لصلته الوثيقة بالعقيدة، وفيه حظي الخطاطون المسلمون بنفس العناية والتشجيع الكبيرين، وبما أن الكتابة العربية هي الخط الذي دّون به القرآن فقد كانت تتمتع الزخرفة الكتابية بإجلال وقدسية في كل بلاد الإسلام، وفي كل العصور...، وقد إهتّم العثمانيون بهدا الفن القائم بذاته، وأبدعوا فيه، خاصة الخط العثماني، وإلى جانبه إستعملوا الخطوط العربية السابقة في فُنونهم كالخط الكوفي، خط الثلث، خط النسخ، الخط الديواني وخط الرقعة(5)، لم توظف هذه الكتابات لغرض زخرفي فقط ، بل كان الهدف منها تسجيل معلومات عن التحفة، كتدوين إسم الصانع أو صاحب التحفة، أو تاريخ الصناعة، وبذلك هي تَمُدُنَا بمعلومات عن مجتمع المدينة في الفترة العثمانية عامة وعن أنواع الحرف الموجودة بها والألقاب وبعض الظواهرالسائدة آنذاك(6)، ومما زاد في أهمية الخط العربي أكثر وزخرفته، هو نظرة المُراعين له نظرة تقديس، في ذلك جودة الرّسم إجلالا لكلام الله

1- كاظم الجنابي، المرجع السابق، ص 143- 151

2- لعرج عبد العزيز محمود، المباني المرينية في إمارة تلمسان، رسالة دكتوراة في الآثار الإسلامية، غير منشورة ، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999، ص 642

3-العياشي هواري، المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، في التراث والدراسات الأثرية،غير منشورة، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2011/2010، ص91

4- الطايش أحمد علي، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، (من العصر الأموي والعباسي)، مكتبة الزهراء، الشرق للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 18

5- لعرج عبد العزيز محمود، المرجع السابق، ص.ص 247-249

6- آيت سعيد نبيلة، التحف المعدنية العثمانية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة(دراسة أثرية فنية)، رسالة الماجستير في الآثار الإسلامية، غير منشورة، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2009/2008 ص 434



عزوجل. وقد ورد ذلك في كتابه العزيز قوله تعالى:﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾(1)، كما يعتبر الخط المغربي من أهم الخطوط العربية وأقدمها عهدا وأكثرها إنتشارا، أشتّق من الخط الكوفي القديم، كما سمي بالخط القيرواني أيضا، والجدير بالذكرما يميز هذا الخط هو الضوح و البساطة، حيث أصبح الخط السائد في العهد العثماني وفي معظم حروف الطباعة العربية إلى الوقت الحاضر(2) **(انظر الملحق ص 174، 175)**

5-4 الزخرفة الرمزية: أُستّخدمت الزخرفة الرمزية عن وعي أو لا وعي لترميز أو إقتراح أفكارمحددة... إستخدمها الإنسان عند شعوره بوجود قوة سحرية خفية في المظاهر الطبيعية...ومفهوم العناصرالرمزية أصبحت شعارا يرمز إلى القوة، العظمة، والخصوبة والصبر.... ووجود العناصر الرمزية في المباني الإسلامية، ليس تأثير من الحضارات السابقة، بقد ما يدل على صالة الفنان المسلم بعقيدته الداعية إلى التأمل والتدبر في المخلوقات الخالق ومكونته، وبالتالي وجد المسلم نفسه في حلقة متواصلة ومستمرة بينه وبين الخالق، ويذكر قدرته كلما أمعن النظر في تلك الزخارف(3)، ومن أهم الرموز التي ورد إستخدامها في التحف هو الهلال والذي يعتبر عن أهم العناصر الفلكية التي تأثر بها الفنان المسلم، كما يعتبر شعار لبعض الدول الإسلامية، يقابل الصليب عند الدول المسيحية... جسّد المسلم الهلال في العمارة والتحف المنقولة، كما جسمه في أعالي المآذن ورسمه على الأواني... وأغلب الظن أن إستخدام الهلال يرجع:

أولا: لتقويم الأشهر القمرية،

ثانيا :رمزيته للنور عند ظهوره،

وثالثا : وهذه أهمها هو ظهور الإسلام الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور.

أما في العهد العثماني فقد أصبح الهلال العنصر المميز للإمبراطورية العثمانية، حيث يزين به قباب ومآذن المساجد، معظم مداخل المدن والمباني، كما أتخذ كعلامة على ألبسة الجيش الإنكشاري(4)، أما الهلال في الفنون الجزائرية قد برع الفنان في رسمه ونقشه في واجهات المباني سواء كانت المَدَنِيَةُ، العسكرية أو دينية، كما ظهر جليا في التحف المعدنية والخشبية، حيث يعلوا العناصر النباتية أويتوسطها كعنصر أساسي ويرسم بعدة أشكال بأطراف مفتوحة أو مغلوقة ليأخذ شكل القمر.(5)

1- القرآن الكريم ،سورة القلم، الآية 01

2- عبد العزيز بن محمد السفر، الخط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، 1999، ص 50

3- شريفة طيان، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ..... نفس المرجع السابق ص 331 أنظر أيضا: علي حملاوي ، نماذج من قصور منطقة الأغواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص310

4- نفس المرجع ، ص332

5- نفسه،ص.ص 332-333



أماراحة اليد(أوالكف)حيث تعرف اليد في اللهجة المحلية بإسم(اَلْخَمْسَةُ) نسبة إلى الأصابع الخمس لليد وهي ترمز للقدرة على إبعاد أذى الحسّد والعين الشريرة ودفع السوء لمن يقتحم البيت على سَاكِنِهِ ورّد كل ما هو قبيح، ويقال إنهاتُ تَخَذُ كطلسم وتّميمة لإبعاد الحظ السيئ والحماية وتمديد العمر، كما كانت نساء بلاد المغرب توشّمن جباههّن بشكل اليد(1)، ويرى بعض الباحثين أن اليد ترمز إلى الإخلاص والقوة والسلطة والسيطرة والعدالة(2) بينما يرى البعض الآخر أنها ترمز إلى آل بيت الرسول ﷺعندما نزلت الأية الكريمة﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(3) كما أنها ترمز أيضا إلى الأركان الخمسة للإسلام وهي (الشهادة، الصلاة، الصوم ، الزكاة، والحج)...(4) وتذكر شريفة طيان في نفس الصدد:«كما إتخذت زخرفة اليد عدة أشكال مُحورة حيث لا يمكن التعرف علي شكلها بسهولة في بعض الحالات، فترسم اليد بطريقة رمزية والأصابع مرسومة بطريقة زخرفية تتوسطها أشكال نباتية عبارة عن أزهار وأوراق وأشكال هندسية من خطوط مستقيمة ومنحنية ودائرية وأنصافا أخرى لملء الفراغ، كما رسمت بأسلوب طبيعي في بعض المقاطع الخشبية، كما وجدت في القطع النّسيجية في السّترة النسائية مطرزة بخطوط ذهبية. ومن هنا يمكن الجّزم على أن وجودها في سُترة بهذا الشكل يدل على أنها وضعت ليقي لباسها من عين الحسد، كما وجدت نماذج أخرى لليد في الشاشية»،(5)

وعليه ومن خلال ما سبق أن الطابع العام للعهد العثماني تغلب عليه الجانب العسكري، هذا لا يعني أ ن الأتراك لم يهتموا بالجانب الفكري والتعليمي، بل بالعكس فلم يحتكروا التعليم وتركوا تنظيمه وتسييره على مبدأ جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية، وكانت الكتاتيب والزوايا والمساجد تحمل لواءه، و للعلماء المدرسون والشيوخ حق التدريس شرط أن يُبّرزوا مواهبهم العلمية والتدريسية. وأبواب إستقاء المعرفة كانت مفتوحة حتى مع الدول المعادية كهجرة العلماء من المغرب إلى الجزائر والعكس صحيح ، ولم يستثني العثمانيون في الحركة العلمية حتى الجانب الأوربيين، حيث سمح لهم البحث و التجوال و الإقامة بصفة طلبة

1- Arseven (C,E) ,Op .Cit, pp: 31-32

2- Chevalier,(J), La sculpture sur bois, Alger,1957,p 481

3- سورة الأحزاب، الأية 33

4- Gabus.(J), Au Sahara arts et symboles, édit, de la baconière, Suisse, 1974, p 39

5- شريفة طيان، المرجع السابق ص 335



أومبعوثين من حكوماتهم خاصة، أوالعلماء في علم الأتروبولوجية(1) بالرغم أن وراء هذه الحركة العلمية نِيَّةَ التجسّس، محاولة معرفة نقاط قوة ونقاط ضعف لهذه الأقطار.

أما الإنتاج الفكري فتنوع بتنوع العلوم النقلية والشرعية بالرغم أن هذا العصر أطلق عليه عصر الانحطاط، ولكن لا يمكن أن ننكر أن العصر العثماني بالجزائر كان عصر إنطفأت فيه الأمية كليًا في وسط الطبقة الشعبية فكل فرد كان يعرف الكتابة والقراءة. وبطبيعة في الحال هذه الظروف ستظهر طبقة نُخبوية علّمية كان لها الشرف الإحترام والتقدير ليس من الشعب فقط و لكن حتى من أطراف الحكام أيضا حيث قربهم إلى مجلسهم بإعتبارهم مدرسين أوخطباء أو مفتيين سواء من المذهب المالكي أو الحنفي الذي كان المذهب الرسمي الأيالة. وبإعتراف الشعوب الأجنبية الأخرى.

1- الأنتروبولوجيا (anthropologies): تتكون من كلمتين إنجلزيتين :(abthropo)وتعني الإنسان، (logies) وتعني علم، وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ " علم الإنسان " أي العلم الذي يدرس الإنسان . كما تعرّف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنّها " علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً، أيضاً هو العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل، ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوّراً، كما يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله، و يعتبر علم الأنتروبولوجيا من أهم العلوم المساعدة على دراسة التاريخ، أنظرالموقع الإلكتروني الموسوعة الحرة ،علم الإنسان، www.ar.wikipedia.org بتاريخ 201/11/12

الفصـــل الثـــالث

أهم مظاهر التأثير والتأثر للموروث اللامادي للجزائر العثمانية

1- تعريف الحديث للموروث اللامادي

2- عادات وتقاليد متعلقة بالغداء واللباس

2-1 المأكل والمشرب

2-2 لباس الأتراك العثمانيين وهندام نسائهم

2-3 لباس اليهود ونسائهم

3- عادات وتقاليد متعلقة بالحياة الدينية والاحتفالات

3-1 الحياة الدينية

3-2 المناسبات العامة والاحتفالات

3-2-1عادات وتقاليد إحتفال بشهر رمضان الكريم

3-2-2 عادات وتقاليد إحتفالات بعيد الفطّر و الأضّحى

4- المرأة وتقاليد الزواج في مجتمع الجزائر العثمانية

5- عادات الطلاق والمأتم

6- عادات إرتياد الحمامات والمقاهي وتقاليدهما

7- عادات وتقاليد ذات طابع إقتصادي

8- عادات أخرى في الحياة اليومية للجزائريين خلال العهد العثماني

1 -الموروث اللامادي: هو ذلك الإرث الروحي والمعنوي، الذي يبرز هوية أفراده وإنتمائهم إلى حضارة ما، قوامه سلوك وعادات وتقاليد وقيم اجتماعية، التي تشكل بناءا خُلقيا متماسكا طويل الدوام، كبير الضغط والتأثير على الأفراد و يكون مُقيما وراء الشّعور الواعي في غالب الأحيان، قدّمه السابقون من العلماء والكتاب والسياسيون فكانوا شهودا على عصورهم ومبدعين من خلالها (1)، لا يمكن لنا في الواقع أن نسّرد كل هذا الموروث الإنساني اللامادي للجزائر خلال العهد العثماني وإنما سنحول أن نبين بعض الومضات لمجموع العادات والتقاليد أثرت وتأثر بها الشعوب الوافدة والمحلية.

2- عادات وتقاليد متعلقة بالغذاء واللباس:

2-1 المــأكل والمشــرب : إن عادات الغذاء من مأكل ومشرب أحد مكونات العادات والتقاليد التي من خلالها معرفة أسلوب وطريقة حياة ومعيشة أي مجتمع، فقد أولى الدارسون الأجانب لواقع هذا المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني الكثير من الأهمية، وذلك من أجل فهم هذا المجتمع والتعامل معه، وفي هذا الصدد يقول وليام شالر:«...والجزّر ولحم الضأن والدجاج والسمك والحليب والزبدة و زيت الزيتون والفواكه والخضروات والكسكسى والذي يصنع من عجينة تشبه عجينة التي تصنع من المقرونة، فتشكل هذه الأغذية الرئيسية لسكان بلاد البربر، والكسكسي يمكن بإعتباره الصحن القومي وهو بمثابة المقرونة في إيطاليا والأرز في الهند، يفتل حبات صغيرة عادة في قصعة مصنوعة من الخشب، ثم يوضع في (الكسكاس) ويطهى بالبّخار، ويقدم بالمرّق والخضروات، أو يقدم بالبيض المسلّوق، أو بأعشاب حلوة...أما الطبقة الفقيرة التي لا تستطيع شراء اللحم و تحضره بزيت بالزيتون أو مدهونا بالزبدة. و الجزائريون لا يستهلكون إلا القليل من لحم البقر وهم قلما يذبحون بقرة، ولا يذبحون عجلا أبدا.(2)

وفي أجود الفصول التي يكثر فيها العُشّب تعتمد الكثير من العائلات الجزائرية على ذبح ثور أو ثورين ويقطع لحمه ثم يجفف في الشمس، وبعد ذلك يغلى في الزيت ثم يحفظ في أواني ويغطى مرة أخرى بالزيت أو السمن لإستهلاكه في وقت أخر ...».(3)

1- يوسف محمد عبد الله، تعريف التراث (أنواعه والحفاظ عليه) رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، جامعة صنعاء، اليمن،(د.ت)، ص3 (منقول من الموقع الإلكترونيwww.yemen-nic.info بتاريخ 2015/01/10

2- ما ذكره شالر أن الشعب الجزائري خلال عهد العثماني لايستهلك السكان إلا القليل من اللحم، أعتقد أن كلامه مبالغ فيه، فكل فرد يستهلك هذه المادة الغدائية حسب إستطاعته ومدخوله المادي، كما تعتبر الأبقار مصدر لأغذية صناعية لمشتقات الألبان لذى يقل ذبح الأبقار وإستهلاكها.

3- وليام شالر، المصدر السابق، ص.ص 87-88

أما فيما يتعلق بالمشروبات فيقول وليام شالر أيضا:« والقهوة هي مشروب الترف لهذا الشعب الذي لا يتناول الخمور لا يشرب سوى الماء القراح*.»(3)

أما "سيمون بفايفر" **فيتحدث** في مذكراته على المطبخ الجزائري أو العربي كما سماه، فيقول:« ...ويقدم مطبخ العرب فيما عدا ذلك الفطائر (بعد أن تحدث عن الكسكسى) ويهيئ من الحليب والطحين والبيض والزبدة ويطبخ مثلما هو أن عندنا، ويقدم كذلك التمر وبيض الدجاج أو النعام بالزبدة والماء ويخلص وتصنع منه فطائر لذيذة الطُّعم، إضافة إلى لحم الخروف المشوي أو المحمر تحت التّراب، وذلك أنهم يحفرون حفرة في الأرض عمقها أربعة أقدام وعرضها أربعة أقدام أيضا ويضعون في الحفرة أعدادا من الحجارة ثم يملؤنها بالحطب، وعندما يحترق الحطب يخرجون الرماد منها ويضعون فيها الخروف، ويغطونه بالحجارة من جميع النواحي، ثم يضعون فوقها سحق النخيل، فيغطون الحفرة مرة أخرى بالتراب، ويتركونه تحت التراب لعدة ساعات إلى أن يلاحظوا بأنفهم الحساسة من خلال البخار المتصاعد أن اللحم قد إستوي، وإن هذا اللحم المحمر للغاية معد ولذيذ جدّا» **(4)**

أما بالنسبة لعادات العثمانيين المعلقة بالغداء فهم يتناولونه في غرف جميلة، على منضدة ذات ثمانية أرجل مصنوعة من أرفع أنواع الخشب توضع عليها السّفرة هذه الأخيرة عبارة عن صينية كبيرة مصنوعة من النحاس المقصدر، ويوضع عليها الطعام، وبذلا من الجلوس على المقاعد، يثيرون الجلوس مربعين على السّجاد متى كانوا من درجة واحدة ، أما الذين يتناولون الطعام مع الداي، فهم أيضا يجلسون على صينياتهم ويتناولون الطعام برفقته،... **(أنظر الملحق ص169)**

كان الخبز يكسّر قطعا صغيرة ويوضع أمام كل واحد من الضيوف مع ملعقة، وتختلف المأكولات من شرائح اللحم، أو طيور تقدم للأكل ناضجة بحيث يسهل تقطيعها، ومن ثم لا يحتاج الجزائريين إلى إستعمال السكاكين والفرش للأكل...، أما عن كيفية تقديم الطعام للضيوف، أولا تجهّز كل طلبات الحضور من طرف الطباخين، فيقوم خادم مسيحي بوضع الصحون الواحد تلوى الآخر أمام كل ضيف وينتظر الجميع حتى يبدأ صاحب الدار في الأكل، بعد أن يوضع كل واحد من الضيوف طعامه في صحنه بملعقة كبيرة، يبدأ أكلهم

* الماء القَرَّاح: الماءُ الذي لا يُخالِطه ثُفْلٌ من سَويق ولا غيره، وهو الماءُ الذي يُشْرَبُ إِثْر الطعام؛ قال جرير:

تُعَلِّلُ وهي ساغِبةٌ، بَنِيها بأَنْفاسٍ من الشَّبِمِ القَرَاحُ، أنظر إبن منظور لسان العرب ، دار صادر،ج 4، (د.ط) بيروت ، لبنان ، 1988، ص 315

3- وليام شالر، المصدر السابق، ص88

4- سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال، تعريب وتقديم أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر،1974، ص.ص: 145-146

بالشربة (الحساء)، ويعقبه اللحم المحمر، ثم السمك إن أمكن ذلك ويأتي "الكسكسى" الذي هوالصحن الرئيسي في الأخير، وبه تُخْتَمُ المائدة، وبعده تنظف المائدة، ثم يوضع عليها صحن الفاكهة.

تتناول الشربة بملاعق الكثيرة التي هي مصنوعة من ترس السلحفاة، ويدها من العاج مزينة بِاَلْعَبَرِ، والمرجان، أما الملاعق الصغيرة فهي مصنوعة من نفس المادة أو مادة الخشب الثمين وتزّين وتزخرف حسب ثروة مالكها... وهي تجلّب من الشرق وتقدم كهدايا أو بضائع للتجارة. وعندما ينتهي رب المنزل من الطعام والشرب يتوقف الأخريين ويتمنى الجميع له الصحة الطيبة بقولهم: "صحة عليك" فيشكر الله ثلاث مرات، فينهض من مقعده ، حيث يقف معه جميع الضيوف ويتجهون نحو المغسل لغسل أيديهم ...(1)

أما بالنسبة للمدن لا يوجد فوارق كبيرة في عادات الطعام إذا إستثنينا الطبقة الفقيرة، حيث يُشاهد الكثيرون منهم جالسين في الشارع يأكلون الكسكسى بأيديهم في السلطانية(2) الصغيرة، لا يستعملون الملعقة أبدا وهم في حالة يرثى لها من الوساخة..أما بالنسبة لليهود فَلِبُخْلِهِمُ متى دعوا إلى بيت كبير يأكلون بشراهة...و في العادة يبرزون هذه الشراهة بجودة الطعام، ثم يمدحون المضيف قائلين أنه لم يكن ليدعوهم إلى مائدته لو لم يكن راضيا عنهم (3)

ومن أنواع المأكولات التي جلبها العثمانيين معهم، البقلاوة عبارة عن حلوة تركية الأصل، مخلوط باللوز والزبيب، دسمة جدا، زيتية ومشربة بالعسل(4)، أما في مجال المشروبات فالكتب التي إطلعنا عليها تجمع على عدم إنتشار شرب الخمربين الجزائريين كعادة من عادات الشرب، في حين عرف المجتمع الجزائري مشروب الشاي والقهوة مع العلم أن عادات المأكل و المشرب لازالت قائمة عندنا إلى يومنا الحاضر بالجزائر.

2-2 اللبـــاس: هو عنوان الذوق والأناقة عند الناس، وصورة لشخصية صاحبه، والتعرف عليه، لذلك أولى الأجانب الذين تواجدوا بالجزائر خلال العهد العثماني أهمية لدراسة ألبسة الطوائف الاجتماعية في الجزائر، فوصفوا مختلف الألبسة الخاصة بالأتراك

1- جيمس لندرا كاثكارت،مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1982، ص.ص 72-74

2- السُّلْطَانِيَّة: وعاءٌ من الخزف ونحوه يؤْكل فيه الطعام، أنظر معجم المعاني الجامعwww.almaany.com بتاريخ 2015/01/10

3- جيمس لندرا كاتيكارا، المصدر السابق ص74

4- هاينريش فون مالتسان، ثلاثة سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، ج3،الجزائر، 1976، ص.59

العثمانيين والكراغلة، والعرب واليهود والنساء، يذكر شالر (Shaler) أن اللباس العثماني يتألف من عدة قطع، بعضها بالأكمام والبعض الأخر بدون أكمام، مفتوحة في الصدر ومزينة بأزرار وزّخارف . وبعد ذلك تأتي السراويل فضفاضة تنزل حتى ركبة الساق وكثرا ما يلبس الرجال حِزاما يلفه عدة مرات حول وسطه ويعلق عليه خنجر أو مسدس، ويضع في طياته أيضا ساعته ومحفظته ونقوده ، أما عن لباس الرأس هي العمامة والرجلين البلغة، أما الجوارب فلا يلبسها إلا الشيوخ وفي حالة البرد فقط ، كما يختلف نوع طبقات الناس و الثروة و الفصول(1) وعليه سنسّرد ثلاثة أنواع من ألبسة لثلاثة طبقات بالجزائر العثمانية:

2-2-1 لباس الأتراك العثمانيين يذكر "دانتي" (D'anti) أن لباس الأتراك العثمانيين بالجزائر يشبه لباس الأتراك بإسطنبول (2)، أما"لوجي دوتاسي" (Laugier de Tassy) يصف لباس الأتراك العثمانيين بالبساطة وتميزعن العرب والأمازيغ، أما لباس الداي والموظفين الساميين الرئيسيين عبارة عن قمصان بأكمام طويلة وسراويل صوفية طويلة أيضا وغير خشنة، أو قطنية بيضاء (3)، أما "وليام سبنسر"(William Spenser) فهو يعبرعن لباس الأتراك العثمانيين أن الرجل التركي يرتدي البرنوس وهو ثوب فضفاض، عريض متصل بجوانبه بأكمام وقَلَنْسُوةٌ(4) أحيانا، كما يضاف إليه ألبسة تحتية مهذبة. ويلبس ذوي الاعتبار من الرجال بدعيتي (5) **أو**ثلاث بدعيات مفتوحة عند الرقبة تزركشها الأزرار أو اَلْقْطِيفَةُ(6)، وتكون مطرزة بخيوط ذهبية أو فضية، ويلبسون كذلك سروالا مطرزا عريضا وفضفاضا ، وتلتئم خياطة السراويل بواسطة تطريز

1- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المصدر السابق، ص 83.المزيد انظر أيضا ، لباس البدن عند الرجال بمدينة الجزائر في العهد العثماني، عائشة حنفي، حوليات المتحف الوطني الآثار القديمة، ع 09، الجزائر، 2000 ص.ص 47- 71

2- بن عتو بلبروات، نظرات إستشراقية لعادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، اجامعة سيدي بلعباس،العدد 2،الجزائر، مارس 2010،ص.ص 81- 92

3- De Tassy, (L), Histoire du royaume d'Alger, édit, loysel, Paris, 1992, P59

4- قَلَنْسُوةٌ :لباس للرأس مختلف أنواع والأشكال ، من معجم المعاني الجامع – معجم عربي، عربي- ويعبر عنها أيضا بالقبعة أو الطاقية، وهناك ما يشبه القبعة توضع على الرأس تدعى الكوزية "عبارة أن شريط عريض وطويل لدرجة أننا نستطيع أن نلف به الرأس خمس أو ستة مرات وهو بمثابة العمامة" أنظر عائشة حنفي، لباس البذن عند الرجال بمدينة الجزائر في العهد العثماني، حوليات المتحف الوطني للأثار القديمة ، العدد 09، الجزائر، 2000، ص 48

5- بَدْعِيَتَيْنِ:مثنى بَدْعَيَةُ«وهي نوع من أنواع الصدريات تغلق من الأعلى إلى الأسفل بأزرار،كانت تلبس من طرف الحكام والأغنياء، تصنع من قماش الجوخ(نسيج من الصوف)، مطرزة بخيوط ذهبية أو فضية »المرجع السابق ص59

6- اَلْقْطِيفَةُ:نوع من نسيج الحرير أو القطن تأخذ منه الثياب والفرش، وبصنع منه القفطان اللباس الفاخر، نفسه، ص61

حريري واسع يُلصق به سيفه وخنجره ومسدسه، وعند نهايته يخبئ حاصلة نقوده من الحرير والساعته. قد كان هذا اللباس مميز، حيث عرف هذا الطرز لذي مسافري البحر المتوسط بالطراز الجزائري **(1).(انظر الملحق ص166،167،169)**

أما لباس نساء الأتراك العثمانيين فقد وصف"وليام سبنسر" لباس المتزوجات منهن«يلبسن الفرملة بشكل واسع وهي اللباس ذو الحزام والمفتوحة عند الصدر، مع معطف أو أكثر بأكمام قصيرة معه أو إلى جانب ألبسة داخلية تدلى عليها السراويل مطلوقة عندما يكّن في المنزل، ولما يخرجن للحياة العامة فإنهن يضعن توبا مزركشا من ثلاثة طبقات طولا يصل الركبة، وَيَتَحَزَّمْنَ بشاش مزركش عريض، ثم تأتي سراويل عريضة ... وفوق الكل يأتي الحايك الأبيض ويتحّجبن حتى عيونهن بقطعة قماش شفافة بيضاء»**(2)**، أما شالر فيصف لباس المرأة قائلا:« ولباس النّساء العربّيات بقدر ما أمكنني ملاحظته يتكون من قميص صغير يضع عند نساء الطبقة الغنية من أرفع المواد وأفخرها، ثم سروال ينزل إلى العَقِبَنْ وثوب من حرير أو مادة أخرى ويكون غنيا بالتطريز...وتلبس المرأة الجزائرية حداء ولكن بدون جوارب». أما ما يخص الزينة فيقول أيضا « والمرأة الجزائرية تعتني عناية خاصة بشعرها، وكثيرا ما يصل شعرها إلى الأرض، والمرأة الجزائرية لا تقتنع بالجمال الذي وهبتها الله لشعرها ولحواجبها، فهي تعمل على صّبغها بالأسود كما تصبغ بطلاء خاص أظافر أصابع أيديهن ، وكذلك يصبغن بالحناء أكفهن و أقدمهن »**(3).**

2-2-2 لباس الكراغلة : « ملابس الكراغلة هي عادة مزّينة بالذهب أو الفضّة ومن الحرير، طبقا لغرور الشخص وثروته، أما شكل العمامة وثناياها و نوع مادة التي صنعت منه هي مقياس الذي يحكم الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها. وفوق جميع ملابسه يلبس الرجل الكرغلي برنسا يحمله على كتفه ويغطي به كل جسمه»**(4)**." سبنسر"يرى أن كل الجزائريين

1- وليام سبنسر، المرجع السابق ، ص 86

2- نفسه، ص89

3- وليام شالر، المرجع السابق، ص 85

4- نفسه ،ص 83

من غير الأتراك، بإستثناء اليهود، كان لباساهم بسيطا(1)، ولعل إعتناء الكراغلة بهندامهم تقليد ورثوه من آبائهم الأتراك، أما "روزيت" (Rozet) فقد وصف لباس الكراغلة « بأنه لا يختلف عن لباس الأندلسيين، وإن كان هندامهم أكثر أناقة ، وملابسهم أكثر جلب للإنتباه من هندام الأندلسي، فهم متأثرون بالنمط الآسيوي»(2). **(انظر الملحق ص170)**

3-2-2 لباس اليهود ونسائهم: حسب ما أطلعنا عليه قد أجمعت المصادر الأجنبية أن لباس اليهودي كان يتسم باللون الأسود من الرأس إلى القدمين، ويشير "كورين شوفاليه" (Kôrin Chevalier) « أن اليهود أجبروا على إرتداء هذا النوع من اللباس، ليخالف عن اللباس الذي يرتديه بقية الجزائريين، كما أنهم يزدحمون في **حارات خاصة بهم ذات كثافة سكانية عالية***»(3)، يذكر" لوجي دوتاسي" (Laugier de Tassy): « أن لباس اليهود كان عبارة عن عباءة طويلة تصل إلى منتصف الساقين، وعمامة سوداء تلفها عصابة بلون قاتم ذات خيوط ، كل ذلك للتمييز بينهم وبين الأجناس الأخرى الإسلامية والمسيحية، أما المرأة اليهودية فتلبس مثل المرأة المسلمة بالمدن وتخرج إلى الشارع بدون قناع، حيث يبقى وجهها ظاهرا قصد التميز بينها وبين المرأة المسلمة التي تحمل قناعا (الخمار) ولايظهرمنها سوى عيناها»(4) كما ذكرنا سالفا، يقول "سبنسر"(Spenser) في وصف لباس اليهودي: «يلبس اليهودي جبًّا لا تمنعه من وضع الماء، ومعطفا ذا أكمام عريضة، لا تمنع من غسل الأطراف العليا وكذا خناجر كبيرة جميلة في جراب على الجانب الأيسر. وفي الشتاء يلبسون سراويل تضيق عند أدنى الركبة كما يفعل الإسبانيون»(5). لم تختلف المرأة اليهودية على العموم عن المرأة المسلمة في حياتها اليومية، تعيش في البيت أساسا في جوّ محافظ لكنه أقل محافظة منه لدى المسلمين كما أنها تتمتع بحرية نسبية في الحركة خارج البيت (6) **(انظر الملحق ص168)**

1- وليام سبنسر، الجزائر في عهد الرياس ... نفس المصدر السابق ص 87

2- Rozet (M),Voyage dans la régence d'Alger, édit, Arthus Bertrand libraire,T^2, Paris, 1833, P 293

3- كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص 67

*حسب معرفتي المتواضعة أن هذه الأحياء تدعى اليوم بالغيتوهات، حيث هناك تتم المعاملات الخاصة بهم. والقصد من إقامة هذه الأحياء هو الإحتفاظ بشخصيتهم المستقلة عن بقية السكان .

4- De Tassy, (L), Op. Cit, P :57

5- وليام سبنسر، نفس المرجع السابق ص 84

6- فوزي سعد الله ، اليهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996، ص.ص 135-136

أما في البادية كانت المرأة اليهودية تلبس حايك تحته قميص وسروال، وقد تحول القسم الأعلى من الحايك إلى شكل من كيس، والغرض منه حمل أولادهم الصغار، وتغطي رأسها بقطعة من القماش قد تتخللها خيوط ذهبية وفضية، كما تلبس معها قطعة مثلثة من القماش قد زركشت ولونت بِتَفَنُنٍ كبير، تدلت علي الظهر(1)

كان نساء المدن يَمِلْنَ إلى الأناقة، متأثرات بالأسلوب التركي. والمرأة الجزائرية شديدة الرغبة في الروائح والأطرزة المزركشة والتركيبات العطرية، أما الحواجب كانت تُنزّع (تلقيطها) بشدة ويوضع عليها الكحل، وتقويسها على شكل هلال، أما نهاية الأظافر والأصابع وبواطن الأقدام كان يتم ترطيبها بالحناء، كما هناك علامة أخرى تثنى عليها بشدة النساء وهي "عيون الغزال" أي تتميز بالإتساع والصفاء والخضرة، فإذا كانت عيون سيدة لا تفي بالشروط فيغلى الجوز ويجفف ثم يهرس ليصير دقيقا ثم يمزج في الماء ليشكل معجونا سائلا فيوضع على جوانب العين، والخبايا السفلى للأشفار، تكتمل عملية التجميل هذه بوضع في الأخير الحُرَّةُ حمر الشفاه و التدابير المكملة له (2)، ويبدو أن المقام المشترك في اللباس بين النساء الجزائريات هو الحجاب، حسب ما ذهب إليه "سبنسر"(Spenser) حيث يقول :«إن كان الحجاب كان على ما يبدو قليل الإستعمال في معظم جهات شمال إفريقيا في السنوات الأولى لقيام الأيالة(3)، قد أصبح لباسا خارجيا ضروريا في سنة 1780م، وقد كان على نوعين: الصغير بنصف الوجه(قناع) والآخر قطعة اللباس المزركشة التي تتم خياطتها ملتصقة بالحايك»(4)، أما الفتاة الغير متزوجة تتميز هي الأخرى بلباسها عندما تخرج إلى الشارع، حيث ترتدي سروالا متعدد الألوان أو ثوب متعدد الألوان، حيث يغطيه الحايك من نوع تقتضيه الظروف، وعند سفر المرأة الجزائرية إلى الخارج فترتدي حايك أبيض يغطي جسمها كله من الرأس إلى العقب، مع العلم أن نساء الطبقة الراقية لا يخرجن إلا قليلا أو قل أنهن لا يخرجن إطلاقا.(5)

1- Shaw(T), Voyage dans la régence d’Alger, Trad., de l’anglais par j, Mac Cathy, 2éd, Paris, 1927, P : 193

2- وليام سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص .ص 89-90

3- أعتقد ما ذكره سبنسر غير صحيح، لأن الحجاب فرض على المسلمات مند صدر الإسلام بقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة النور، الآية 31

4- نفس المرجع، ص 91

5- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المرجع السابق، ص.ص 85-86

3- عادات وتقاليد متعلقة بالحياة الدينية والاحتفالات:

إن المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني كان زاخرا بالعديد من المناسبات الدينية والشعوبية والتي تخللها عادات وتقاليد رسّمت معالم مجتمع ورث تلك العادات وحافظ عليها ليرثها من هم خلفه، مع وجود عناصر التأثير بالوافدين العثمانيين وغيرهم.

3-1 الحيـــــاة الدينيـــــة:

كان المذهب المالكي هو المذهب الوحيد في مدينة الجزائر قبل تأسيس خير الدين عهد الوصاية، و نتيجة لسيادة الدولة العثمانية فقد عملت على نشر المذهب الحنفي، لكن دون فرضه على سكان المدينة، وبما أن أسيّاد مدينة الجزائر لم تكن لهم إنشغالات دينية فهم لم يبذلوا أي جهد لتطوير الأعمال الثقافية (1)، مع ذلك عرفت الزوايا والمساجد الصغيرة تنوعا في المذاهب، خلافا عن المسيحيين الذين كانوا في نفس العهد يشنون حروبا ضدّ بعضهم البعض بإسم السلفية (الأورثودوكسية)(2)، وعليه فإن جميع الفرق (الإسلامية) كانت مرتاحة مع بعضها...(3).

أما اليهود يذكر"ها يدو"(Haedo) أنه كان لهم أماكن للعبادة، وأن الدولة تركت لهم حرية ممارسة دينهم بكل هدوء، أما المسحيين فقد عاملتهم الحكومة بنفس ما عاملت به اليهود، ومن ثم بناء كنائس خاصة لهم داخل سجون، والتي يقام فيها القداس طول العام وفي أيام الأعياد والإحتفالات،(4) ويضيف كورين شوفاليه(Kôrin Chevalier)على لسان "سيرفانتيس"(Servantes) «أن هناك شيء يحيرني كثيرا وهوأن هؤلاء(الكلاب) العثمانيون الخونة تركونا نمارس ديننا»، وبالتالي يعترف هذا الأسير ضمنيا بحرية ممارسة الأديان في الإسلام، وإلا كيف نفسر هذا التسامح في عصر قلّ فيه الحلم والتّسامح والتساهل من طرف شعوب أخرى أوربية في إحترام أسرانا بأوروبا ؟ (5). إن الجزائر العثمانية عرفت التسامح الديني الذي إستغرب له حتى الأجانب نظرا للروح العدائية السائدة آنذاك، ولعل مرجع هذا التسامح يعودإلى الدين الإسلامي الذي يحترم العقائد والأديان جميعها، في إطار

1- شوفاليه كوين،الثلاثون السنة الأولى...المرجع السابق ص 72

2- الأورثودوكسية ،هو مذهب من المذاهب المسيحية تزعمته الكنيسة الشرقية بعاصمتها القسطنطينية بقيادة الإمبراطور جوستينيان 553م (طالع الموقع الإلكتروني www.wikipedia.org بتاريخ 2014/10/10

3- جون وولف، الجزائر وأوربا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 147

4- Haedo,(F .D.E),Topographié et histoire d'Alger, Tard, de l'espagnole par Berbrugger (A) , et Monnerau, in R .A, n° 15 Année 1870-1871 P : 394

5- شوفاليه كورين، المرجع السابق ص 74

سياسية العثمانيين الدينية في الجزائر، إلا أن بعض نفى أن تكون لهم سياسة دينية محددة، وأكدوا أن همهم الوحيد هو القرصنة، ونهب الأموال والتسلط العسكري، ولم يكونوا حسب هذا الرأي مسلمين عن عقيدة راسخة، بل إن إسلامهم كان رقيقا فاترا، ولذلك لم يعطوا أهمية للدين ونشر الثقافة، والإهتمام بالدين لا يكون إلا إذا كانت له عواقب على الحكم والأمن. في الوقت نفسه إنتهجوا (العثمانيون) فيه سياسة خاصة مع الطرق الصوفية وحاولوا في بعض الأحيان التقرب والتفاهم مع مرابطهم، ولكن في بعض الأحيان وقفوا منهم موقف حياد.

هناك من يرى هذه العلاقات من زاوية أخرى، أن العثمانيين عندما جاؤوا إلى الجزائر كانت الطريقة الشاذلية والقادرية سائدتين فيها، فما كان عليهم سوى التقرب إلى مشايخها لإكتساب تعاطف أنصارها كتَقَرُبِهِمْ إلى"أحمد بن يوسف الملياني" الذي كان من أبرز المتصوفة للطريقة الشاذلية... وإستمر هذا التحالف إلى غاية القرن 12 هـِ الموافق لـِ 18م، ولكن تَغَيُرْ ميزان القوة بسبب نقص الموارد البحرية، فرض الحكام العثمانيين على الأهالي ضرائب جديدة نتج عنه تحول إقتصادي، مما أدى إلى تحول العلاقات الدينية والسياسية بين الطرفين وبداية ظهور إنتفاضات أو ما سميت ثورات الريف (كالثورة الدرقاوية)، أما في المدن ظل العلماء والمرابطون على تحالفهم مع العثمانيين طالما أن هؤلاء يضمنون لهم العيش الرغد، والتعويضات المالية **(1)**

هذا وقد عرفت الجزائر العثمانية إنتشارا واسعا في الزوايا والطرق الدينية التي طبعت الحياة الروحية آنذاك ومن أهمها: الطريقة الثعالبية، الرحمانية، التجانية، إلى جانب الطريقة القادرية الشاذلية التي كانت أكثر إنتشارا والتي وجدت تأييدا خاصة من العثمانيين في الجزائر، لكن بدأ يشوبها في العهد الأخير بعض الشّك وعدم الإطمئنان، ويظهر ذلك من معاملة الأتراك لشيوخ القادرية في زاوية القطنه في أوائل القرن 13هـ/ 19م **(2)**.

نستخلص من كل هذا أن الحياة الدينية في عهد الجزائر العثمانية تميزت بالبساطة، والتمتع بالحرية الواسعة، والدليل على ذلك أن جميع الطوائف الدينية بالجزائر كانت تمارس شعائرها وطقوسها بكل حرية بدءا من الأسرالمسيحيين كما شهد سيرفانتس (Servantes).

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج1، ص.ص 183-184

2- نفسه، ص 184

وإنتهاء بالدراويش الذين كان يختارهم الدايات كالحاج أحمد باي قسنطينة بشهادة "فندلين شلوصر"(Fendelin Chloser) قائلا:«الواقع أن اَلْدِينُ هو القوة الروحية الوحيدة، التي تتمثل في المرابط والتي تحد بالتالي من حب المسلم للسيطرة »(1)

2-3 المناسبات الدينية والإحتفالات: تعددت المناسبات الدينية والاحتفالات في عهد الدولة العثمانية بالجزائر، والتي إطلعنا عليها كانت من **كتابات الأجانب***، نجدها تتكرر من مصدر إلى أخر نذكر منها ما يلي:

1-2-3 الإحتفال بشهر رمضان الكريم: إن شهر رمضان له نكهته الخاصة عند المسلمين حيث يروي العديد من الرحالة الأجانب عن عادات وتقاليد هذا الشهر، فكيف كان يقضي سكان (الدزاير) ليالهم الرمضانية ؟ يروي المرحوم أبو العيد دودو عن الرحالة الألماني "موريتس فاغنر" (Vagner Mouritus) قائلا:« إن الإعلان عن بدء شهر الصيام يتم بإطلاق مائة طلقة من مدفع كبير أقيم في الميناء، وبعد الطلقات توقد مصابيح كثيرة فوق منارات المساجد تضيء الهلال الذي يتوج رؤوسها، ويقف المؤذن بثيابه الجميلة وسط أضواء المصابيح، ويرفع العلم الأبيض، ثم يدعوا المؤمنين إلى الصلاة، وليس هناك مسلم راشّد لا يسرع إلى تلبية النداء، فلا شيخوخة ولا ثروة تحول بينه وبين المُضّي إلى بيت الله، وكانت المساجد دائما مملوءة بالمصلين وعددها تسعة وثلاثون مسجدا بمدينة الجزائر.»(2).

وفي موضع أخر يقول" فاغنر"(Vagner):«إن طعام الصائمين في الليل الكسكسى بالزيت، يضاف إليه اللحم المقلي و الفواكه، وبعد الإفطار ينصرفون إلى إستماع الموسيقى طيلة شهر رمضان، ويستمتعون بمشاهدة الرقص والعروض الهزلية المتنوعة كعروض القرقوز(3) والتي تقام في المقاهي.» أعتقد أن "فاغنر" بالغ في هذا الوصف بل الكثيرمن الجزائريين ينصرفون الى صلاة التراويح و ذهابهم الى المقاهي يكون في ما بعد.

يذكرالرحالة هايرينش(Harnache):«أن شهررمضان من كل سنة هو شهر الحلويات

1- فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ش.و.ن. ت،الجزائر، 1980، ص.ص 83- 84

*أشير إلى أن المصادر التي إطلعت عليها و التي سقطت بين أيدينا في هذا المجال كانت لمختلف الرحالة والقناصلة والأجانب والأسرى الذين سجلوا يومياتهم بالجزائر، ولم أعثر بالرغم من مجهودي المتواضع في البحث على مصادر المحلية التي تتناول الموضوع ، فإن وجدت فهي شحيحة للغاية .

2- أبو العيد دودو،الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان،(1830- 1855)، م. و. ك، الجزائر، 1989، ص.ص 115-114

3- المرجع السابق، ص 119

والضيافة والأفراح عند الجزائريين، لكن الحفلات الوحيدة الصاخبة التي نقلها الأتراك إلى الجزائر، والتي تقام في هذا الشهر وهي حفلات **القرقوز*** التركي،... وكان يتم ذلك بعد الإفطار»(2).

ومن عادات شهر رمضان أيضا ختم صحيح البخاري في المساجد مع إضاءة الشموع فيها وفي غيرها. ولكن ما يميز هذا الشهر خلافا عن الشهور السنة الأخرى الحركية ليلا بحيث في بقية الشهور لا أحد يخرج من داره من غروب الشمس إلى شروقها أم في ليالي رمضان فالجميع يخروجون ويسهرون حتى النّساء اللائي كن يخرجن ساهرات متخذات من الليل حجابا، ومن الواضح أن المرأة لا تخرج وحدها في هذه المناسبة.

بالإضافة إلى مرح القرقوز أو ما يطلق عليها (خيال الظل)، كانت هناك أيضا حلقات إنشاد الشعرالشعبي، حيث يقوم المداحون بقص السّير والأخبار والمغامرات الأبطال والفرسان، وقد شاع في الجزائر عندئذ شرب القهوة بكثير وتدخين السبسي، والغليون،... وغير ذلك (3)

أما "ديماس" (Daumas) فيصف عادات الجزائريين في صوم شهر رمضان من السحور إلى الإفطار، وكيفية إقامة شعائر هذا الشهر من دعاء، والصلاة عند الإفطار، وكفارة الصيام عند من لا يقدر عليه، وخاصة إذا كان في موسم الحرّ، أو عند المريض، أو الشيخ، كما يذكر"ديماس" على أن الجزائريين حريصين على تناول التّمر عند الإفطار بالإضافة إلى كميات كبيرة من الماء (4)

3-2-2 عادات وتقاليد إحتفال بعيد الفطر والأضحى: الأعياد الدينية من المناسبات التي كان يحبها الجزائريون ويعطونها صبغة إحتفالية محلية، تخضع لعادات وتقاليد متوارثة مع تأثر بالعثمانيين الذين أضفوا عليها بعض العادات الشرقية، يذكر الرحالة "هاينريش" (Harnache) في مذكراته أن المسلمين على إختلاف أجناسهم بالمدينة يقومون بالاحتفال عيد الفطر مباشرة بعد إتمام شهر الصيام وتتجلى أشكال الاحتفال في إرتداء المسلم الساكن

1- القرقوز: قره قوز وتعني دمى صغيرة من الورق المقوى أو الخشب الرقيقين يحركها إنسان مختفٍ وينطق بما تقول فُترى كأنها تتحرك وتتكلم، وتسمى أيضا "كركوز" أو دمى متحركة . من معجم المعاني الجامع عربي- عربي من موقع الإلكترونيhttp://www.almaany.com بتاريخ 2015/10/21

2- هاينريش فون مالتسان، ثلاثة سنوات في شمال غرب إفريقيا،ج3 ،ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.و، الجزائر، 1976، ص66

3- أبوا لقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ... المرجع السابق، ص.ص 155-157

4- Daumas,(E), mœurs et coutumes de l’Algérie, Edit, A .N .E.P, Alger, p.p. 81-82

بالمدينة أجمل ثيابه، عكس الريفي الذي لا يأبه بالثياب الجديدة. يسمى العيد عند الجزائريين" بالعيد الصغير" أي عيد الأطفال، في هذا اليوم تقدم الهدايا للأطفال وغالبا ما تكون في شكل نقود(1) ويرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديهم من ألبسة، وخاصة الأطفال الدين يرتدون في أيام عيد الفطر ثياب مطرزة بالذهب والفضة والسراويل المصنوعة من الصوف أو القطن، مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة، والنساء والفتيات محجبات، إن عددهن في الشوارع والميادين العامة لا يقل عن عدد الرجال، وهن يكتفين بالنظر والتسلية...، وفي باب الواد ميدان فسيح يقوم فيه تركي عجوز بإدارة عجلة كبيرة وفوقها عدد من الأطفال، يمرحون ويضحكون، أما أبناء الأغنياء يجلسون في عربات يقودها الزنوج أو البسكريون (2)، يسمي الأتراك عيد الفطر"بقربان بيرام"وعيد الأضحى يعرف عندهم "عيد القربان بيرامي" كما توجه الدعوة في هذا العيد إلى قناصله الدول ليشاركوا في الإحتفالات، ولكن ليس بصفتهم ممثلين دولهم، وإنما لكي يقدموا تحياتهم إلى الداي و الثناء على قوته وعظمته.(3)

أما إحتفالات عيد الأضحى فإنها تبدأ من انطلاق نيران البنادق بكثرة عند بزوغ الفجر، لما تقام صلاة العيد تفتح أبواب قصرالداي على مصارعها العامة، ويقدم الكسكسى المطبوخ لكل الحاضرين ويستعد الداي إستقبال تهاني وهدايا أعضاء الحكومة وممثلي الحكومات الأجنبية المقيمين في الجزائر، ثم يقود وجهاء المدينة وأجواقها وسكانها إلى" جامع اَلْحَوَّتِينْ"*، حيث يقع ذبح الأضاحى تحت طلق البنادق، والموسيقى العسكرية.(4)

1-هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 66

2- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، المرجع السابق، ص118

3- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المرجع السابق ص67

* جَامِعْ اَلْحَوَتِّينْ: وهو جامع مسجد الجديد، سُمي بهذا الاسم لقربه إلى الميناء، بُني في عهد مصطفى باشا سنة 1660م على الطراز العثماني أخد من الهندسة البيزنطية، وبني المسجد في مقام زاوية سيدي عبد الله. المزيد انظر الموقع الإلكترونيwww.4algeria.com بتاريخ 2015/01/10

4- وليام سبنسر،الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص.ص118-119

يذكر "كاثكارت أنه كان يسمح للعبيد بالخروج إلى المدينة بمناسبة عيد الأضحى، والذي يحتفل به في القصر، بالمآدب والموسيقى والمباريات المصارعة، ويرفع العلم التركي صباح الأول من العيد...مع إطلاق المدافع (1)، شلوصر(Chloser) يصف إحتفالات الجزائريين في بيلك الشرق بأنها أيام مباركة، ومنها يوم الجمعة فيقول : « وللمسلمين مثلنا يوم مبارك في الأسبوع هو يوم الجمعة يسمونه" نهار الجمعة " ولكني لم أجد فرقا بينه وبين الأيام الأخرى حسب قوله، فالناس يذهبون كالعادة لأداء الصلاة، ويمارسون أعمالهم...وفي يوم عيد الصغير تعم الفرحة وينظم الباي ليلة العيد حفلة عشاء تعزف خلالها الموسيقى، ويوم العيد يجلس الباي خارج المدينة فوق قحدة في رحبة، ويبدأ سباق الخيل الذي تصاحبه أنغام الموسيقى، فيمر كل قائد مع فرقته أمام الباي، ويطلقون الناركلهم...، أما الأطفال تقام لهم أراجيح خيام يتناولون فيها عصير الليمون والبرتقال مجانا، وتستمر التسلية حتى الثانية عشر، ويعود بعدها الداي إلى المدينة ويتناول كل واحد طعامه ببيته، كما يصدر الداي عادة العفو عن الأسرى الذين يشفع فيهم...، أما في عيد الكبير يَذّبح رب العائلة خروفا يؤكل اللحم مدة ثلاثة أيام بكاملها » (2) .

إلى جانب إحتفالات العيدين، هناك مناسبات دينية وإجتماعية أخرى يُحتفل بها في الجزائرالعثمانية، كحفلات الخّتان والولادة، يذكر فاغنر(Vagner) عن هذا النوع من الحفلات إذ يقول أنها تشبه الحفلات الأخرى تماما، حيث لا يختن الأطفال إلا في سن الرابعة ، أما الرجل الذي يقوم بهذه العملية يدعى "البتار" هو رجل دين، أكثر ما يستلمه من الأثرياء هدية للختان لايزيد عن ثمانية "**بوجو**"*، أما الفقراء فإنهم يختن أولادهم مجانا، ويتم خّتن أبناء البادية على يد المرابط، فالخّتان بالنسبة للعرب الريف هو حفل ديني أكثر منه دنيوي، أما الحضر فإنهم على العكس من ذلك يطعمون ويكررون نفس الحفلات التي تقام بمناسبة الأعراس(3)

1- جيمس لندر كاثكارت، المرجع السابق ص32

2- - فندلين شلوصر ، المرجع السابق، ص.ص 85-86

*بوجو:(*bŭgŭ réal*) عملة قديمة لمدينة الجزائر ما تعدل1فرنك و60 سنتم قديم ، أنظر:

Mohamed Benchnab, mots Turks et persans conservés dans le parles algérien, ancienne maison rastide, Jourdan, jules Carsonel, Alger, 1929 P 24

3- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، نفس المرجع السابق، ص 123

كما وصف الحاج " أحمد الشريف الزهار" في مذكراته حفل ختان وَلَدَيْ مصطفى باشا سنة 1797م ، حيث نُظّم مهرجانا كبيرا، إستقدم البايات والأعيان ودعي جميع السكان ، فضعف عدد الطباخين، وأطعم الناس ثلاثة مرات في اليوم ، وضُربت المدافع من جميع الحصون(1)، أما عن احتفالات المولد النبوي الشريف يذكر شلوصر(Chloser):« المولد النبوي عيد كبير بالنسبة للأطفال، فالمدارس كلها مزينة بالأعلام والأزهارو يقف التلاميذ أمامها وبأيديهم مسدسات ألعاب يسددونها نحو كل مار فيدفع لهم النفوذ هدية،... كما يعترض الأطفال طريق المارة ويرشون وجوههم بالماء المعطر، وينتظرون منهم أيضا أن يقدموا لهم هدية » (2)

من خلال ما إطلعنا عليه من كتابات أجنبية يمكن القول أن هؤلاء الرحالة الأجانب لم يفرقوا بين الشعائر الدينية وممارسة العادات، حيث صنفوا هذه الأخيرة طبقا للمزّاج أو العُرف الإجتماعي، هذا ما نلمسه جليا في دراسة (DaumasEugène) لعادات وتقاليد الجزائريين، حيث يصف الوضوء والصلاة بأنها عادات دينية، والصوم أنه ضرب من الجوع، نفس هذه الخلفية نجدها في كتابات(Tidina) و (Chaler) وغيرهم، ما يفسر أن هؤلاء الأجانب حكمهم على هذه الممارست كان من الجانب المادي فقط وليس من الجانب العقائدي لأنهم مسيحيين، غرباء عن الإسلام، لذاك نظرتهم كانت ضيقة، ومن زاوية ضعيفة عن معرفة حقيقة هذه الشعائر الدينية .

4- المرأة وتقاليد الزواج في المجتمع الجزائر العثمانية: نظرا لطبيعة النظام الذكوري الذي يمارسه العثمانيون في الجزائر فإن المرأة تأثرت به بشكل مباشر، وإنعكس عليها من خلال عدم مشاركتها في الحياة العامة عموما، أصبحت تمثل الجانب المنزلي فقط، حيث يقول (Spenser)«كن قعيدات الكانون اللواتي تدافع عنهن الأسلحة والسفن الجزائرية»(3)، غير أن هناك آراء أخرى تعاكس وجهة النظر هذه، وترى أن المرأة لعبت دورا هاما في المجتمع الجزائر العثمانية، فالمرأة المدنية تاجرت بعدة طرق منها تأجير البحارة الدين يقومون لها بالحصول على الغنائم وبيعها في الأسواق، والمرأة الريفية هي الأخرى كانت تقوم بأعمال التي هي غالبا من إختصاص الرجال، تعمل في فلاحة ورعي الحيوانات، كما كانت الأسرة تنتج الملابس من برانيس ومناديل، بالإضافة إلى النسيج الزرابي والحياكة(4)

1- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ، ص.ص 71-82

2- فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي...، المصدر السابق، ص 86

3- وليم سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص 89

4- أبو القاسم سعد الله، أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي...،ج1، ص 157

ويذهب "دوتاسي"(Laugier de Tassy) إلى أنّ المرأة وإنْ لم تكن تشترك في صناعة السياسة العامة للبلاد، إلا أنها كثيرا ما تدخلت في توجيه قرارات والتأثير على أزواجهن في إتخاد مواقف معينة، وأول ما نلاحظه في هذا الميدان الزواج السياسي الذي كان يتم بين زعماء الأتراك، والكراغلة وزعماء الجزائريين من أصحاب النفوذ والسلطان(1)، يذكر الزّهار أن زوجة "بابا حسن باشا" هي التي أثرت عليه في إطلاق سراح الفرنسيين الأسرى عند ضرب هؤلاء لمدينة الجزائر سنة 1688م، مما جعل الأوجاق يثورون عليه ويذبحونه، كما كانت المرأة هي الأخرى وراء مقتل "صالح باي"(2)

شاركت المرأة أيضا مع الرجل في الخدمات الدينية، الإجتماعية والخيرية من خلال إجراء الأوقاف، كما مارست بعض المهن والحرف خاصة الخياطة والحلاقة والغناء، وكانت الخياطة تتم في المنزل (3)، في الوقت الذي يُقِّرفيه "هايدو"(Haedo) بوجود ورشات عمومية للنسيج في مدينة الجزائر يعمل فيها النساء(4).

أما عن عادات الجزائريين المتعلقة بالزواج والأعراس، يذكر" فاغنر"(Vagner) بأنه حَضَرَ أعراس الحضّر في الجزائر مرتين، وبعدها حضور عرس تركي في عنابه وعرس أخر كرغلي في مستغانم، بحيث يصف هذه الحفلات بأنها كلها متشابهة، فبعد أن يعود الرجال من عند المفتي، يمضون بمجرد غروب الشمس إلى منزل العروس، تصاحبهم الموسيقى والفوانيس الكبيرة ، فيصاحبونها هي مرة آخرى بلباسها الفخم الى بيت العريس في طريق العودة، أما العرائس من الطبقة الراقية فيقطعن المسافة على ظهور البغال على ما يشبه القفص(5) .

وعن دور المرأة في التخطيط للزواج وعقده ، فإن النساء يلتقين في زيارات متبادلة للبيوت أو في الحمامات العمومية التي يتردد عليها النساء كثيرا، ويستغرقن عدة ساعات متوالية في الحديث الممتّع من بينها أحاديث الزواج والشباب والشابات(6)، أما "سبنسر"(Spenser) يذكر أن هناك وسيط في عادة الزواج وهو التوسط بين الشاب والشابة

1-De Tassy, (L), Op.Cit, 1725, P:93

2- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف ... المصدر السابق ص.ص 62-65

3- Shuval, (T), La ville d’Alger vers la fin du XVIII siècle (population et cadre urbain), S .N.R.S, édition, Paris, 1998, p : 148

4- Haedo, (F .D.E), Op.cit. P:203

5- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان...، المرجع السابق، ص,ص 119-120

6- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المصدر السابق ص 87

وأنه عادة ما يتم على يد إمرأة متقدمة في السّن، تربطها علاقة قرابة أو صداقة بين عائلة العريس وعائلة العروس، وعن تحضيرات الزواج يضيف سبنسر قائلا:« وفتيات الجزائر كن يبلغن سن النضج، عند إثنى عشر وثلاثة عشر سنة ونظرا للسرية العامة المتعلقة بالأنثى فإن المتوسطات كن تقمن بعمل ذي قيمة، وربما يذهبن من بيت إلى بيت آخر في مهمات للعائلات اللائي لهن أولاد في سن الزواج، ويستعلمن عن وجود نساء قابلات للزواج...»(1) ويشير"سبنسر" في نفس السّياق إن حفلات الزواج كانت تختلف حسب الظروف المالية للعائلات، وحسب المجموعة الاجتماعية المعينة، وربما كما هو متوقع حسب التنوع المدني والريفي،(2).

وبالنسبة لتعدد الزّيجات ذكر "شالر"(Chaler) أن أغلب الرجال المسلمين يكتفون بزوجة واحدة تلحق بها عدد من الأبناء، والقليل منهم ما يعيدون الزواج(3)

وعن تحضيرات الزواج في المدينة يروي سبنسر قائلا:« يتجول الزوج بضعة أيام قبل الحفل في نواحي المدينة على أصوات الطبول والمزامير ...،وفي يوم الزواج يقوم بجولة أخرى مرتديا جلبابا أحمر وبجانبه سيف رفيع كما يوجد خمار ملقى على وجهه للحيلولة دون تأثيرعين الشيطان، وخلال الثلاثة أيام التي تجري فيها الاحتفال يُؤخذ العريس إلى الحمام في اليوم الذي يتم فيه الزواج، وفي ذلك اليوم يتجمع الأصدقاء والأقرباء فيقوم الزوج بعدها بالصلاة لمحضرهم ، ثم ينصرف ليلتحق بالزوجة في بيتها »(4)

وصف لنا الرحالة الإسكتلندي "وليام ليتجو" (William Lithjo) الليلة الثانية من حفل الزواج قائلا:« والليلة الثانية في حصة لنساء العائلتين، حيث يتجمعن لإقامة الأفراح، كما تقام مأدبة ثالثة في اليوم السابع وتكون المصاريف على حساب والد العروسة، والذي يرسل المأكولات إلى بيت صهره الجديد، وفي صبيحة اليوم التالي يخرج العريس من الدار التي خلا فيها بزوجته منذ اليوم الأول من الزفاف، ويذهب إلى السوق ويشتري سَمّكًا ويأتي به إلى الدار متفائلا به خيرًا، وهذه عادة قديمة لا تزال سارية في أغلب مناطق الشمال

1- وليم سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص 97-98

2- المرجع السابق ص 98

3- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المرجع السابق ص 98

4- نفسه ، ص.ص 98-99

الإفريقي...وفي كل هذه الإجتماعات يظل الرجال والنساء منفصلين بعضهم عن بعض من حيث الموسيقى والرقص والطرب...» (1)، (انظر الملحق ص173)

من جهة أخرى يذكر(Chaler) بعض الشروط التي تؤخذ بعين الإعتبار في عقود الزواج كثروة المرأة مثلا حيث يقول :«والقاعدة المتبعة في العقد هي التي يشير إليها المسلمون في كل مكان، ولكن طابع الحكومة وأوضاع الطبقات الراقية التي ظهرت في ظل هذه الحكومة، قد أدت إلى ثورة في صالح المرأة ...ويحتوي عقد الزواج عادة على شروط قدر المساواة مع الرجل الذي يتزوجها وعلى الأقل تحميها من معاملة تعسفية للزوج... والواقع أن المرأة العربية لا ترزح في قيود زوجها، أكثر ما ترزح تحت ثقل العادات والتقاليد الموروثة»(2)، أعتقد أن القنصل "شالر" بالغ بشكل كبيرفي تفسيره لعقد الزواج والرابطة الزوجية، فالمسلم يعرف واجبته وحقوقه من خلال الشّرع الإسلامي في باب الزواج

5- عـــادات الطـــلاق والمــأتم : إن عادات الطلاق والمأتم جزء لا يتجزء من حياتنا الإجتماعية يقول الله تعالى :﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.﴾(3) فيحدثنا"جون وولف"(Jaune Wolf) نقلا عن أحد الأسرى الأجانب في الجزائرقائلا:«أن رباط الزوجية يمكن حله بسهولة إذا قرر الزوجين أنه لم يعد رباطا مفيدا، فالرجل يمكنه التخلص من المرأة السيئة ... وأن يتزوج بأية إمرأة يرغب فيها.»(4) أما "تيدينا"(Tidina) فيشير في مذكراته إلى أنه من الأعراف السائدة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني أن على الزوج أن يعتني بزوجته وأن لا يقصر في واجباته نحوها، وإذا قصر في ذلك يكون بإستطاعة أي إمرأة الذهاب إلى القاضي وتفسخ ذلك الرباط، إنّ هذه العادة كانت شائعة جدا وحيث أنه بعد الطلاق يأخذ الأب الذكور من أبنائه و تأخذ الأم البنات.(5)»، وعن طبيعة العلاقة والمعاملة بين الزواجين يشير "سيمون بفايفر"في مذكراته « إلى أن النساء كثيرا ما يشتكين من معاملة أزوجهن لهن، ولكنهن لا يستطعن تغيير هذا

1- ميشيل آبار،الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي، ترجمة خنفي بن عيسى، مجلة الثقافة، العدد3 الجزائر،1971، ص 49

2- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المرجع السابق ص .ص 86-87

3- سورة البقرة ، الأية 229

4- جون وولف، الجزائر وأوربا، المرجع السابق ص170

5- أحميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدينا نموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 91

الواقع،لأن الرجال يتمسكون بهذا الحق ويرفضون التخلي عنه»(1)، وقد تدفع هاته المعاملة للمرأة للإنتقام من الرجل أو الفرار منه، وربما كانت كثرة الطلاق من أهم أسباب وجود عدد كبير من البغايا خاصة في مدينة الجزائر.

وفي وثيقة حول دور الجماعة في الريف خاصة بالطلاق ورد عبارة « ومن طلق زوجته ثم ردها فعليه خمس رياسات »(2) هذا ما يشير إلى وجود عادة إرجاع الزوجة بعد تدخل الوسطاء وأهل الصلح، لكن الكتابات الأجنبية التي إطلعنا عليها في إطار تحضير الموضوع لم تشر إلى هذه النقطة. لكن الشرع بين كيفية إرجاع المرأة الى بيت الزوجية بعد الطلاق قوله تعالى:﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(3)

أما بالنسبة لعادات الجزائريين في المناسبات الجزائرية خاصة الوفاة، فيقول الله تعالى﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(4) لهذا تقام الجنازة والعزّاء للأهل المتوفي، يقول"قراماي"(Gramaye) في هذا الصدد«...إذا مات الشخص المريض، تغسل الجثة بالماء الساخن والصابون، ثم يلبسنها ويحملنها مع وثيقة(5) من القائد، والرأس متوفي إلى الأمام لتدفن، وإذا كانت الوفاة في يوم الجمعة فإنه يصلى عليها أثناء وقت الصلاة في المسجد، وبعدها يرافق معظم المصليين الجثة إلى المقبرة وهم يتلون سُوَرٌ من القرآن، ويمشون بسرعة، حتى لا يتعطل ملك العدل وربما في إستقبال روح الميت»(6) أعتقد أن إكرام الميت هو دفنه، لذاك نعجل بالدفن، حيث روى الإمام الترميذي عن عليٍّ رضي الله عنه أن رسول ﷺقال:« ثلاثا يا علي لا تؤخرها الصلاة إذا دخل وقتها والجنازة إذا حضرت، و الأَيِّمُ إذا وجدت كفوأ » (7). ونسرع بالدفن حتى لا تتفسخ الجثة،

1- سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية... المصدر السابق، ص 176

2- جمال قنان،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500م-1830م)، م.ح.ط ، الجزائر، 1987،ص 182

3- سورة البقرة الآية 230

4- آل عمران، الآية 185

5- الوثيقة: لاشك أن هذه الوثيقة يُعَبَرْ عنها في الوقت الحاضر برخصة الدفن

6-Gramaye,(d.b), Journal de Jean- Baptiste Gramaye « évêque d’Afrique », Trad.par Ben Mansour Abd el-Hadi, sous titre Alger XVI^e –XVII^e siècle, cerf, Paris, 1998, P : 113

7- عن بن أبي طالب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يَا عَلِيُّ، ثَلاثٌا لاَ تُؤَخِّرْها : الصَّلاةُ إِذَا دَخَلَ وَقْتُهَا، وَالْجِنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفْؤًا " أخرجه الترميذي، رقم 3299، أنظر لإبن الأثير الجزرى،جامع الصول من أحاديث الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، دار الإحياء للثرات العربي، ط3، بيروت، ج6، 1983، ص 162

في الطقس الحار، وتهدأ النفوس بتقبل التعازي. كما وصف الأمير الفرنسي" لومبار" (Lambert) طقوس الدفن عند الجزائريين فقال: «أنه لما يتوفى المسلم يقوم أهله بغسله وكفنه ، ثم يوضع علي الجثة حايك وإحاطته بحزام على مدار كليته، وعند إقتراب صلاة الظهر يحمل الميت في تابوت على أكتاف أربعة رجال وتسير الجنازة في قافلة من الأشخاص مشّيا على الأقدام بخطى متوازية ، وكانت النساء تمشين خلف الرجال ويمنعن من البكاء والعويل. كما تتجه الجنازة إلى المسجد وبعد إتمام صلاة الظهر يعلن الإمام صلاة الجنازة على المصليين وبعد ذلك تسلك الجنازة طريقها إلى المقبرة لدفن الميت في قبر ذو الشكل المستطيل، ويوضع الميت على وجهته اليمنى ورأسه نحو القبلة ويده اليمنى عند أذنه اليمنى التي يرقد عليها، ثم يُوَارَي عليه التراب، وبعدها يعين القبر بأحجار عند رأس الميت وقدميه ولا يوجد عند القبر كتابة تدل على إسمه وتاريخ وفاته، كما لا يمكن تمييزه عن بقية القبور...»**(1)**

كما وصف "شلوصر"(Chloser) تقاليد الدفن في بيلك الشرق فقال : «وللمسلمين تقاليد معينة في دفن الموتى، وذبح الماشية، لا تتم مثل هذه العمليات بدونها، فهم لا يتركون الميت في بيوتهم أكثر من ليلة واحدة، فيغسل في اليوم التالي، ويُلبس قميصا وسروالا وقلنسوة وعمامة، كلها من اللون الأبيض ثم يلف في كفن أبيض ويوضع فوق نعشه كما توضع مخدة تحت رأسه، ويغطى النعش بغطاء أبيض، لا يستعملون التابوت ويحمل النعش بالتناوب ثمانية رجال، ورأسه إلى الأمام، وعند القبر ينزل عن النعش، ويوضع في الحفرة ...، ويده اليمنى تحت رأسه واليسرى ممتدة إلى جانبه وتسحب رجلاه ووجهه نحوى الشرق»**(2)**، أما "سبنسر" فقد أشار إلى العادات المتّبعة بعد إجراء الدفن والحُزْنُ على الميت حيث قال:« وكانت فترة الصباح تخصص للنساء اللواتي كان مطلوبا منهن أن يقضين وقتا من ثمانية أيام الموالية حول القبر، ليتذكرن الخصائص الحسنة للميت...، إن أفراد البيت الذكور كان عليهم أن لا يحلقوا لمدة ثلاثة أيام بعد الجنازة ولا يسمح بإيقاد النار داخل بيوتهم ولا بأي شيء يَغْلِي، وتلبس النساء السواد خلال تلك الفترة بالذات، وبعدها يتحللن من هذه العادة، ما عدا أرملة الرجل المتوفى ذي المكانة الاجتماعية، فإنها تخلع خواتمها لتضع قطعة من القماش البيض وتلبس عن قصد ثياب قديمة، وكانت النساء الأرامل يُعْتَبَرْنَ في فترة حزن لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام **(3)**، بعدها يذهبن إلى حافة البحر حاملات حقائب صغيرة

1- بن عتو بلبروات، نظرات استشراقية...، المرجع السابق، ص90

2- فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي...، المصدر السابق، ص 90

3- أربعة أشهر وعشرة أيام يقصد بها عدة الزّوج الشّرعية بعد وفاة زوجِّها، أنظر الأمام ماالك ، الموطأ،رقم الحديث 101/1839 ، دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت، 2005، ص 384

من الأمشاط والبيض غير مطبوخ، فيعطين البيض لأول مَارِبهنّ والذي لا يستطيع الرفض ، وهذا العمل يحللهن من محنتهن، فيستطعن الزواج من جديد»(1).

6- عادة إرتياد الحمامات والمقاهي وتقاليدهما: من العادات التي أبهرت الأجانب هي حادث إرتياد الحمام، حيث أنهم توسعوا في وصفها، وحسب" كورين شوفاليه" أن كلمة حمام تعني بالإسبانية سّجن (بانيو)، حيث في بداية العهد العثماني كان العبيد يسجنون في الحمامات خلال فترة الليل، وبعد أن تزايد عددهم بنيت لهم عَمَاَرَاتٌ خاصة بهم عرفت بإسم السجن(2) **(انظر الملحق ص173)**

ويذكر "وليام سبنسر"« إنه كان للحمامات في مدينة الجزائرأغراض إجتماعية هامة زيادة عن عملها التنظيفي، حيث كان الحمام هو المكان الذي يلتقي فيه النساء ببعض هنّ البعض ، وقد كان عدد حمامات آنذاك حوالي ستون حمام أيام "هايدو"، وكانت بنايتها واسعة ونظيفة مضاءة من السقف ومجهزة بالماء البارد و الساخن حيث يدفع المستحم أجره **أوقيتين*** إثنين، ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة، ومنها يمر إلى الحجرة عريضة وقد قسمت إلى مكعبات تتسع كل منها لأشخاص يتراوح عددهم بين عشرة إلى أثنى عشرة ،ويمر المستّحم عبر بخار حرارته تزداد شيئا فشيئا، حتى يصل ما يسمى "بالسيكاك أوداسي"(Sicakodosi)، وهناك يتمدد على أرائك من القطيفة، تغمرها سحابات من البخار الساخن المعبأ بالرائحة الزكية ... وبعد إستراحة في هذه الوضعية الباعثة للنوم ولعدة دقائق يظهر إثنين من الهزميتسز(Hizmetcis) (3) أقوياء يقومان بتدليك وبعدها يعود المستحم إلى غرفة الملابس على الطريق الذي دخل منهن كي يتناول كوب من عصير الليمون أو البرتقال ، وبعد أن يبخ عليه عون ثالث ماء الزهر، يلبس ثيابه ثم يغادر المكان...»(4). ويضيف « ولقد كانت حمامات النساء تشبه حمامات الرجال، ولكن الإجراءات كانت أكثر طراوة ، والزبائن كان أمامهن وقت أكثر... فبعد أن تنجز السيدات مختلف مراحل البخار في الحمام ذاته يقوم الخدم بغسلهن من الرأس إلى القدم مستعملين ماء الزهر ويبخون عليهن بالمسك

1- وليم سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص 106

2- شوفاليه كوين، الثلاثون السنة الأولى.... المرجع السابق ص 58

*أُوقَيَتَيْنِ: حمع أُوقِيَةٌ وهي وحدة قياس الكيل،مِعْيَارٌ لِلْوَزْنِ يُعَادِلُ 200 غرَامٍ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الرَّطْلِ الاِثْنَيْ عَشْرَ،قِطْعَةٌ قَدِيَّةٌ يُتَعَامَلُ بِهَا فِي مُورِيطَانيا،أنظر قاموس المعاني في الموقع www.almaany.com بتاريخ2015/03/06

3- Hizmetcis: يقصد بها المدلكين، أنظر وليم سبنسر، المرجع السابق، ص94

4- وليم سبنسر، ، المرجع السابق، ص 95

والعطور الأخرى وبعددها يصبغن حواجبهن ثم يلبسن ثيابهن التي تكون قد علقت من البداية في معالق تحتوي على أريج عود (اَلْقْمَارْ) المشتعل وتنتظرهن في غرفة الملابس بعصير الليمون أو البرتقال(الشربات) ولكن أيضا بالفاكهة و الجوز والحلويات أخرى تشمل الحلوة المفضلة لدى الترك حلوة الحلقوم (Lukum)، ونوع من حلوة أصابع العروس كما تقوم المؤسسة أيضا بتهيئة جو موسيقي وتحضير فتيات للرقص، وفي هذا الجو البهيج تقضي السيدات الجزائريات يوما من أيام الأسبوع.»(1)، وحسب "وليام شالر" فإن الحمامات العمومية في مدينة الجزائر تشبه حمامات مدينة قسنطينة، وحمامات القاهرة وغيرها من مدن الشرق وهي كثيرة في الجزائر ويحتفظ بها بعناية والإقبال عليها من الجمهور كبير.(2)

كما أعجب الأجانب بالمقاهي في الجزائر العثمانية وبالعادات الممارسة فيها، فكانت المقاهي أحد أهم الأماكن التي يسهل فيها الاحتكاك بالمجتمع وبالتالي التواصل والتعرف عليه، وهو الأمر الذي كان يشكل الشغل الشاغل للأجانب المتواجدين في الجزائر، حتى الرحالة الأوربيين أصبحوا ينصحون المسافرين للجزائر بزيارة المقاهي العربية، والتي أعتبرت مكان يلتقي فيه المعارف لشرب القهوة والتمتع بنغمات الموسيقى الأندلسية وعرض مسرحي لعرائس القرقوز في كثير من الأحيان، وبالتالي الترفيه عن النفس وحد السّأم ... كان يَرْتَادُ على المقاهي، الحضر والأتراك و العناصر الزنجية والعناصر البرانية حتى سكان الفحوص من أهل الريف ...، فكانت تُقدم القهوة للزوار من طرف " القهواجي" في فناجين مزخرفة فوق صحون من الصفيح، ويوضع فيها مسحوق من السكر، وعادة ما كان الفرد الجزائري يذقن شرب القهوة...(3). **(انظر الملحق ص171،172)**

كما تحدث "كارل رفتيليوس" (Carle Réftileuse) وهو أول سكرتير قنصلية السويد أنشأت بمدينة الجزائر سنة 1730م بعد توقيع معاهدة السلام والتجارة والصداقة عام 1729م بين السويد والجزائر، تحدث عن عادة إرتياد المقاهي في مجتمع الجزائر العثمانية كما وصف عادات أخرى في كتابه. فقال : «أما المقاهي في الجزائر فهي موجودة بكثرة تزيد عن اللزوم ولكن من النادر وجود مقهى نظيفا يستهوي الزائر للجلوس فيه بإنبساط وسرور، هذا لا يمنع من أن هذه المقاهي تكون دائما مكتظة بالرّواد الذين يقضون فيها قسم من النهار، البن الذي يستخرج منه القهوة يستورد من ولاية اليمن التي تبعد عن الجزائر

1- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس... المرجع السابق ،ص96

2 - وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المصدر السابق ص 99

3- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان...، المرجع السابق، ص.ص 112- 114

بثمانية أيام سفر، يطبخ في الجزائر بكثرة، والذي بدأ ينتشر الآن في أوربا كما » وصف مملكة مدينة الجزائر وصفًا تاريخيا ما بين (1516م-1732م) (1)

7- عادات وتقاليد ذات طابع اقتصادي : حسب "فاغنير" فإن أسواق مدينة الجزائر مقارنة بأسواق القسطنطينية كانت فقيرة، وهي عبارة عن دور تشبه دور العربية، مع فارق واحد وهو أن جانبي الفِنَاءَ يحتويان على حُجّرات الواحدة منفصلة عن الأخرى، ولكل سوق طابقان أو ثلاثة طوابق، وغرف كثيرة ...، والعادة المتبعة مند القديم هي أن كل من الجزائري أوالأجنبي أو اليهودي يكتري في السوق محلا أو عدة محلات بمجرّد حصوله على رخصة بذلك، ويعرض في أبوابها بضاعته...، أما دكاكين التجارمن الأهالي فهي تقع خارج هذه الأسواق، إنها صغيرة تافهة، فليس فيها تنوع في البضائع، ولا تلفت الأنظار إلا بشكلها الغريب، هذه الدكاكين عبارة عن ثقوب مربعة، تغلق في الليل ...، لا نستثني منها إلا الدكاكين الموجودة في شارع الديوان، لأن بضاعتها متنوعة ومنظمة بصورة تدل على ذوق أصحابها، وهم في الغالب من الكراغلة، كما أن بضاعتها على العموم من المصنوعات المطرزة بالذهب مثل المحافظ وأدوات الزينة الخاصة بالأسلحة، والعطور والمصنوعات القطنية المحلية، وأكياس الصيد، وغيرها(2)، ومن بين العادات والأنشطة الاقتصادية التي عرفها الجزائريون نجد عادة الصيد وتربية الخيول والنّحل، وقد أعجب بها الأجانب، "ديماس" (Daumas) يتحدث عن حب الجزائريين للصيد وأنهم يحرصون على تربية أبنائهم على هاته العادة لتحقيق مآرب دينية ودنيوية، ففي الجانب الديني هو أمر بتعليم الرماية، وتعليم فنون الحرب، وفي الجانب الدنيوي فإن الصيد يروِّح عن النفس(3)، كما إعتنى المجتمع الجزائري بتربية الخيول بل كان حبهم لها شديدا حتى أن "ديماس"قال أن حب الخيل في دم العربي، وأنه لا يفرِّط أبدًا في سلاحه وفرسه(4)، وهذا ما ذهب إليه "حمدان خوجة " في وصفه لسكان السهول وطبائعهم حيث قال: «أنهم يحبون الخيّول حبا شديدا ويجعلونها في مكانة خاصة إلى درجة أنهم يقدمون لها حليب **النّوق***».(5)،

1- المازاري بديرة، حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، ،مجلة الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني منشورات م.و.ب.ع، زغوان، تونس، عدد1221 ،1988 ، ص.ص 100-101

2- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان...، نفس المرجع السابق، ص.ص 110- 112

3- Daumas,(E), Op. Cit, P.P: 56-58

4- Ibid. P.181

5- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص38

* النُّوقْ : جمع ناقة وهي أنثى الجمل، حيث يعتبر حليبها أجود وأفيد حليب لصحة الإنسان ،طالع فهد بن عبد الرحمان سويدان ، من فوائد حليب الإبل، مقال في الموقع الإلكتروني www.alriyadh.com بتاريخ 2014/09/08

وصف "وليم ليثجو" ولع الجزائريين بتربية الخيول العربية فقال « ورجال هذه البلاد من أحسن الرماة بالسهام، وأحسن الفرسان بإفريقيا، وهم مولعون بتربية خيولهم العربية، وتجدهم سراعا وشجعانا في كل ما يقومون به، ويتصفون بالإقدام والمثابرة على العمل »(1). إعتنى الجزائريون بتربية النّحل وزراعة النّخيل، هذا ما أكده "شلوصر"بقوله:« يهتم القبائلي كثيرا بتربية النّحل، وإذا شاهد القبائلي مَجْمَعْ كافٍ من النّحل، فإنه يكسر البيت ويأخذ العسل والشمع ويبيعها في المدينة. »(2) كما عرفت الصحراء زراعة النّخيل، وطرقا في إستغلالها وظهورها واسعا، يضيف "شلوصر"« وتُوضع التمور بمجرد أن تنضج وتجمع ثم تعرض في الشمس لتجفف... أو تدك في جلود المعز، وتوضع فوقها حجارة ثقيلة ثم تباع.» (3)

8- عادات أخرى في حياة اليومية للجزائريين: تختلف بعض العادات والتقاليد والممارسات اليومية والتي وصفها الأجانب من خلال كتاباتهم حول المجتمع الجزائر العثمانية. يتحدث "سبنسر" عن عادة التوسط بين أفراد المجتمع في مختلف القضايا من زواج والسعي للصلح بين المتخاصمين وتقريب العائلات،(4)، كما تحدث "ذي تاسي" عن بعض أزياء الجزائريين فقال:« ويحتفظ بعض الأتراك والجزائريون الشباب بحزمة من الشعر الطويل في مؤخرة رؤوسهم ، كما تعلق المرأة الثرية بأذانها حلقات قد تتضاعف دوراتها...إلى جانب الأَساور والخّواتم المتضاعف حجمها وفقا لما تمتاز به في الثراء...»(5)، كما شهد "هايدو" بعض العادات الحميدة التي عاينها في مجتمع الجزائر العثمانية فقال: « ومن عادتهم أنهم لا يقبلون على لعب الورق أو لعبة **النَّرْدِ*** لقناعتهم بأن ذلك محرم دينيا، فيمضون أوقاتهم في لعب الشطرنج ... ويخاصمون في حياتهم اليومية مستخدمين السكاكين، ولا يتقاتلون فيما عدا بعض الحالات الإستثنائية، فلا يُكِنُ البعض الأخر منهم ضغينة لا رجوع فيها ويشهد على ذلك سهولتهم الكبرى في التصالح بعد أن كان التقاتل والعناق بعد اللكمات...».(6)

1-ميشيل آبار،الجزائر في القرن السابع عشر...، المصدر السابق ص 49

2- فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي...، نفس المصدر السابق، ص 96

3- نفس المصدر السابق، ص 102

4- وليم سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... ،نفس المرجع السابق، ص 103

-5De Tassy, (L), Op. Cit. P 82

* النَّرْدِ: شيءٌ يلعب به ؛ لفظ فارسي معرَّب وليس بِعَربي، : عن أبي موسى الأشعري، أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم - قال:« مَنْ لَعِبَ بِٱلنَّرْدِ فَقَدْ عَصَى ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ» رقم7/2967، أنظرالإمام مالك ، الموطأ، دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت، 2005 ، ص 629

6 - Haedo, (F .D.E), Op. Cit. P.P 201-215

أما "فنتور ذي باردي"(Venture de Paradis) يسرد لنا بعض العادات الليلية في مدينة الجزائر حيث يقول:« كانت الشرطة المعتمدة بالجزائر العاصمة تمنع خروج الأهالي بعد ساعة ونصف من غروب الشمس، وهي الفترة المسماة بصلاة العشاء...، وكل من يصادف ليلا بعد هذه الساعة يقبض عليه، ما عدا أولئك الذين يحملون فانوسا كالأطباء والجراحين وبعض من أهالي المدينة المعروفين...،أو أوروبيين فلهم الحرية المطلقة في التجوال ليلا، مزودين بفانوس يستغلونه للقاءات والتجمعات وحدهم...، كما ترفع على رؤوس صوامع المساجد نصب على رأسها علم أبيض صغير...، وينزل العلم بعد الأذان، ليرفع من جديد منتصف النهار، و يرفع علم أخضر يوم الجمعة، وتلك عادة معهودة بالجزائر على الساعة الواحدة والنصف زوالا، كما تقرع العصي في بيت الداي إدانا بدعوة الأوربيين للحضور من أجل إبرام أية صفقات معهم ...»**(1)**

أما الأب "دان" ينقل لنا ظاهرة إنتشار الخرافات وخلطها بالدين، والتي عابها على شعوب شمال إفريقيا، بالرغم من مدحهم في مواضيع أخرى إذ يقول:«ولعل أسوء ما لاحظته لدى شعوب البربرية هو ذلك الإعتقاد بالخرافات والشعوذة التي تغمرعقولهم، والتي إبتدعوها، فإعتبارها ضمن أحكام الشريعة الإسلامية، وهي معتقدات تعتمد على كثير من التصرفات الشاذة و الزندّقة والكفر لدرجة إحساسهم بالسعادة والتضحية بأرواحهم من أجلها ، تلك خصائص تُميّز مدنًا بمملكة الجزائر، تونس ، سلا وطرابلس، والتي تعد من أبرز مناطق بلاد البربر إلى جانب مملكتي المغرب وفاس»**(2)**

أما "تيدنا" فهو يتحدث عن عادة الجلوس في الطرقات والسّمر على حوافها فيقول: «لقد كان يسعدني كثيرا أن أكون وسط حلقات وتجمعات من الناس، فيها أنهم لا يعرفون إستعمال الكراسي، فإنهم يجلسون حيثما تلاقوا على جنب الطرقات، هنا يتسامرون ...وهم يدخنون غليونهمو يمررونه من أحدهم إلى الآخر ولا حديث لهم إلاحول خيولهم.»**(3)**

تحدث "كارل رفتيليوس"(Carle Réftileuse) عن ظاهرتي الحانات والفنادق التي عرفها مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، وسجل بعض الملاحظات التالية :

1- تُجّيزالحكومة إقامة المخمرات العامة لكن خارج أسوار المدينة، ويتمتع بهذا الإمتياز أسرى القرصنة الأوربيين (العبيد).

1-Venture de Paradis, (J.M), Tunis et Alger au XVIII Emme siècle, bib, Arobe Sandbad Paris, 1983 ; p.p. 43- 53

2-Dan (P), Histoire de la barbarie et ses corsaires, récollet imp. Du Roy, 2Emme édit, Paris, 1937, P

3-أحميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة... المرجع السابق، ص 92

2- المخمرات غالبا ما تكون في محلات بسيطة جدا شبيهة بالمغارات أو مخازن بسيطة وتختلف الخمارات في الكبر و الصغر حسب حاجيات الإستعمال التي يقدرها صاحبها، وتشترك الحانات كلها في عدم النظافة ، كما تحتوي على أَسِرَةُ ومناضد للنزلاء المعوزين .

3- المخمرات في الجزائر نادرة نسبيا لأن الناس في كل مكان يشربون الماء عادة ولا يعرفون شيئا عن عصير الشعير أو عصير العنب(1)

4- الفنادق العصرية لا وجود لها في مدينة الجزائر، والمسافرون يستعملون في تنقلهم الحمار أو الخيل، كما يمتط الجزائريون ركوب السفن للوصول إلى الأماكن التي يمكن وصولها عن طريق المياه.

5- المسافرون الى الجزائريون يقيمون عند أقاربهم أو أصدقائهم الأوربيين أو ينزّلون في قنصليات بلدهم أين يقيمون ويقدم لهم الأكل، أما الأوربيين الذين لا مكان لهم في القنصليات، يقيمون عند اليهود يؤجرون لهم غرفا مفروشة في ديارهم ويتحملون كل المسؤولية إذا تعرض نزلاؤهم إلى مكروه، وهنا تجدر الملاحظة أنه يجوز لأي شخص سواء كان أجنبيا أو من الأهالي من صعوبة أن يستأجر دارا بأكملها إلا إذا سجل رغبته عند إدارة الداي

6- أما المسافرون المعوزين الذين لا أقارب لهم و لا أهل، فإنهم مجبورون على الإقامة في الحانات. أما في بقية أغلب مدن وقرى الجزائر فتوجد عادة دور الضيافة تسمى "خان" شّيدت خصيصا لإيواء الفقراء والغرباء الوافدين على البلدة، ويشرف على الدار مدير يسمى "محرك"، وهو الذي بعد إذن حاكم المنطقة يستقبل الوافدين ويقدم لهم الخدمات، وإقامة الضيوف في هذا الدورلا يجوزأن تتعدى ليلة واحدة(2)

وعليه إذا تمعنا في عادات مدينة الجزائر و أحوزها كانت في الغالب موحدة تقوم على توجيهات أصحاب الطرق الصوفية، ومتأثرة بما كان يجري في الأندلس أو حواضر المشرق الإسلامي، وما جلبه الأتراك العثمانيين معهم من عادات وتقاليد، كما لاحظنا من خلال هذا

1- يرجع قلة وجود الحانات (المخمرات) بمدينة الجزائر الى تحريم الخمر شرعا وليس كما ذكره "كارل رفتيليوس"سببه عدم معرفة الأهالي بخبايا عصير الشعير والعنب، والدليل إسناد المخمرات للعبيد (الأجانب الأسرى) فقط.

2- المازاري بديرة، حياة اللهو وخدمات الخمارات... المرجع السابق ص.ص 98-102

البحث أن معظم الكتابات حول العادات والتقاليد إستقيناها من كُتَابٌ، مؤرخين، رحالة أجانب، قناصل أو من مذكرات الأسرى الأوربيين، بالرغم من محاولتنا البحث عن مصادر لِكُتَابٍ محليين حول موضوع العادات والتقاليد فلم نجد سوى بعض الومضات في كتاب "المرآة" لحمدان خوجة أو كتاب "مذكرات" لأحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف.

إن هذه المادة المعرفية الأجنبية الغزيرة تستحق الإهتمام والدراسة والتمحيص فيها، قبل أن نقدم عليها حُكما حتى ولو كتبت بخلفية سياسية أو دينية فإنها تحمل في طياتها بعض الحقائق القيمة تاريخيا.

لا شك أن العثمانيين أثروا في الحياة الإجتماعية والإقتصادية للجزائريين، ولقد لمسنا هذا التأثير من خلال الكتابات الأجنبية الذين وصفوا محاولات العثمانيين ربط مجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي من خلال العادات والتقاليد التي جلبوها معهم في المأكل والملبس والألقاب، كما أدخل العثمانيون المذهب الحنفي، وجلبوا معهم بعض الطرق الصوفية لم تكن معروفة أو منتشرة بين السكان، كما أثّر العثمانيون في العمارة كالمساجد والأضرحة والمنشآت العسكرية كالحصون والأبراج.

لا يمكن أن نستثني من حيث التأثير في الحياة العامة اليومية الجالية الأوربية الممثلة في اليهود والمسيحيين وإن كانت بنسبة لا ترقى من حيث الفاعلية والدرجة تأثير العثمانيين والأندلسيين. فحالة الحرب أيضا التي شاهدتها السواحل الجزائرية جلبت معها نشاطا أوروبيا بحريا وتجاريا وخاصة المدن الكبرى كالمحروسة (مدينة الجزائر).رغم سلبياتها إلا أنها عامل تأثير وتأثر قوي، ووسيلة إتصال وتعارف.

وبالرغم مجموع المؤثرات الخارجية بقيت الجزائر بأهلها محافظة على عادتها وتقاليدها وقيمها الخاصة العربية الأمازيغية، حيث لعب فيه الدين واللغة دورا أساسيا في تشكيل ملامح مجتمع موحد بقواسم المشتركة .

كما لا حظنا أن معظم الدراسات ركزت على مدينة الجزائر ليس فقط في العادات و التقاليد ولكن تجاوزت إلى مجالات أخرى سياسية، إقتصادية و إجتماعية.

الفصـــل الرابع

أهم المؤسسات الثقافية وتأثيرها الحضاري بالجزاير العثمانية

1- مؤسسات الأوقاف ودورها بالجزائر العثمانية

1-1 مؤسسة الحرمين الشريفين
1-2 مؤسسة أوقاف جامع الأعظم
1-3 مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية
1-4 أوقاف مؤسسة بيت المال
1-5 مؤسسة أوقاف الأندلسيين
1-6 مؤسسة أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف
1-7 أوقاف المرافق العامة
1-8 أوقاف مؤسسة الأوجاق

2- المســاجد (مساجد الجزائر ووهران نموذجا)

2-1 الجامع الكبير بالعاصمة
2-2 مسجد جامع الجديد
2-3 مسجد علي بتشين
2-4 جامع الباي
2-5 جامع محمد بن عثمان الكبير
2-6 جامع الباي (محمد الكبير باشا)

3- الزوايــا الرباطــات

3-1 الزوايا الخلواتية
3-2 الزوايا الغير خلواتية
3-3 أهم الزوايا بالجزائر
3-4 الزوايا بالجزائر (السلبيات والإيجابيات)
3-5 أهم الرباطات ودورها الثقافي

4- المراكز التعليمية

4-1 الكتـاتــب
4-2 المــدارس والمعـاهد

5- المكتبـات

لقد تعددت المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني بالجزائر وإختلفت مشاربها وأدوارها حسب إخصاص كل واحدة منها لكن بمجملها أعطتنا تلك الصورة البارزة لما عرفه النشاط الثقافي بالجزائر ومن أجل توضيح هذا المحور عرجنا ولو بصفة مختصرة على مؤسسات الأوقاف والمساجد، وبيّنا دورالزوايا والرِباط، وأهم المعاهد والمدارس المنتشرة خلال الوجود العثماني، مختتمين بوضعية المكتبات آنذاك.

1- أهم مؤسسات الأوقاف ودورها الثقافي بالجزائر العثمانية

إن البناء المؤسساتي للأوقاف لم يكن بالأمرالسهل، فتسيّير أوقاف وإدارة الأحباس بالجزائر العثمانية متعلق بدءا ببناء المساجد وحبس لها عقارات لتأمين خدماتها وخدمة العلم والدراسة، فضلا عما يتعلق بصيانتها. زيادة الإنفاق على الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل، بالإضافة الى أموال توسعها ليشمل الأراضي والبساتين والمحلات وشتى الأملاك، وتمتين في نفس الوقت شبكة التضامن والتكافل الإجتماعي**(1)**.

ولا يخفى علينا أن الجزائر العثمانية عرفت مذهبين في الفقه الإسلامي المذهب الحنفي والمذهب المالكي، ورغم ذلك عرفا التعايش بينهما، وحتى أن أكثر سكان الجزائر المالكية وضعوا وقفهم حسب المذهب الحنفي نظرا لما يُتيحه هذا المذهب من مرونة وديناميكية**(2)**.

وعليه سنذكر أهم المؤسسات الوقفية التي لعبت دورًا في تسيير وتنظيم العلم والعمل الوقفي بالجزائر العثمانية

1-1 مؤسسة الحرمين الشريفين: يذكر محمد البشير المغلي أنه « من حيث نشأتها تعد أقدم المؤسسات الوقفية فهي تعود إلى ما قبل العهد العثماني، وتؤول أموال أوقافها إلى فقراء مكة والمدينة، فتوجه تارة بالبر مع قافلة الحجاج، وتارة بحرا إلى الوكالة الجزائرية بالإسكندرية في سفن إسلامية أونصرانية، ومنها إلى الحرمين الشريفين»**(3)**،أما "سعيدوني" يقول :« وقد حظيت مؤسسة الحرمين بأغلبية الأوقاف في مدينة الجزائر، حيث إستمدت أهميتها من المكانة السامية التي كانت تحتلها الأماكن المقدسة في نفوس الجزائريين ، الذين أوقفوا عليها كثيرا من ممتلكاتهم، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها أو الأعمال الخيرية التي تقوم بها ، فهي تقدم الإعانات لأهالي

1- محمد البشير الهاشمي مغلي، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث من الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، عدد 6، 2002، ص161.

2-فارس مسدور وكمال منصوري، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف (التاريخ والحاضر والمستقبل) مجلة أوقاف ، العدد 5 ، الجزائر، نوفمبر ، 2008 ، ص4

3- محمد البشير الهاشمي المغلي، نفس المرجع السابق ص 163

الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها، وتتكفل بإرسال حصة من مداخلها إلى فقراء الحرمين الشريفين بمكة الكرمة في مطلع كل سنتين، وكذلك كان يوكل إليها حفظ الأمانات والإنفاق على ثلاثة من مساجد مدينة الجزائر، حيث كانت تشرف على حوالي ثلاثة أرباع الأوقاف كلها، وهذا ما تثبته بعض التقارير الفرنسية التي تعود إلى السنوات الأولى للإحتلال، حيث تؤكد بأن أوقاف مؤسسة الحرمين كانت تستحوذ على الشطر الأكبر من الأوقاف خارج مدينة الجزائر، فمن هذه التقارير ما أورده "Genty de Bussy" من أن أوقاف الحرمين كانت تقدر بـ 1373 مِلكا منها 70ضيعة يشرف عليها مباشرة وكلاء الحرمين.»(1) ويضيف "مسدور ومنصوري" « أما قنصل فرنسا Valiard فقد ذكر أن كل بيوت الجزائر وما يحيط بها من أراضي فتعود لأحباس الحرمين » ولكن أظن أن الأمر مبالغ فيه للغاية .(2).

2-1 مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم: تحتل المرتبة الثانية من حيث عددها ووفرة مردودها، ويعود ذلك الى الدور الذي يلعبه الجامع العظم بمدينة الجزائر، والذي كان يشمل على 550 وقفا منها المنازل والحوانيت والضيعات ، كما يعتبر المفتي المالكي هو المسؤول الأول في التصرف، على أوقاف المسجد، يختار وكيلا عام يساعده في المهمة، وبدور هذا الوكيل يعين وكيلان إثنين للمساعدة (3)، أما ما يخص تصريف عوائد أوقاف الجامع الأعظم كانت على الأئمة، المدرسين، المؤذنين والمقيمين، بالإضافة أعمال الصيانة وسير الخدمات(4).

3-1 مؤسسة أوقاف سبل الخيرات الحنفية: يذكر كل من "مسدور ومنصوري"حول مهمة أوقاف سيبل الخيرات: « إن هذه المؤسسة الوقفية ذات الطابع الخيري كانت خاصة بالأحناف أسسها شعبان خوجة سنة 999هـ/1590م، إتجه نشاطها إلى المشاريع الخيرية العامة كإصلاح الطرقات ومد قنوات الري وإعانة المنكوبين،وذوي العاهات وتشييد المساجد والمعاهد العلمية وشراء الكتب ووقفها على طلبة العلم وأهله، وكانت مكلفة بإدارة وصيانة أملاك ثمانية مساجد حنفية أهمها " الجامع الجديد "، كما كانت تسير أوقاف سبل الخيرات إدارة منظمة تضم أحد عشر عضوا بينهم ثمان مستشارين منتخبين ، وناظر أو وكيل أوقاف

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص84. أنظر أيضا pierre Genty de Bussy, De l'établissement des Français dans la régence d'Alger, (1795-1867), ouvrage couronné par l'académie des science, 2eme édit, Paris, 1839, p147

2- فارس مسدور وكمال منصوري، المرجع السابق، ص 5، انظر أيضا مصطفى أحمد بن حموش، الوقف وتنمية المدن من التراث إلى التحديث، ندوة الوقف الإسلامي 6-7 ديسمبر، 1997، العين، جامعة الإمارات العربية ، ص.ص 1-2

3- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر-العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص 150

4- ناصر الدين سعيدوني دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق ، ص 9

المؤسسة وكاتب يُنظم عقود المؤسسة، ويعين الوكيل والكاتب وجميعهم غالبا من بين أهل العلم، ويضاف إليهم شاوش (مستخدم) كان مكلفا بالسهر على أبنية هذه المؤسسة وتسهيل عمل وراحة 08 طلاب - قراء- يقرؤون القرآن بجوار المؤسسة. وأما أملاكها فقد كانت تقدر بثلاثة أرباع الأوقاف العامة، وقد تم إحصاء 92 حانوتا يعود لمؤسسة سبل الخيرات، ثمانية منها كانت مستغلة من قبل اليهود، وهذه إشارة لسماحة الإسلام وعدالته بين مواطنيه، وغلتها السنوية الإجمالية قدرت بنحو 4455 ريالا، يضاف إلى ذلك أنه كان لمؤسسة سبل الخيرات أربع مخازن ملحقة بالفنادق غلتها السنوية 156 ريال إظافة إلى حمامين غلتها السنوية 165 ريال.»(1)

4-1 أوقاف مؤسسة بيت المال: كما يضيف سعيدوني من خلال دراسته للملكية العقارية حيث يقول عن مؤسسة بيت المال: «تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر التي تدعمت في العهد العثماني وأصبحت تتولى إعانة أبناء السبيل ويتامى والفقراء والأسرى، وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة، كما تهتم بشؤون الخراج وشراء العتاد، وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة، كما كانت تهتم بالأملاك الشاغرة، وتتولى تصفية التّركات وتحافظ على ثروات الغائبين وأملاكهم، كما تقوم ببعض الأعمال الخيرية مثل دفن الموتى الفقراء وأبناء السبيل ومنح الصدقات للمحتاجين.

وكان يشرف على هذه الهيئة الخيرية موظف سام يعرف ببيت المالجي يساعده قاضي يلقب بالوكيل، ويتولى شؤون التسجيل فيها مُوثقان يُعرفان بِالعدول، ونظرا لأهمية هذه المؤسسة فإن المشرف عليها يتمتع بصلاحيات متزايدة و الإستقلال في إدارة شؤون بيت المال.» (2)

5-1 مؤسسة أوقاف الأندلسيين:«قامت هذه المؤسسة الوقفية بعد محنة الأندلسيين الذين نزحوا إلى المغرب العربي وإستقروا في المدن الساحلية وساهموا في الحرب ضد الإسبان، وترجع أولى عقود هذه المؤسسة حسب المؤرخ الفرنسي" ديفوكس" (Devoulx) إلى سنة 980هـ/1572م. فقد كان أغنياء الجالية الأندلسية يوقفون الأملاك على إخوانهم اللاجئين الفارين من جحيم الأندلس. وقد تعززت مؤسسة أوقاف الأندلسيين بعدها بتأسيس مركب ثقافي وتعليمي وديني الأندلسسين.(3).»

يضيف محمد البشير المغلي قائلا:«ثم تكاثرت مشاريعهم الخيرية حتى بلغت بالفرنك الذهبي 408.072 في عام1837. » (4)

1- فارس مسدور وكمال منصوري، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف... المرجع السابق، ص 5

2- ناصر الدين سعيدوني دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق ، ص 95

3- فارس مسدور وكمال منصوري، المرجع السابق، ص 6

4- محمد البشير مغلي، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري... المرجع السابق ص 164

1-6 أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف: كما يبين مصطفى بن حبوش أوقاف الزوايا والأولياء حيث يذكر ما يلي:« تعود أحباس هذه المؤسسات المستقلة عن بعضها إلى أضرحة الأولياء الصالحين والأشراف والمدارس التي أسسوها في حياتهم، وتتمثل مهمة هذه الأحباس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة التعليمية أو الدينية، و كانت فوائدها تعود إلى فقراء الأشراف وأوقاف بيت المال ، وقد كانت كثيرة في مختلف المدن وخاصة منها مدينة الجزائر، فكانت تقدم لها الهدايا والهبات وتحبس عليها الأملاك، فتكونت بذلك لكل منها ملكية. وأشهر هذه المؤسسات تلك التي ترجع إلى ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي والتي بلغت أحبساها 72 عقارا، وقدرت مداخلها بحوالي 6.000 فرنك فرنسي عام 1937.»(1)

1-7 أوقاف المرافق العامة : وتشمل كل من الطرق والعيون والسواقي، كما يذكر "مسدور ومنصوري " ويضيفا قائلا: « ويصر كثير من المؤرخين على تسميتها بالمؤسسة غير الدينية نظرا لدورها التقني في مدينة الجزائر غير أن نشأتها كانت بدوافع دينية والرغبة في الثواب الجزيل بإرواء عابري السبيل ورعايتهم »(2).

أما سعيدوني فيقول:« وقد جرى العرف على ذلك حتى سميت العيون الموجودة في الأماكن العامة بـ" السبيل". ولا يزال هذا المصطلح يستعمل حتى اليوم للدلالة على المنافع العامة .

وقد أوقفت عدة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المرافق العامة كالطرقات والحنايا والسواقي والأقنية، وكل هذه المرافق كانت تحظى بالعديد من الأوقاف ويقوم عليها وكلاء وَشَوَاشْ يعرفون بأمناء الطرق والعيون والسواقي ». (3)

1-8 مؤسسة الأوجاق: وتشمل أوقاف الجّند والثكنات كما عبرعنه"مسدور ومنصوري" حيث قالا: « لقد كان لكل من الثكنات السبع الموجودة في المدينة أوقافها الخاصة بها التي ترجع مداخلها إلى العسكر المقيم في غرفها التي كانت تأوي ما بين 200 و300 رجل للغرف الصغيرة وما بين 400 و600 للغرف الكبيرة. ويعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية، حيث إرتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يحوزه الواقف، ولكن الجند يحصلون على أجورهم من الباشا فقد كانت مداخيل الأوقاف تصرف في أشياء ترفيهية مثل الهدايا التي يقدمها وكيل الوقف لجنود الغرف الوقفية، هؤلاء الوكلاء يتم تعيينهم من قبل مقيمي الغرف ودون تدخل السلطات المحلية مما يوحي بديمقراطية القرار في المؤسسة الوقفية للأوجاق وإستقلاليتها عن السلطة المحلية »(4)

1- فارس مسدور وكمال منصوري، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف... المرجع السابق، ص6

2- نفسه ، ص 6

3- ناصر الدين سعيدوني دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق ، ص 100

4- فارس مسدور وكمال منصوري، المرجع السابق، ص7

2- المساجد : يقول الله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ **(1).**

حيث يذكر "أشرف صالح" الأهمية الدينية والعلمية لمساجد مدينة الجزائر قائلا: « تعد المساجد من المظاهر، والمنشآت المعمارية التي لا يمكن أن تخلوا أي مدينة من المدن الإسلامية منها، فهي تعتبر روح، وجوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة، فالمساجد كانت من أبرز ميزات مدينة الجزائرالتي تجلت فيها معالم الحضارة الإسلامية، والتأثيرات العثمانية .وكان لهذه المساجد دورًا كبيرًا في حياة المجتمع، فكانت تقام بها الصلاة، وإلقاء حلقات الدروس اليومية، ومحطة لفنون العلوم التي كانت معروفة آنذاك، بحيث كانت بعض الجوامع والمساجد تابعة لزوايا معينة، وبعض الزوايا تابعة لجوامع ومساجد معينة، والتداخل ليس في الاسم فقط، بل في الوظيفة أيضًا، بالإضافة إلى أن المساجد كانت للعبادة والتعليم، فالجامع إصطلاحًا أكبر حجمًا من المسجد .فهو الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة أو العيدين، وكثيرًا ما كان يسمى جامع الخطبة، وبعض هذه الجوامع كانت تسمى بالجامع الكبير أو الأعظم، ثم أن الجوامع والمساجد في الغالب غير منسوبة إلى الأولياء، بل هي منسوبة إلى مؤسسيها من السياسيين والتجار والعسكريين ونحوهم. وقد ذكرها "هيدو" في أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي أنه كان يوجد في المدينة على الأقل 100 مسجد كبير، أو صغير لكل منها أئمة لإدارتها وإلقاء الخطب، وبنيت تلك المساجد من طرف العثمانيين بما فيهم الأعلاج، وكذا بعض سكان مدينة الجزائر الخيرين من الميسورين .
وذكر" درافيو "في القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي أن الأتراك كانوا قد أسسوا عددًا كبيرًا من المساجد جميلة جدًا مع مآذن رائعة جدًا، وكانت هذه المساجد تتمتع بمداخيل أقل ما يقال عنها أنها جيدة، ومصدرها الأوقاف الموقوفة عليها، وكانت المساجد تحتوي كذلك على المحراب والمنبر والصومعة وقناديل لإضاءة والماء للوضوء، ومن أهم ما كان يلحق بالمساجد الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وكانت تحتوي المساجد على موظفين منهم الوكيل والخطيب والإمام، والمدرس والمؤذن.» **(2)** ومن أهم المساجد التي كان لها أهمية كبيرة بمدينة الجزائر :

1- القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 18

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1،المصدر السابق، ص.ص 245-259 ، أنظر أيضا أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي ، مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الرابع ، العدد 8، 2013 ، ص 64

1-2 الجامع الكبير: كما يسمى أيضا الجامع الأعظم وقد شُيد في عام 490هـ/1090م من طرف "يوسف بن تاشفين"، كما يعد أقدم وأهم المباني في مدينة الجزائر، تداول عليه أئمة، ومدرسون من درجات متفاوتة (1) ويذكر "عبد الرحمان الجيلالي" بخصوص أهمية هذا المسجد حيث يقول: « وقد كانت كل المساجد مرتبطة بالجامع الكبير فيما يتعلق بالإعلان أو الدعوة إلى الصلاة، فما دام لم ينطلق الآذان منه، ولم يرفع العلم لإعلام المصلين البعيدين والذين قد لا يصلهم صوت الأذان، فإن المساجد الأخرى لا تبادر إلى الإعلان عن دخول وقت الصلاة. و يرجع السبب في هذا الإمتياز الذي كان يتمتع به الجامع الكبير هو تواجد مزولة على سطحه(ساعة شمسية من رخام أبيض) كانت تعرف بها الأوقات الزمنية، حيث كان يعول عليه لضبط أوقات الصلاة الشرعية، إلى جانب وجود نبراس فخم جميل كان موضوعًا في مكان جميل بسطح المئذنة، والذي كان يستعمل للإعلام بدخول وقت الصلاة الليلية، ولاسيما في ليالي رمضان، حتى يراه مؤذنين بقية مساجد العاصمة من أعلى الصوامع، فيسرعوا في الأذان. » (2) ، ولا شك أن مهمة المسجد الأعظم لا تكمن في الصلاة فقط بل تجاوزته الى المعرفة والعلم،« فقد إهتم سكان الجزائر بالعلم والكتب، وهذا دليلاً على إحتوى الجامع على مكتبة ضمت كتب دينية قيمة، كما كان يُعرف المكان الذي تعقد فيه جلسات القضاء الأعلى بالمجلس العلمي أو المجلس الشرعي، وكانت ترفع إليه القضايا المستعصية.» (3) أما "عبد القادر نور الدين" يبين دور المسجد حتى مع أهل الذمة فيقول : «وما تجدر الإشارة إليه؛ أن جلسات هذا المجلس كانت تعقد داخل المسجد الأعظم إذا كان الخصوم من المسلمين، أما إذا كانوا من اليهود أو النصارى فإن أعضاء المجلس يخرجون إلى صحن بجانب الجامع وهناك كانت تتم الجلسة.» (4)

كما يذكر عبد الجليل التميمي أيضا أن أحباس هذا المسجد من أطياف مختلفة (مالكيين وأحناف حكام و أغنياء) حيث يقول : « وكانت أوقاف، وحبوس الجامع الأعظم يشترك في تحبسها المالكيين والأحناف على حد سواء، بل ووجد منها حتى الحكام، وأصحاب المناصب العليا من العثمانيين، والمتمثلة في بيان العقود و الأملاك و الأحباس على المسجد الأعظم،

1- سيد أحمد باياني ، الجزائر ، (من سلسلة الفن والثقافة)، وزارة الإعلام والثقافة ، ش.و.ت.ن، الجزائر، 1974، ص 35

2- عبد الرحمان الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريًا وتاريخيًا -.مجلة الأصالة، العدد 8 ، الجزائر،1982، ص 126

3- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، ط1، الجزائر، دار الحكمة، 2000، ص28

4- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ط2، قسنطينة، مطبعة البعث، 1965،ص 152

فنجد على سبيل المثال: نسخة الدار الكائنة قرب باب الواد أحبسها للجامع " محمد الدولاتلى باشا "بتاريخ 1668م» (1)، وهذا ما يدل على أن للجامع الأعظم أهمية دينية ودنيوية كبيرة في حياة الأفراد لمدينة الجزائر.

2-2 مسجد الجامع الجديد: يعتبره المؤرخون ثاني مسجد هام في الجزائر لموقعه الممتاز المطل على البحر المتوسط وقربه الى مراسي الميناء حيث يقول: "أشرف صالح" « هو مسجد له منارة عالية ترى عن بعد من البحر، وله محراب مغطى بالفسيفساء، وكان ناصع البياض فخم المنظر وله قباب عديدة، ورشيقة رشاقة فائقة وهي من القباب المدورة وكانت قاعدته على رمال شاطئ البحر .وكان هذا المسجد تابع للمذهب الحنفي، وعرف أيضًا بمسجد الصيادة، وشيد سنة 1070هـ / 1660م فوق مدرسة أبوعنان، وبني على رغبة وإرادة الإنكشارية ويعد هذا المسجد بناءً فريدًا لتصميمه وأصل تأسيسه، وطرافته تكمن في الطابع الجماعي، لإنشائه، الذي لم يتم بأمر صادر عن بعض الشخصيات البارزة .وقد بُني بأموال سبل الخيرات، وهي مؤسسة حنفية مكلفة بجمع الهدايا والهبات المقدمة لصالح الحنفيين .أما تصميم المسجد فيبدو أنه مستوحى من الفن البيزنطي، وهناك نقش يذكر اسم الحاج الحبيب مدير الأشغال وهو رجل مسلم ، قد يكون تركيا.

القبة المركزية للمسجد ما تزال تمثل إنجازًا رائعًا على ارتفاع أكثر من 24 متر، وهي تذكر بالهندسة القسطنطينية، بعظمتها وجلالها، أما المنبر المخصص للخطبة والمكون من الرخام المأخوذ من مسجد السيدة والساعة الموجودة الآن على المئذنة، كانت مئذنة في قصر الجنينة، وقد تم نقلها وتركيبها على مأذنة الجامع الجديد . أما المصحف المزخرف الذي كان موجودًا بالجامع الجديد، والذي أهداه سلطان القسطنطينية إلى حاكم الجزائر، فيعرض الآن بالمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر».(2) ودليل آخر للتعايش المذهبي بين الأحناف والمالكية يقول "نور الدين عبد القادر" « وكان لهذا المسجد إمام خطيب، وإمام للصلوات، وفقيه للفقه المالكي، ولابد أن نشير هنا إلى أنه رغم إدراج المسجد في إطار مساجد المذهب الحنفي إلا أنه كان يشمل على أستاذ ومدرس للفقه المالكين، وهذا دليل أخر على غياب أي تعصب مذهبي، وشّيخ للفقه الحنفي ومحدثين للأحاديث النبوية، مع رواة.»(3)

(انظر الملحق ص156)

3-2 مسجد علي بتشين :ما زاد في أهمية هذا مسجد أنه بني من طرف العلوج وهذا دليل أنهم يعملون لصالح الإسلام بعد إعتناقهم الإسلام والريس بتشين واحد منهم، حيث يذكر

1- عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية، 1980، ص 57 أنظر أيضا ياسن بودريعة،أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني،رسالة لنيل شهادة الماجستير،غير منشورة، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2006-2007، ص ص 120-121

2- أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان... المرجع السابق، ص.ص 65-66

3- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر... المرجع السابق،ص 110

"عبد القادر نور الدين" أن مؤسس مسجد من رياس البحر المدعو "علي بتشين" خلال القرن الحادي عشر الهجري الموافق السابع عشر الميلادي . وقد قام ببناء هذا المسجد من ماله الخاص، والذي حمل إسمه، وشيد سنة 1032 هـ / 1622 م .وكان يقع في نهج باب الواد (1) ، قاعة الصلاة المسجد ذات شكل مربع وهي لا تؤدي مباشرة إلى الشارع، بنيت فوق الحوانيت نظرًا لعدم إستواء الأرض. أما القبة المركزية الواسعة فهي تشبه طراز المسجد العثماني. وتم تحويله إلى كنيسة سنة 1258هـ/ 1843م خلال عهد الإستعمار الفرنسي. وما يمكن قوله أن العلوج كانوا يعملون لصالح الإسلام والمسلمين من خلال تشييد المؤسسات الدينية، وفي مقدمتها المساجد وتحصين الأوقاف لها، ولاسيما منهم الذين تبوؤا مراكز المسؤولية. (2) سأكتفي بهذه المجموعة من المساجد العاصمة . كما عرفت وهران بمساجدها العثمانية التي لازالت قائمة الى يومنا الحاضر وتؤدي واجبها الديني والتعليمي بعضها في حالة ترميم، وسنذكر أهمها :

4-2 جـــــامع باي: يذكر "يحيى بوعزيز" أن هذا المسجد أسسه محمد بن الكبير عام 1793 في مكان يسمى خنق النطاح بوسط مدينة وهران ، أغلقه الفرنسيين لعشرات السنين ومنعوا رفع الأذان فيه وأحاطوه بعمارات حتى يخفوه ويقلل من شأنه ولم يفتح إلا قبيل إندلاع الثورة التحريرية (3)

5-2 جامع الكبير: ما يطلق عليه مسجد الباشا، أسسه محمد الكبير سنة 1796 بأمر من الداي الجزائر الباشا بابا حسن تخليدا لفتح وهران الأكبر بجوار القصر الأحمر، وحبس له العديد من المتاجر والحمامات، ولقد أوتي بالماء لهذا المسجد من عين جارية كانت قريبة منه. (4)

6-2 جامع محمد بن عثمان الكبير : أسسه الباي عثمان بن محمد الكبير بين عام (1799م- 1800م) بجوار برج القصبة، حوله الفرنسيون عام 1831م إلى مستشفى عسكري، سنوات طويلة حتى إنشاء مستشفى "بوداس" الحالي، وإتخذوا الحمامين اللذان بناهما بجواره بوشلاغم مغسلين للجنود الرماة (5)، وبين "يحيى بوعزيز" الوظيفة الأساسية

1- عبد القادر نور الدين،نفس المرجع السابق، ص 110

2- أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان... نفس المرجع السابق، ص66

المزيد أنظر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، لعبد القادر نور الدين. و حركة التعليم في الجزائر، لمسعود العيد ، مجلة سيرتا، العدد 3، 1980، ص 64

3- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ، د.ب، ن.ت ، طبعة خاصة ، الجزائر، 2009، ص94

5- المرجع السابق، ص 94

6- نفسه ، ص 95

لهذه المساجد حيث يقول: « وظيفتها إقامة الصلاة وتحفيظ القرآن وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية والتعرف على شؤون الناس وعلاج مشاكلهم وقضاياهم اليومية » (1) وقد صنفها من حيث وظيفتها الى:

النوع الأول: أسسها الحكام وكالخلفاء والملوك و الأمراء والولاة كجزء من عملهم الوظيفي، لخدمة المجتمعات الإسلامية وتسيير سبل أداء شعائرهم الدينية ولكسب عطف الرّعية ولربما الشهرة

النوع الثاني: أسسها كبار الأثرياء للتقرب الى الله، وإستمالة بعض الفئات الإجتماعية وشيوخ الدين، ولكسب الشهرة

النوع الثالث: أسسها الهيئات والجمعيات الخيرية الدينية ولاجتماعية كتكملة لعمل الولاة وكبار الأثرياء وشيوخ الدين وعموما ما تنتشر في القرى.(2)

3- الزوايا والرابط : هي الأخرى لم تكن أقل شأنا من المساجد، والدليل على إنتشارها بين الأوساط الشعبية في المدن والأرياف زعماؤها من رجال المتصوفة يجلبون إليهم مريدين حتى تزاد قدسيتهم بين الأهالي.

حيث يذكر "ابن ميمون" : لقد كانت الزوايا والرابطات تحتل الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء، من أبناء الشعب المتعطشين إلى العلم والمعرفة، وقد كانت مقسمة إلى قسمين أثنين كل قسم منهما يقوم بدوره أحسن قيام

القسم الأول :يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، ويؤمه غالبًا الأفراد الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، و إستظهروا بعض السور من آيات الذكر الحكيم

القسم الثاني :فإنه يقوم بتدريس بعض فنون الفِقْهِيَاتْ، وبعض المبادئ في علم الفلك، والعقائد وقواعد النحو والصرف، وفنون اللغو والنطق، وهذا القسم يؤمه غالبًا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف (3)

أما "سعد الله" يقول« وما يميز العهد العثماني بالجزائر إنتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها، ففي المدن والأرياف، وفي الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة، عاش معظم المتصوفة، يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة، فأشتهر أحدهم أنه قام بتأسيس مركزًا يستقبل فيه الزوار و الغرباء و الأتباع ويُعلم فيه الطلبة، وكان الناس يتبرعون لهذا المركز

1- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، د.ب، ن. ت ، ط.خ، الجزائر، 2009، ص10

2- نفس المرجع السابق، ص.ص 10-11

3- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 59

فيكبر و يتضاعف قاصده ومريده، ويصبح أسم المتصوف(المرابط)عَلَمًا على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان، أو رباط، ويَرِثُ الأبناء والأحفاد مكانة وعمل (سيدي فلان)، وتزداد قدسية الزاوية بين أهل الناحية، وبين نواحي أخرى بعيدة» (1)
وقد قسم "يحي بوعزيز" هذه الزوايا إلى نوعان:

3-1 الزوايا الخلواتية : يدعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة، والقدرة على تلقينها للأتباع الدين يلقبوا "المريدين" أو "الإخوان" أو "الفقراء" حسب إختلاف الجهات والمناطق، يفرضون أذكارا معينة في خلوات خاصة معزولة ومظلمة لمدة محدودة... وبعدها يخرجون الى العامة ويتلونها يوميا تدعى" الورد"غالبا ما تكون بعد صلاة العصر أو المغرب، وهذه الظاهرة كما يقول يحي بوعزيز إستوجبت تسمية شيوخ زواياها الخلواتية بمعنى " الطرقيين"، لأنَّ كل واحدة من هذه الزوايا لها طريقتها الخاصة في أشكال الأذكار وأوردة معينة على سبيل المثال "الحضرة" لدى العلوية و"حلقة البند ير والأمواس" لدى العساوية والعمارية.(2)

كما تقوم الزاوية بتعليم الأتباع من الطلبة والتلاميذ في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليمهم العلوم الدينية واللغوية خاصة الفقه والحديث والتوحيد، كان يقوم شيخها بهذه المهمة وفي حالة العكس يوظف من يقوم بها، ويحمل نواب شيخ الزاوية ألقابا منها " المقدم"، "الوكيل"، "الخليفة" حسب إختلاف الجهات.

3-2 الزوايا الغير خلواتية : لا يدعي شيخها معرفة الأسرار ولكن يتخذ أصحابها "وردا" خاصا من الأذكار يتلونها بعد الصلوات، يرتكزون على تحفيظ القرآن، وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية لأتباعهم إذن يمكن إعتبارها كتاتيب قرآنية.

والزوايا بنوعيْها لها مردين حتى خارج الوطن كالتيجانية، السنوسية، العلوية ، الرحمانية في كل من غرب إفريقيا ، واليمن ، ومصر والحجاز وبعض بلدان أوروبا كفرنسا مثلا .(3)

3-3 أهم الزوايا بالجزائر : لكثرة هذه الزوايا وتعددها بالجزائر سنقتصر على أَهَمِهَا من حيث إستقطابها الموردين وإنتشارها:

***الزاوية الرحمانية :** تنسب الى الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر، تحتوي الزاوية على مسجد صغير له منارة أنيقة مربعة الشكل إلى جانب قبة مثمنة الزوايا، وهو الشكل الذي نقله الأتراك إلى الجزائر، أما المحراب فإنه مزين بأجور الخزف المستورد من

1- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ... المرجع السابق، ص.ص 262-263
2- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري... المرجع السابق، ص 16
3 - المرجع السابق، ص 17

أسيا الصغرى وبجانبه سريتان صغيرتان من رخام، وقبر الشيخ العلامة، وعدة بيوت ومرافق، وسكن لوكيل متصلة بالمسجد، كما أن حجرة ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي تحوي عدة قبور دفنت فيه شخصيات تمثل قبر الحاج أحمد باي قسنطينة، وقبر خيضر باشا.(1) وقد شيدت هذه الزاوية حوالي 1107هـ/ 1696 (2)

*زاوية الجامع الكبير: تقع بنهج باب الجزيرة بالقرب من الجامع الكبير مشتملة على مسجد بدون منارة، ومدرسة للصغار، كما كانت تضم طابقين يضمان عددًا من البيوت، مخصصة للعلماء من عابري السبيل، أو الفقراء الذين لا مأوى لهم، كما كانت تشمل على طابق أرضي، حيث كان يوجد الماء الضروري للوضوء والشرب، وعدة محلات لإقامة الذين يعملون بالجامع الأعظم، وقد وقف على بناء هذه الزاوية المفتي المالكي الشيخ سعيد ابن الحاج إبراهيم، مما بقى بيده من دخل حبوس الجامع الكبير بعد أداء جميع المصاريف المتعلقة بهذا الأخير، وقد تم بنائه سنة 1039هـ / 1630

*الزاوية التيجانية : تقع الزاوية حاليا بعين ماضي وتبعد عن مدينة الأغواط ب 75 كلم، يعتمد سكانها على تربية المواشي باعتبارها منطقة رعوية (3) يرجع منشأ الزاوية إلى والد أحمد التجاني "محمد الحبيب" الذي أسس القواعد الأولى للزاوية ، بإعتباره كان مدرسا للقرآن الكريم، أما مركزية الزاوية في المنطقة لا تعني شيئا بالنسبة للمريدين ، لأنها تنتقل بعد وفاة كل خليفة كان يشرف على إدارة حتى بالنسبة للتجانيين، وبالتالي تنتقل المركزية إلى بيت الخليفة الذي ينصب، وفي الغالب ينصب الخليفة حسب القانون المعمول به في البيت التيجاني وهو أكبرهم سنا .فقد نلاحظ أن مركزية الخلافة قد إنتقلت في عهد أحمد التيجاني من" بني سمغون "منطقة بالبيض إلى" عين ماضي "ثم إلى" فاس "ثم إلى" عين ماضي" مرة أخرى، وبعد الخلوة والكشف لأحمد التجاني مؤسس الزاوية بدأت دعوته تنتشر ويذاع صوتها بين الموردين فازداد عددهم بآلاف حتى وصلت فارس وغرب إفريقيا بعد سنة 1200هـ حوالي 1793م.(4)

1- أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان... نفس المرجع السابق،ص 67

2- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر... نفي المرجع السابق، ص 166

3- الغالي بن لباد، الزوايا في الغرب الجزائري (التجانية والعلوية والقادرية)، دراسة أنثروبولوجية، غير منشورة، لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان ، الجزائر ،(2008-2009)، ص34

4- نفس المرجع السابق، ص .ص 37- 44 ، للمزيد أكثر انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني لصاحبه سيدي على حرازم إبن العربي برادة، منشورات درا الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1997، ص 23 .

4-3 الزوايا بالجزائر(ايجابيتها وسلبيتها): بين المرحوم يحيى بوعزيز في كتابه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري الدور الذي لعبته الزوايا بمختلف أنواعه في الحياة الدينية ولاجتماعية وحتى السياسية بالجزائر وفي بلدان المغرب وتتمثل في :

➢ **الناحية الإيجابية(2):**

*اهتمت بحفظ القرآن ونشره ... بين مختلف الطبقات الاجتماعية، لحمايته من الضياع والنسيان والاندثار

* إحتضنت اللغة والثقافة العربية ونشرها بشكل واسع، فكان ذاك شكل من المقاومة للجهل والأمية

*عملت على نشر الإسلام في مواطن وأصقاع التي لم يصل إليها خاصة المناطق النائية والصحراوية كما فعل التجانيين والسنوسيين

*عملت على إزالة الفوارق الإجتماعية بين فئات المجتمع الجزائري حيث قربت بين الغني والفقير والعالم والأمّي إمتثالا لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. ﴾ (2)

*لعبت دورا الحَكَمْ وقللت من المشاكل بين الناس(الخصومات والإختلافات)، فتمتع المجتمع الجزائري بنوع من الإسقرار النفسي والخلقي.

*كانت الزوايا بمثابة مخازن للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، معظمها تعرض الى التّلف والتسّرب الى البلدان الأوروبية، وبذلك فقدنا جزء كبيرا من تراثنا الثقافي خاصة بعد الاحتلال الفرنسي.

* بذلت هذه الزوايا جهدا كبيرا في رد التنصير، بحيث عملت على حماية الشخصية الجزائرية، الإسلامية العربية من الغزو الأوروبي.

➢ **الناحية السلبية(3) :**

* إتبعت بعض الزوايا أساليب بالية في التدريس والتي أصبحت لا تتلاءم وتطور العالم العربي والأوربي آنذاك، وكان بمثابة تحجر إن لم نقل أنه عناد وتحٍّد، فساد بين أتباعها التخلف الذهني .

1- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري... نفس المرجع السابق، ص .ص 19-20

2- القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13

3- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 20

* بعضها إنتشرت في أوساطها الدروشة والخرافات والأباطيل والبدعة بين أتباعها بسبب العجز الفكري لقيادها عن فهم التطورات القائمة وصراعها مع الحركات الإصلاحية.

* إشتدت الخلافات والخصومات بين شيوخها لأغراض شخصية حول النفوذ والملكية للمكانة الاجتماعية، وحول بعض القضايا الدينية التافهة حيث نشير أن الاستعمار غذا هذه الخلافات ووسع منها .(1)

* إستسلام معظم زعماء وشيوخ الزوايا لما أصابهم من الإعياء والوهن فأصبحت الزوايا تُدار من طرف مريدين غير أكفاء علميا.

3-5 الربـــاطـات: إن الرابط لم يكن يختلف عن الزاوية في هدفها التعليمي والتربوي، إلا أنّها كانت مراكز دينية متقدمة جهادية لمقاومة العدو الأجنبي يذكر "المهدي البوعبدلي" أنها كانت تقوم بحراسة الثغور وهذا منذ الفتح الإسلامي، وإزدادت أهميتها عندما تكالبت الأطماع المسيحية على شواطئ المغرب العربي والشمال الأفريقي، إثر الحروب الصليبية (2) ويضيف "عبد الحق مزيان" أن الرباطات عبارة عن معاهد دينية، لكنها لم تكن خاضعة لأي طريقة صوفية، بل كانت متفتحة على كل التعاليم الصوفية والمجاهدات الروحية، (3) « و الرباطات تشبه الزوايا غير أنها مواقع أمامية في وجه العدو كان الهدف من تأسيسها هو الجهاد حيث يكون الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت. »(4)

كما أنها كانت مقصدا لبعض العلماء بغرض التعلم والتعليم، يقول:"الورثلاني"« كنت أصوم فيها رمضان (بجاية) نَاوِيًا للرباط، مع تعليمي الطلبة راجيا أن يكون لي حظ وافر منهم ونصيب كامل من عندهم ...» (5) ولاشتداد الخطر الإسباني إهتم بها العثمانيون (6)، بعدما إنحصرت بالغرب الجزائري لإستمرار التواجد الإسباني في وهران و المرسى الكبير،

1- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري... المرجع السابق، ص .ص 20-21،

2- المهدي البوعبدلي،الرباط والفداء في وهران والقبائل، مجلة الأصالة ، العدد[13] ، 1973، ص 22

3- عبد الحق مزيان، طريق الذهب وطريق الثقافة، الأصالة العدد[3] 1971، ص.ص 18-19

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج[1] ... المرجع السابق ص172

5- الحسن الورثلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق محمد بن شنب، مكتبة الثقافة الدينية ،ط1، القاهرة، 2007 ، ص 18

6- المهدي البوعبدلي،الرباط والفداء...، المرجع السابق ص19

و كان لهذه الرباطات دورا كبيرا في تحرير وهران بعدما عملت على تضييق الخناق على الإسبان، وإستنزاف طاقتهم الحربية وإرغامهم على الاستسلام(1).

وتجدد الاهتمام بالرابطات في عهد الباي محمد الكبير خلال الفتح الثاني لوهران عام 1792م، حيث جعل التعليم مقتصرا على الرباط و هذا تشجيعا منه للإتحاق به من أجل الجهاد وقد وصفه (الرباط) إبن سحنون بقوله:

وَرَتَّبَ اَلمُرَابِطِيـنَ فِي اَلْجَبَـلِ * * * مِنْ كُلِ حَبِـرٍ عَنْ هَـوَى اَلمَوَتِ جَبَلِ

وَكُلُ مِقْدَامٍ وَهَمَـامٍ وَبَطَـــــلٌ * * * نُمْدُ بَدَا بَــادٍ اَلضَـــلاَلِ وَ بَطَـــلِ

مُؤَمَـــرًا شَيْــخُنَا اَلجِـــــلالِي * * * مُحَمَـــدُ اَلأَحَـــــــقُ بِالإِجْلاَلِ

وقد شارك في هذا الرباط عدة علماء منهم" الطاهر بن حواء" و"محمد المصطفى بن زّرفة" والشيخ "محمد بوجلال" الذي كان يرأسهم حيث كانوا يدرسون و يحاربون*(2)

4- المراكز العلمية (الكتاتيب، المدارس والمعاهد): لبد أن نفهم أن المساجد والزوايا كانت القاعدة الأساسية في نشر المعرفة العلمية بشتى أنواعها، إذ عمل فيها العديد من العلماء والمفكرين المسلمين، لكن هناك مراكز أخرى حملت إلى جانبها لواء التعليم والتعلم. سيأتي توضيحها في ما بعد

يقول يحي بوعزيز« بالرغم من أن الولاة العثمانيين كان لهم تكوينا ثقافيا بسيطا، لكن مع وجود العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم، يلاحظ على العهد العثماني في الجزائر أنه إمتاز بقلة الإنتاج الثقافي، وإقتصر هذا الأمر في عدد من المدن الجزائرية، التي توارثت وحافظت على هذا تراث الفكري...»(3)،إن إستقالة الحكام العثمانيين وعدم إهتمامهم بالجانب الثقافي بقصد أو بدونه، دفع المجتمع الجزائري الى حمل لوائه ونشره بين الأوساط الشعبية

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... ج1 المرجع السابق ص 272

2- أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1973، ص 477

* يأخذ أصحاب الرباط المغارات مأوى لهم في المناطق الجبلية، كما يذكر يحيى بوعزيز في كتابه "المساجد العتيقة في الغرب الجزائري" مثل رباط كدية الصلب بجبل مرجا جو أو رباط جبل مايدة وكليهما في المنطقة الوهرانية ، انظر أيضا أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 477 . أما المعمرات فهي مؤسسات ثقافية لها شبه بالكتاتيب القرآنية وأحيانا الزوايا الغير خلواتية تنتشر غالبا في القرى والأرياف، أنظر يحي بوعزيز المرجع سابق الذكر ص.ص 22-21

3- يحيى بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ج1، د. م. ج ، الجزائر، 1965، ص 165

حيث يقول " سعد الله " بأن المجتمع الجزائري حمل على عاتقه نشر التعليم متأثرا بعوامل خارجية في مقدمتها هجرة الأندلسيين الذين طوروا ميدان التعليم وقواعد اللغة العربية والآداب والعلوم والموسيقى...إن مشعل العلم تكفل به الجزائريون رغبة منهم في إزدهار الثقافة والمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي، كما كانت دور العلم تُموَّل من وإيرادات الأملاك الموقوفة من أعمال الخير والإصلاح، وليس من خزينة الدولة...(1)، كما حرص عدد كبير من التلاميذ من ميسوري الحال التزّود بالعلم من مصادر خارجية، فهاجروا الى مراكش، فاس، تونس، مصر والحجاز وإلتقوا بعلمائها ونهلوا العلوم على أيدهم، وعند عودتهم الى الجزائر، ينالون حظوة كبيرة، إذ يقومون بمهمة التدريس ونشر ما حصلوا عليه من معارف جديدة، وغالبا ما يجمعون بين وظيفة التدريس ووظائف أخرى كالقضاء أو الإفتاء (2).

4-1الكتـــــاتيـب: ما بين القرن 10ه-11هـ/ 16م-17م وجدت في مدينة الجزائر مدارس تعرف بالكتاتيب تؤدي نفس المهمة التي تقام في المساجد والزوايا وهي التعليم، حيث تحدث "الجامعي الفاسي" في رحلته عن الكتاتيب القرآنية في مدينة الجزائر فقال :«... وقد كان بهذه الحضارة نحوى 100 كُتَابٌ ملءٌ بالأولاد، حيث أن المحل الذي لا يتسع للتلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج. يتعلمون القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن العظيم، وحفاظه كثيرون ... » (3)، كانت مهمة هذه الكتاتيب إستظهار كتاب الله عز وجل، وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية على اللوح المصلصل(4) بقلم القصب، وتكون هذه الكتاتيب غالبا في أضرحة الأولياء والدكاكين والمساجد التي تقوم فيها الصلوات الخمسة (5).
لقد بين "سعد الله" كيفية التعلم بالنسبة للتلاميذ وهم في الكُتّاب قال: « وكان الأطفال يجلسون على زرابي، وحصائر، وهم في شكل متربعين، والملاحظ في هذه الكتاتيب أنه لا يوجد تميز بين إبن القاضي ولا بين إبن الحرفي، فكلهم متساويين، ويجلسون في وضع واحد، ولمعاقبة الأطفال الذين لا يجتهدون في التعليم، تستعمل الفلقة، بحيث كانوا يُضربون على أقدامهم بواسطة عصي خشبية، وكان الهدف من إستعمال تلك العصي في الإبقاء على النظام،

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... ج1 المرجع السابق ص 165

2- نفسه ، ص 163

3- مولاي بلحميسي، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية والأجنبية، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، العدد 8 الجزائر 1982، ص 26

4- مُصَّلْصَّلْ، مصدر صَلْصَالٌ: طين يابس لم تصبه النّار قوله تعالى،﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾ سورة الرحمان الآية 14، صخر طينيّ يحتوي على مادّة لاحمة هي السِّليكا ، يتميّز بشدّة لُزّوجته عند البلل، كان حجر الصلصال يمحى به التلميذ لوحته بعد كتابة وحفظ مجموعة آيات وعرضها أمام شيخه ، بحيث يبلل ويمرر على اللوح ثم يترك ليجف لإعادة كتابة أيات قرآنية جديدة أنظر موقع قاموس المعاني www.almaany.com/ar/dict/ar بتاريخ 2014/10/20

5- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 272

وجلب الإنتباه بالدرجة الأولى، وقليلاً ما كانت تستعمل للعقوبة، فقد كانت العلاقة بين المؤدب، وطلبة العلم، علاقة إحترام الصغير للكبير وهو مبدأ سائد في المجتمع كله، إلى جانب إحترام حفظة القرآن، فقد كان الشيخ أو المؤدب بمثابة الأب للتلامذة».(1)

2-4 المــــدارس والمعاهد: لقد ذكر أحمد مريوش الى جانب كل ما ذكرناه حول مراكز التعليم بالجزائر أن هناك كذلك مدارس الإبتدائية التي لا يخلوا حي من الأحياء منها ولا قرية من القرى في الريف، وكانت منتشرة بين أهل البادية والجبال النائية، وهذا ما جعل جميع الذين جاءوا الى الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس، وانتشار التعليم بها(2) وأما بالنسبة لندرة الأمية بين السكان، كانت دور الأوقاف تلعب دورًا هامًا في إنتشار المدارس ونشر التعليم(3).

وقد عرّف "أبوراس الناصر" المدرسة بقوله:« المدرسة المتعارف عندنا الآن وهي التي تبنى لدراسة العلم أي تَعليمه وتَعلمه.»(4) وقد وجدت المدارس في مختلف حواضر الجزائر، فمدينة الجزائر وحدها كانت تحتوي على 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ(5)، منها المدرسة القشاشين(6) التي أشاد بها أبواس الناصر وإعتبرها مركز للتعليم العالي(7)

أما مدارس قسنطينة فلم تكن تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر،فقد عرفت هي الأخرى إشعاعا ثقافيا خاصة عهد صالح باي الذي أسس المدرسة الكتّانية عام 1190ه / 1776م لتعليم مختلف العلوم، وقد جعل لها نظاما خاصا (8).

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،.... ج1، المرجع السابق، ص 246

2- أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية الجزائر، 2007،ص 15

3- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص 274

4- أبوراس الناصري، المصدر السابق، 2011، الجزائر، ص91

5- Turin, Yvonne, Affrontements culturelles dans l'Algérie coloniale (1830-1880), Maspero. Paris, 1971. P : 131

6- القشاشية، حارة مكيّة تاريخية، محاذية للحرم المكي، ورد ذكرها عرضاً في الأرج المسكي (ص 43) كما أنه ورد لفظة مكان القشاشين في الأرج المسكي " (ص 45) وقصد به المكان الواقع بين الميلين في المسعى، والقشاشون هم بائعوا الحرير، والمعتقد أن إسم القشاشية مأخوذ من القشاشين. أنظر.ar.wikipedia.org بتاريخ 2015/01/05

7- أبوراس الناصري، نفس المصدر السابق، ص91

8- نور الدين عبد القادر ،صفحات في تاريخ مدينة الجزائر... نفس المرجع السابق، 213

كما أنه أسس عدة مدارس في عنابة وجيجل وكان يلحق بكل مدرسة مسجدا و كُتَابًا ومكتبة، وقد قُدر عدد مدارس قسنطينة عند دخول الفرنسيين ب 90 مدرسة(1)، لكن " إيمريت"(Emerit) يذكر أن عددها كان 86 مدرسة ، يدرس بها 1350 تلميذ (2)

أما مدارس تلمسان فقد بلغ عددها حسب" إيمريت" 50 مدرسة صغيرة مخصصة لـِ 2000 أو 15000 نسمة (3) بالإضافة إلى مدرستان للتعليم العالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام(4)

وقد إستفادت مدارس الغرب الجزائري من إصلاحات الباي محمد الكبير، وهذا لتدعيم و تنشيط الحياة الثقافية (5)، حيث أسس المدرسة المحمدية في معسكر لتصبح من أكبر مدارس بايلك الغرب و قد أشار إليها وأبوراس الناصري في حديثه عن المدارس(6)، و وصفها "إبن سحنون" قائلا في الثغر الجماني : « كاد العلم أن يتفجر من جوانبها.» (7)

مدينة مازونة كانت هي الأخرى قِبلة للعلماء والطلبة الوافدين عليها بإعتبارها قطبا من أقطاب طلب العلم ، حيث يقول "بلحميسي"، «أما مدرسة مازونة ذات الشهرة المغاربية والتي شيدت نهاية القرن 9هـ / 16 م من طرف الشيخ محمد بن الشريف الأندلسي» (8) ، ويواصل القول حول المدرسة المازونية، حيث كانت ملتقى العلماء ومقر للمبادرات الفكرية وقد درس بها عدة علماء بارزون أمثال أبوراس الناصري (9)، ويضيف سعد الله أن مدارس مازونة قد إشتهرت بوجه خاص بعلم الفقه و الحديث و علم الكلام .(10)

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1 المرجع السابق، ص 276

2- Emerit, (M), L’état intellectuel et moral de l’Algérie en 1830" in(**R.T.A.S.M.P**,) Revue des travaux de l’académie des sciences morale et politique 2éme semestre,1954, p : 4
3-Ibid., p : 4

4- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 276

5- Georguos (A), Notice sur le bay d’Oran Mohamed El-Kebir in **R.A**, N° 1, 1856, N° 2, 1857.P.P 223-249 ,Voire: Georguos (A), Expédition de Mohamed El-Kebir, in **R.A**, N° 3, 1858 P.P 193-192

6- أبواس الناصري، المصدر السابق ،ص 78

7- أحمد بن سحنون الراشدي المصدر السابق،ص 127

8-Belhamissi, (M), Histoire de Mazouna, Des origines à nos jours. Imp. Ahmed Zabana, Alger, 1982, P.P. :49-50

9- Ibid., p : 51

10- - أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع السابق، ص 285

وعليه يشير"فونتير دي برادي" (Venture De Paradis) إلى وجود جامعات وعَدَدَهَا في ثلاث جامعات بمدينة الجزائر، الى جانب كثرة المدارس والكتاتيب (1) إلا أن سعد الله لا يعتبرها في الواقع جامعة بالمعنى الصحيح لأنه لم يكن يوجد بها مدرسة للتعليم العالي تضاهي الأزهر و القرويين و الزيتون (2)

4-3- المكتبـــات : لقد لعبت المكتبات في العهود السابقة نفس الدور الذي تلعبه حليا، إذ هي المركز الثقافي والمعلوماتي الذي يعكس تراث أمة وتطورها العلمي والأدبي والفني.

أما في العهد العثماني بالجزائر يذكر سعد الله أن الجزائر كانت في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، كما أن الكتب كانت تنتج محليا عن طرق التأليف والنسخ، أو تجلب من الخارج كالحجاز، مصر، إسطنبول والأندلس، ويقول أيضا أن قد وُجِدَّ عدد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين، وإن تلمسان وبجاية و قسنطينة لخير دليل على صناعة الكتاب، من حيث التأليف، والنّسخ ، والجّمع ، بدرجة عالية...، كما أن للعلماء الفضل الكبير في جلب الكتب المتنوعة من أماكن بعيدة (3)، ويضيف أيضا أن كل من القضاة والدراويش عند مجيئهم إلى الجزائر إصطحبوا معهم مكتباتهم، وأوراقهم ووثائقهم، ومن أهم ما جاءوا به كتب الفقه الحنفي، ونسخ من صحيح البخاري، وكتب الأدعية والأذكار الصوفية (4)، يذكر بلحميسي نقلا عن علي محمد التمكروتي قوله:« وطلبة العلم فيها لا بأس بهم ... والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرا...» (5).

محتوى المكتبات في معظمه عبارة عن رصيد للعلوم الدينية، منها التفاسير، الأحاديث الدينية، فقه الأصول والتوحيد والعلوم اللغوية والعقلية، إلى جانب العروض والبلاغة، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة فكانت قليلة، وبالنسبة لكتب الحساب والطب والفلك أقل من قليل.(6) ، كانت المكتبات في الجزائر مقسمة الى :

1- Venture (De .P), Alger au 18eme siècle, Fagnan, Alger, 1898, p : 156

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1 المرجع السابق، ص 273

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.ص 286-287

4- نفسه، ص 288

5- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، ش.و ن. ت، الجزائر، 1997، ص 59

6- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.ص 288-314

1-3-4 المكتبات العامة : وهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون ، يلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة، وهي مكتبات وِقْفًا على المساجد والزوايا والمدارس **(1).**

2-3-4 المكتبات الخاصة: هي مكتبات لم تكن متغيرة من حيث وظيفتها مقارنة بالمكتبات العامة فهي خاصة بالمطالعة والبحث ولكن في إطار العائلات العلمية، والأعيان الذين لديهم غيرة على الكتب ونسخها **(2).**

كانت الكثير من المخطوطات معرضة للضياع وغير آمنة، سواءًا نتيجة الإهمال، النّهب والتّهريب، والحروب المستمرة بين الجزائريين من جهة، ومن جهة أخرى الحروب مع الأجانب، ... كإتلاف مكتبة الشيخ "أبي راس الناصري" و"أحمد بن سحنون الراشدي" بعد قصف مدينة الجزائر من طرف الأساطير الدول الأوروبية، وكذا إهمال مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة، حيث سمح للعلماء بأخذ الكتب الى بيوتهم وبيع بعضها خارج الجزائر، ... وجد عند الشيخ "محمد بن ميمون" 40 كتابا من مكتبة الجامع الكبير إضافة الى ذلك أصحاب المكتبات كانوا يوصون بحمل مكتباتهم الى الخارج بعد وفاتهم**(3)** .

ويضيف سعد الله أن المكتبات في الريف لم تكن تختلف عن المكتبات في المدينة، حيث كان لها أهمية كبيرة في أنحاء البلاد كمكتبة ميزاب في بني يزقن، حافظ عليها أصحابها كعائلة "التميمي" و"وأطفيش"، ومكتبة زواوة و ورقلة وبجاية والخنقة، كل هذا يدل على وفرة الكتب في الجزائر النائية ...**(4)**

بالرغم من سياسة العثمانيين الغير المشجعة للوضع الثقافي بالجزائر، فإن الجزائريين لم يمنعهم الفضول العلمي والفني في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي والإنساني من الاهتمام بالمكتبات وثرائها بالكتب والمخطوطات، والحفاظ عليها بشتى الوسائل وحملها الى أماكن آمنة أو إعادة نسخها يدويا لتبقى للأجيال القادمة .

1- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 60

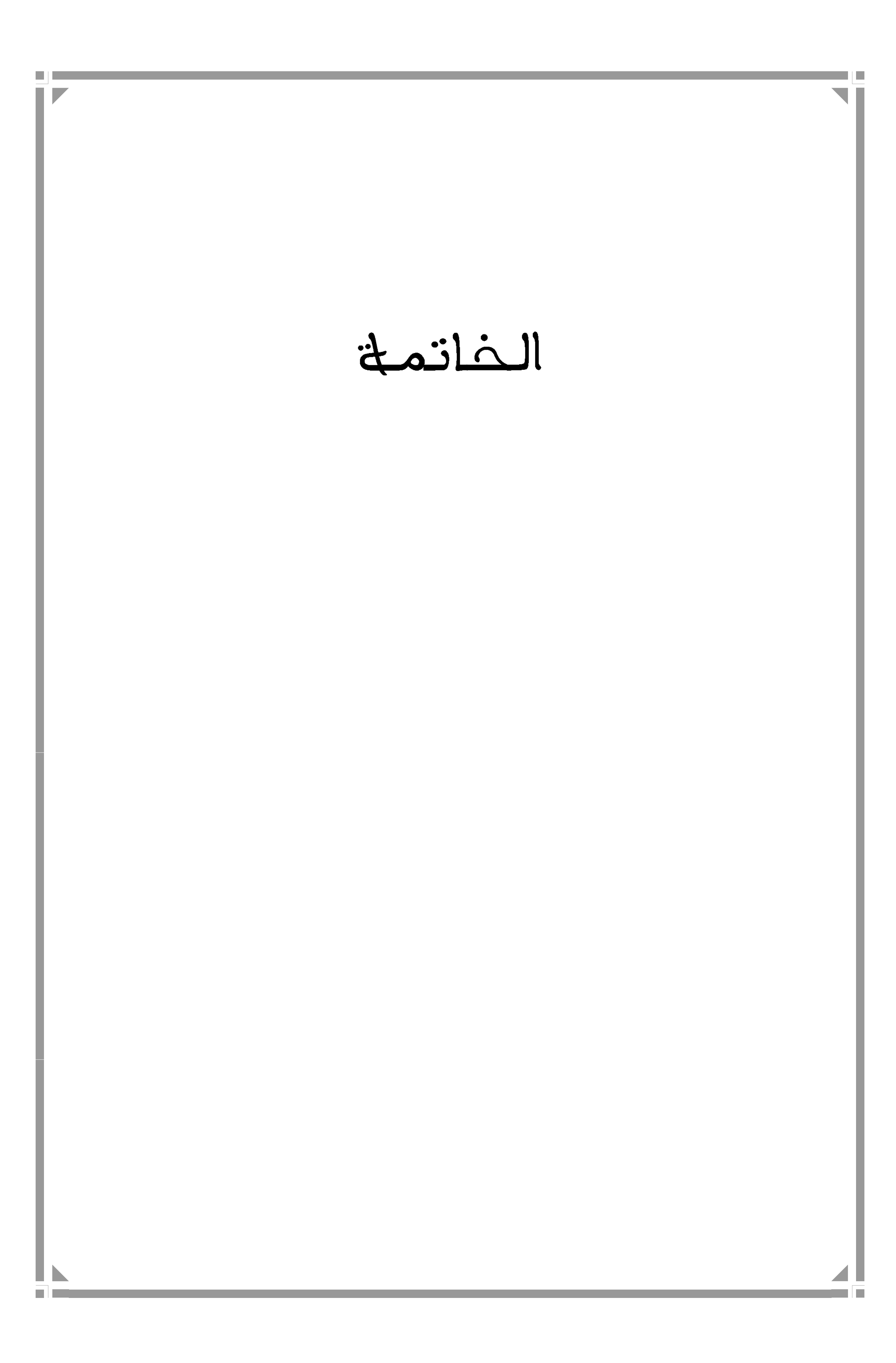
2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1 المرجع السابق، ص 326

3- نفسه ، ص.ص 294-300

4- نفسه ، ص.ص 309-310

لقد لعبت المؤسسات التعليمية سواء كانت المساجد، الزوايا، الكتاتيب أو المدارس بدورها التاريخي في نشر الثقافة العربية الإسلامية و بالرغم من دعم عَدَمْ الدولة العثمانية لهذا المجال، حمل أهالي الجزائريين هذا الدور كاملا، ورياديا في دفع دفة المعرفة العلمية إلى الأمام و تخصيص أموال كبيرة من الأوقاف، لبناء المؤسسات التعليمية والثقافية وتسوية أجورالمعلمين، حيث تنوع المؤسسات الثقافية من حيث عددها وكثرة مهامها، مما جعل الأجانب ينبهرون لذاك (إنعدام الأمية في أواخر العهد العثماني) إلا أن في الواقع ظل التعليم يعاني من الطابع التقليدي، والذي لم يواكب التطورات الأوروبية آنذاك.

ومن خلال هذه الإطلالة المتواضعة على المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني، يمكن أن نستنتج أن هذا التراث الكمي المعرفي لا زال دفين المكتبات العامة والخاصة الى يومنا الحاضر، ينتظر من ينفض عنه الغبار من أجل إنتاج معرفة تاريخية جديدة نرفع بها رصيدنا الأكاديمي.



الخاتمة

لقد ساهمت هذه الصفحات لإلقاء بعض الضوء على واقع الحياة الثقافية في الجزائر، خلال العهد العثماني مع توضيح أبرز المحطات في عملية التأثير والتاثر بين الوافدين الأتراك والأهالي الجزائرية، بإختلاف أطيافها من أندلسيين،عرب وأماريغ، حيث أنصهرت الأَمْزِجَةُ والطبائع بين ثقافتهم مكونة قالبا جزائريا تركيا لمدة تجاوزت الثلاثة قرون من الزمن، أفرزت نِتّاجا ثقافيا لازالت معالمه الى يومنا الحاضر بإعتباره جزء من ثقافتنا الجزائرية.

ومن خلال وجهة نظر الكُتَّابُ الأجانب مع إستئناس بما جاء في الكتابات المحلية حول هذا الموضوع، أنه أكبر من مجرد بحث وذلك لتتابعه وتداخله مع مواضيع ذات صلة قوية بجوانب أخرى وإن كان دو طابع ثقافي إلا لأن للجوانب الإجتماعية والسياسية و الإقتصادية لها تأثيرها البارز، ولذلك إن كل هذه المجلات مجتمعة تشكل منظومة حياة المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.

وعليه وصلنا بهذا البحث الى مجموعة إستنتاجات نرى أنها موضوعية في طرحها تتمثل في :

أ- ما يسحب لأتراك العثمانيين بالجزائر

1- تمسك الجزائريين بالخلافة الإسلامية دفعهم الإستنجاد بالعثمانيين، وأن الحدود الجزائرية المعاصرة رسمها العثمانيون بعد رد أطماع الغرب والإمارات المجاورة.
2- إن تواجد هذه الفسّيفساء من فئات المجتمع العثماني الجزائري كان بداية تأسيس كيان مستقل وبناء دولة جزائرية حديثة، خاصة في عهد الديات
3- بالرغم من أن بعض المدن الجزائرية فقدت رتبتها القيادية في المجال الإشعاع الثقافي كتلمسان وبجاية...بداية القرن التاسع الهجري الموافق لِـ الخامس عشرالميلادي، حملت لواء الثقافة مدن أخرى كمدينة الجزائر وقسنطينة، وبسكرة وتوقرث، فأنجبت علماء ومفكرين من طبقة النُّخبة لازال إنتاجه يدرس الى يومنا الحاضر .
4- ترك العثمانيون للعشائر والقبائل الجزائرية حرية الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم.
5- العثمانيون لم يفرضوا على الجزائريين اللغة العثمانية، كما فرضها الإستعمار الفرنسي بل إعتمدوا على اللغة العربية كلغة رسمية للدولة الجزائرية وكانت كل المعاهدات والعقود تكتب باللغة العربية

6- لم تَكن قضية إختلاف في المذهب (الحنفي والمالكي) أي صراع ديني أو عرقي يين الوافدين الأتراك والسكان المحليين، بل هناك من الأهالي المالكيين من أوقف ثروته لسبّل الخيرات الحنفية

ب- ما يؤخذ على الأتراك العثمانيين بالجزائر

1- لواء التعليم والتدريس حملته الزوايا والربطات والمدارس الملحقة بالمساجد، و لم يكن للسلطة العثمانية دورا في ترقية العلم والتدريس فكان المورد الرئيسي الإنفاق على التعليم والعلماء مداخيل الوقف والهيبات والصدقات .
2- بالرغم من إنشار التعليم في معظم القطر الجزائري، إلا أنه ظل يعاني من الطابع التقليدي، ولم يواكب التطورات الأوربية آنذاك
3- معظم الموروث المادي واللامادي بإختلافه لم يضّف إليه العثمانيين شيئا جديدا مبدعا ، بل كان إما إجترار لأعمال المسلمين السابقين أو نقلا من فنون أوربا خلال عصر النهضة الأوربية إبتداءا من القرن الخامس عشر الميلادي.
4- القطيعة التي إبتدعتها السلطة العثمانية مع الأهالي الجزائريين، والرؤية الفوقية للحكام التراك حتي مع أصلابهم الكراغلة خوفا من طماعهم في السلطة

أما من جانب آخر فإن دراسات الأجانب حول المجتمع الجزائري تتضمن الكثير من الحقائق الجديرة بالإهتمام والدراسة والمقارنة قبل الحكم المسبق عليها خاصة إذا عرفنا أن معظمهم(الأجانب) كانوا كتاب أو مؤرخون أو رحالة أو قناصل، أو أسرى حرب أو رهبان، بحيث لم يكونوا يتفاعلون مع تلك الأحداث بنفس المستوى والخلفية، كما أن أغلبهم كانوا يكتفون بتسجيل ووصف شهادتهم كما هي .

من خلال مراحل أنجاز البحث وصلت الى نتيجة مفادها أن كتابات القناصل والرحالة حول المجتمع الجزائر العثمانية كانت في عمومهم الأقرب الى الواقعية والموضوعية من كتابات رجال الدين والرهبان والذين كانوا يغالون في وصف بعض الوقفات الثقافية والممارسات الدينية ، ويصدرون عليها أحكاما مسبقة بدافع صليبي. وحسب تقديري المتواضع فإن كتابة (فاغنير) الألماني و(ليتجو) الأسكتلندي تختلف عن كتابات الرهبان و الآباء وأسرا، كالأب (دان) أو الأسير (تيدينا).

بالرغم من التاثيرات الخارجية التي تقدم ذكرها إلا أن المجتمع الجزائري بقي محافظا على هويته الثقافية من عادات وتقاليد وقيم إجتماعية، بحيث لعب الدين واللغة دورا أساسيا في تشكيل ملامح مجتمع موحد يؤمن بقواسم مشتركة لثقافات الشعوب الأخرى والتي إنصهرت في وحدة المجتمع العثماني

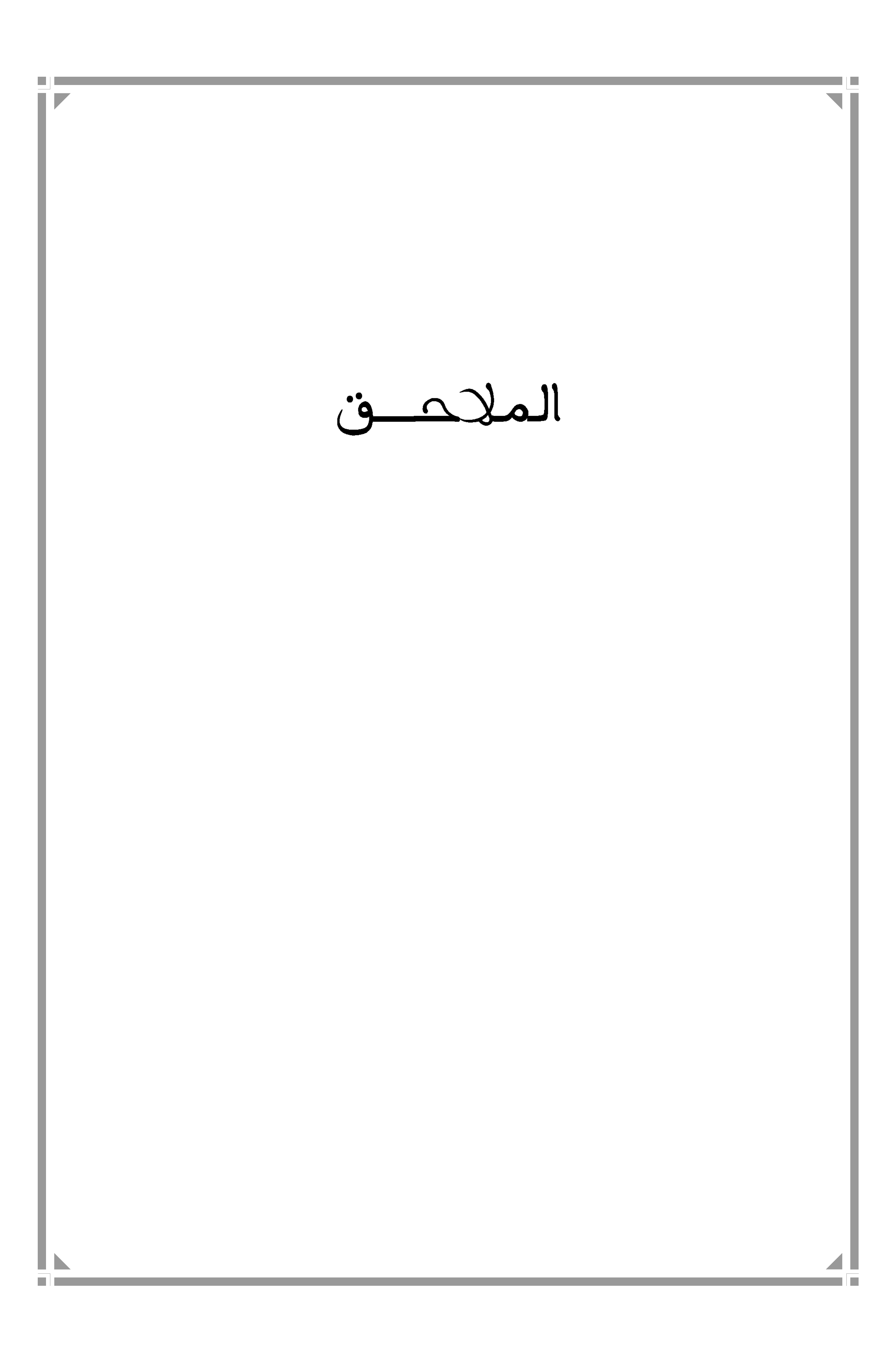
أثر العثمانيون في الحياة الإجتماعية والأقتصادية للجزائريين، ولقد لمسنا هذا التأثير من خلال كتابات الأجنبية الذين وصفوا محاولات العثمانيين ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي من خلال توافق بعض المظاهر الثقافية بين الطرفين كالعادات والتقليد، بالإضافة الى جلبهم معهم الطرق الصوفية والتي لم تكن معروفة، أو منتشرة بين السكان من قبل

كما أثر المسحيون واليهود في الحياة العامة للمجتمع الجزائري العثماني، من خلال نقل بعض العادات والتقاليد الأوروبية إلى الجزائر، وإن كان تأثيرهم لا يرقى من حيث الفاعلية ودرجة التفاعل الى تأثير العثمانيين الأتراك أو الأندلسيين.

ركزت معظم الدراسات الأجانب ومن مصادرها الأولى في اطار موضوع البحث على مدينة الجزائر، في الحين الدراسات الخاصة بالمناطق الأخرى فهي شحيحة كالمناطق الصحراوية أو الريفية

إن النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة تضعنا أمام تساؤلات أكبر وأعمق من شأنها أن تشكل أفاقا لبحوث ودراسات أخرى فإن الموروث الثقافي العثماني لم يكشف عنه بعد، بحيث لازالت مكتابات العامة والخاصة تحتوي على كنور من المعرفة التاريخية، تنتظر من يفحصها ويدرسها، لأنني أعتقد أن التاريخ العثماني في الجزائر معني بما يسمى « إعادة النظرفي كتابة التاريخ الجزائري»

وفي الأخير أرجوا أن تكون هذه المساهمة المتواضعة قد حققت بعض أهدفها، ونكن قد وضعنا لبة في الصّرح البّحث الأكاديمي، وبالتالي يكون هذا البحث منطلقا لبحوث جيدة مستقبلية - إن شاء الله-



الملاحـــق

ملحق الصور والجداول:

الصورة رقم (01)

فن الركوكو وفن البروك في مجال العمران الأوروبي (القرن 16م)



قصر ترير بألمانيا، يمثل فن الباروك
http://ar.wikipedia.org



جيامباتيستا تيوبولو بسقف درج الإقامة بألمانيا، يمثل فن الركوكو

http://www.arab-ency.com



كنيسة سانت أندريا صممها جيان لورينزو، تمثل فن الباروك

http://www.marefa.org

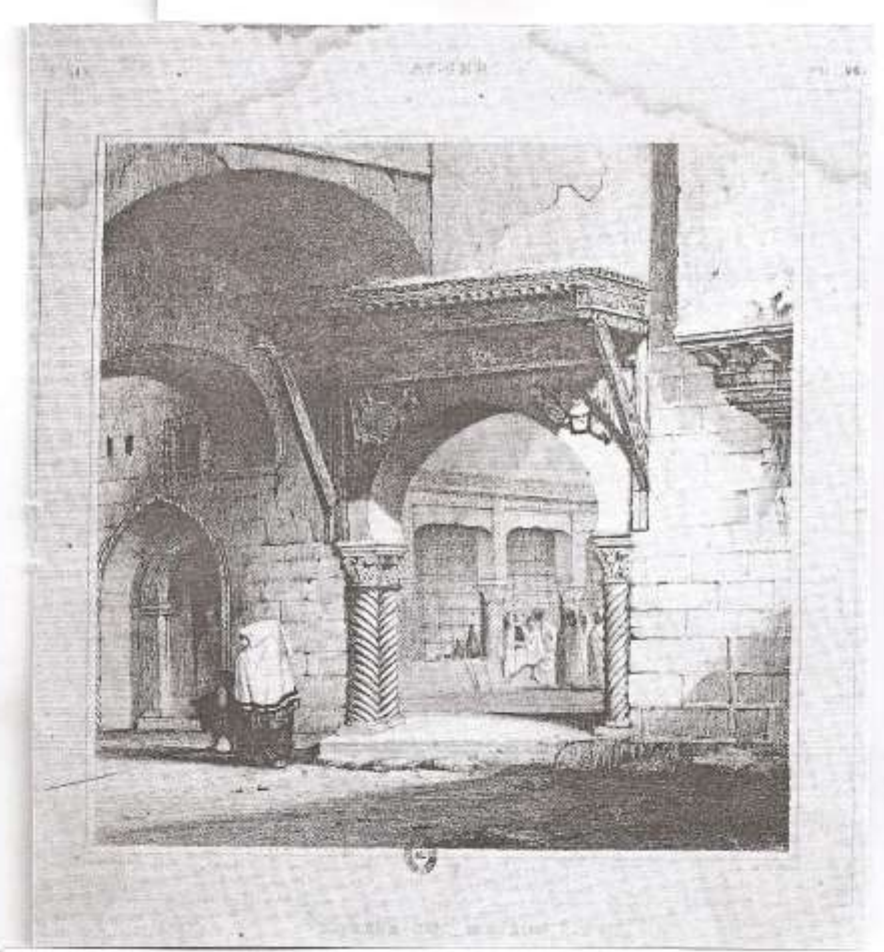


قصر ديمسقي مبني على أساس فن الركوكو

http://www.arab-ency.com

الصورة رقم(2)

مدخل لأحد أبواب القصبة (الجزائر)



القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، المتحف الوطني للفنون الجميلة الديوان الوطني رياض الفتح ، ط1، الجزائر ،1985، ص76

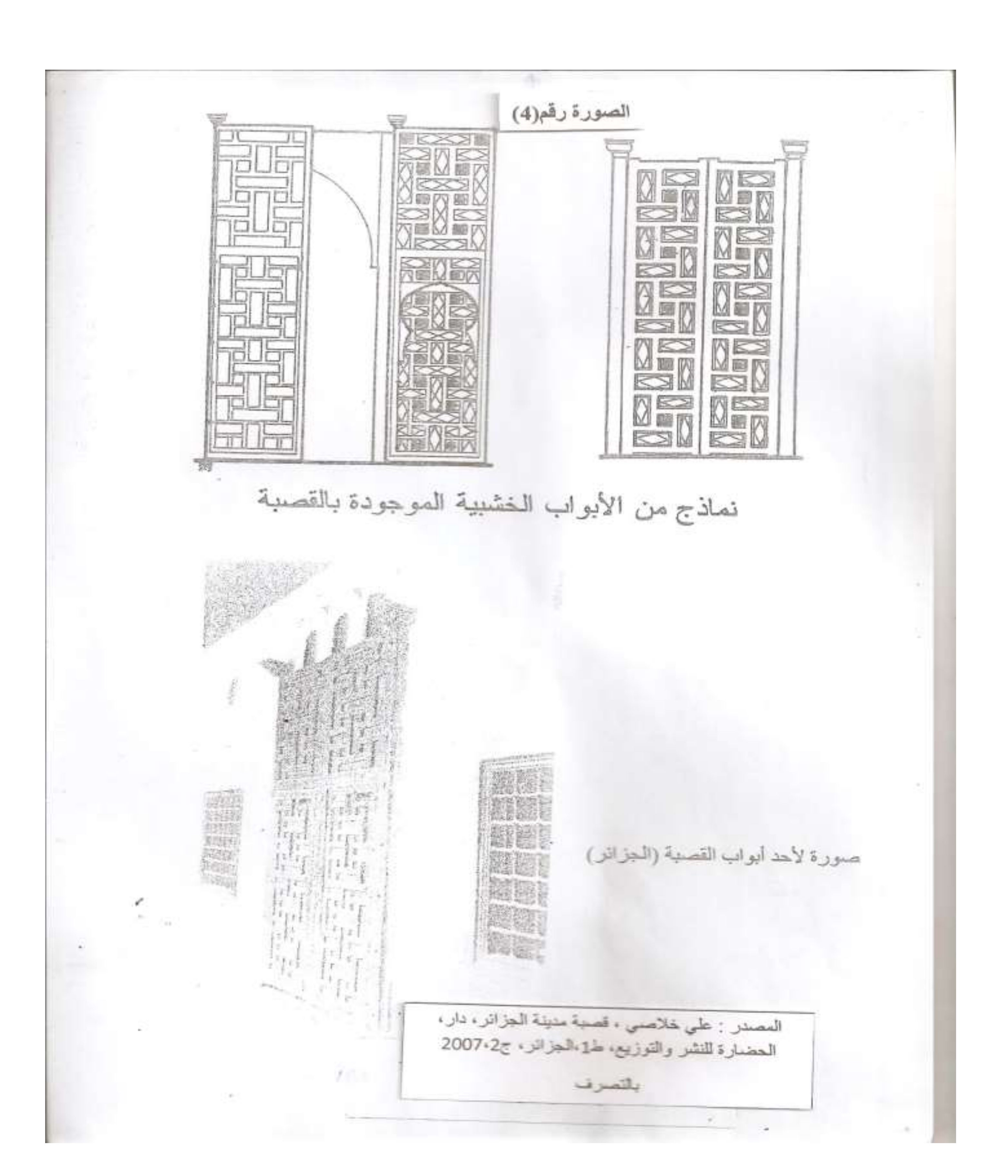
الصورة رقم (3)



المصدر: العياشي الهواري رسالة ماجستير(غير منشورة)

المسكن العثماني بالجزائر(مدينة قسنطينة)

بتصرف من طرف الطالب



الصورة رقم(4)

نماذج من الأبواب الخشبية الموجودة بالقصبة

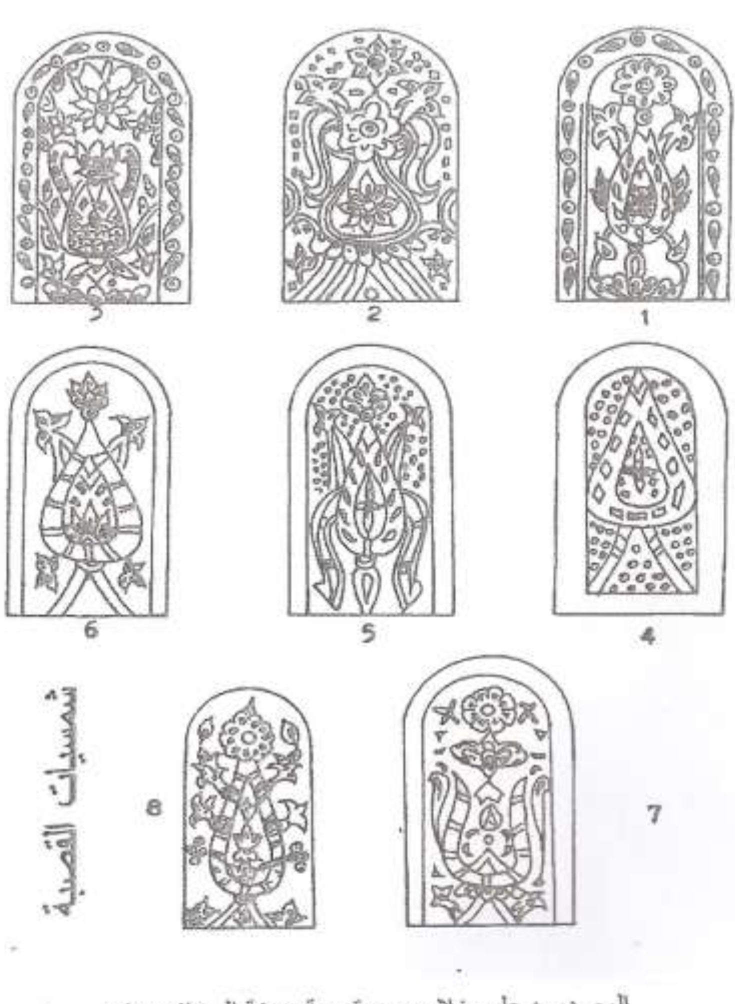
صورة لأحد أبواب القصبة (الجزائر)

المصدر : علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار، الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، ج2، 2007

بالتصرف

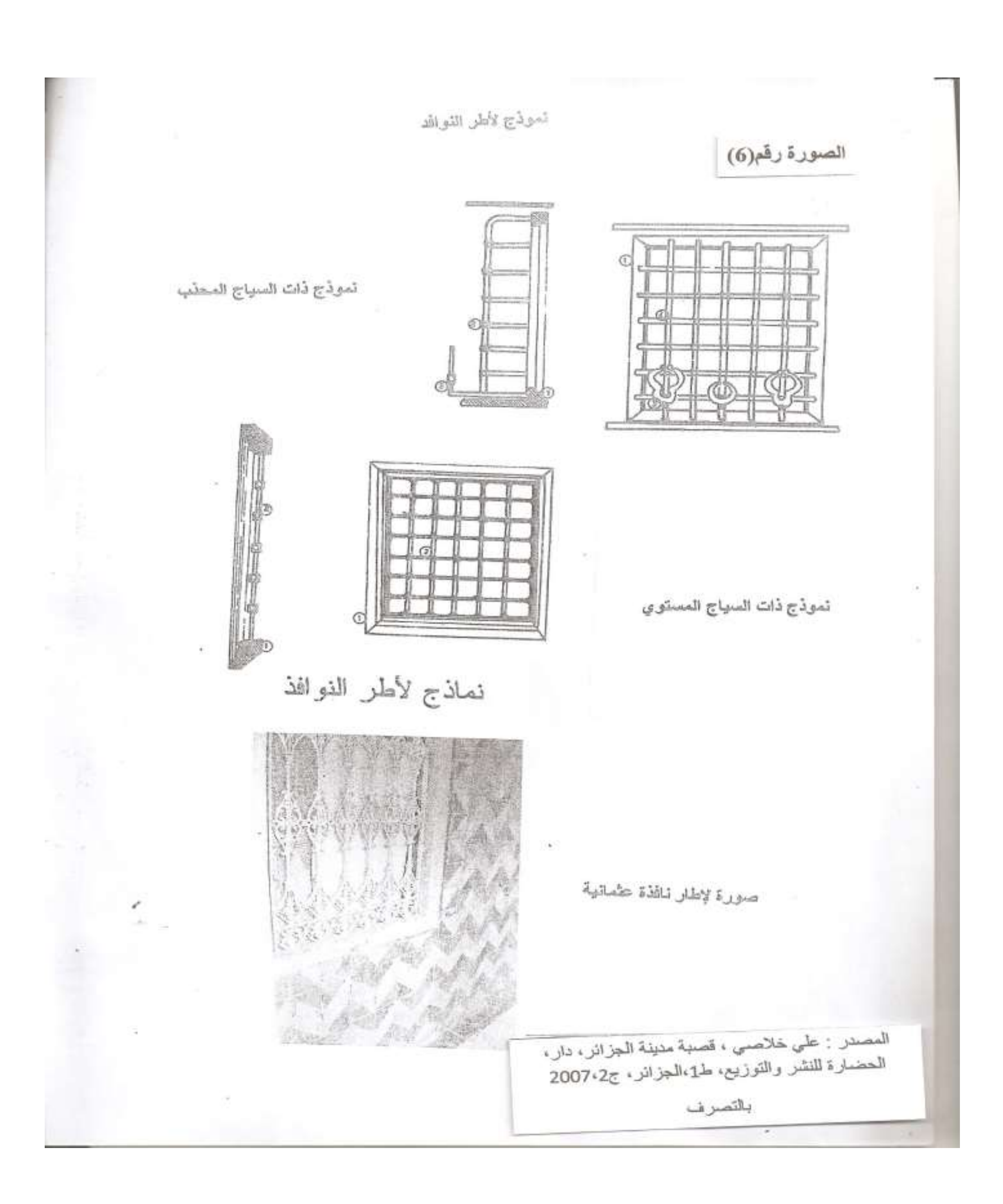
الصورة رقم(5)

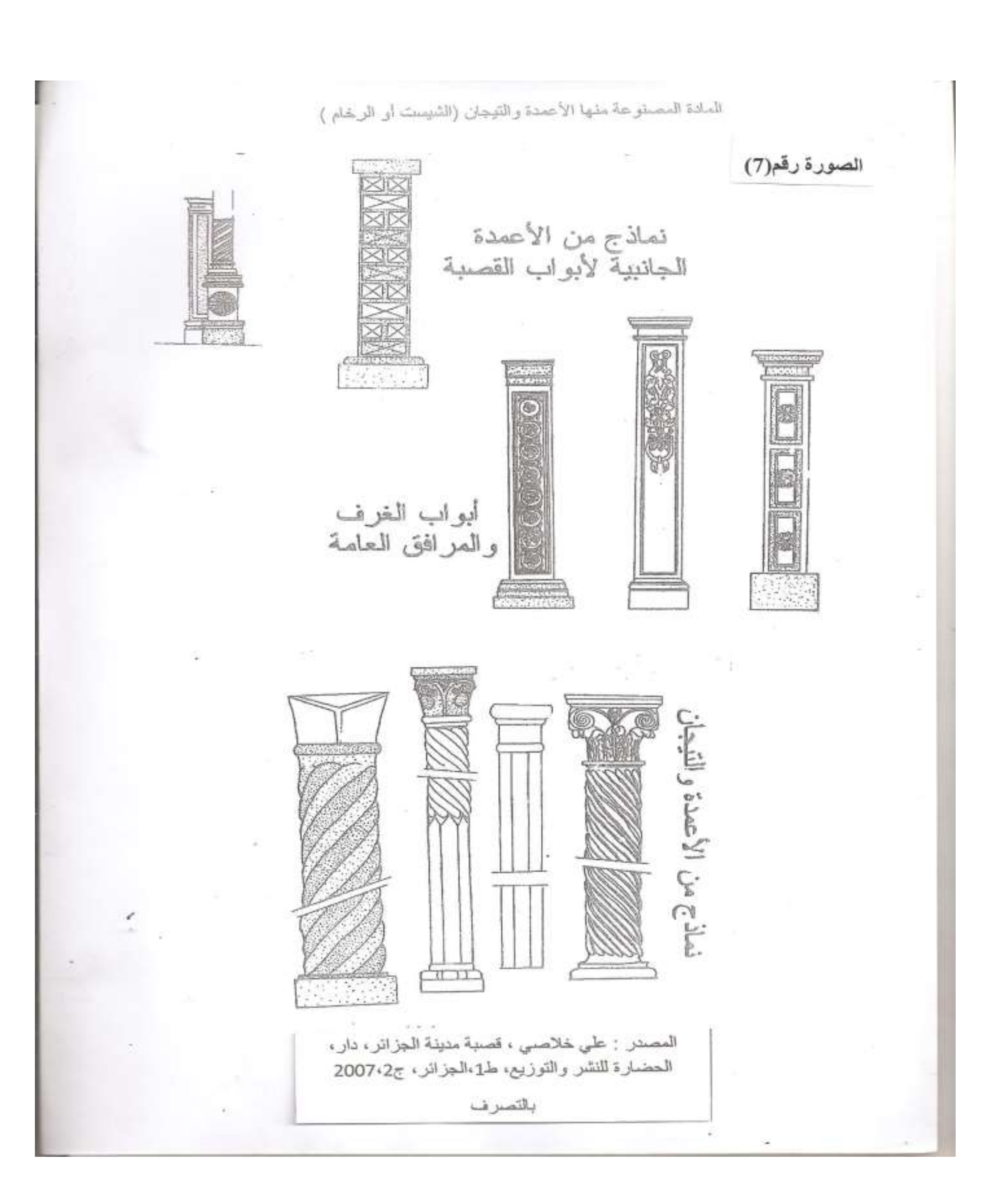
المادة المستعملة في صناعة الجّبس



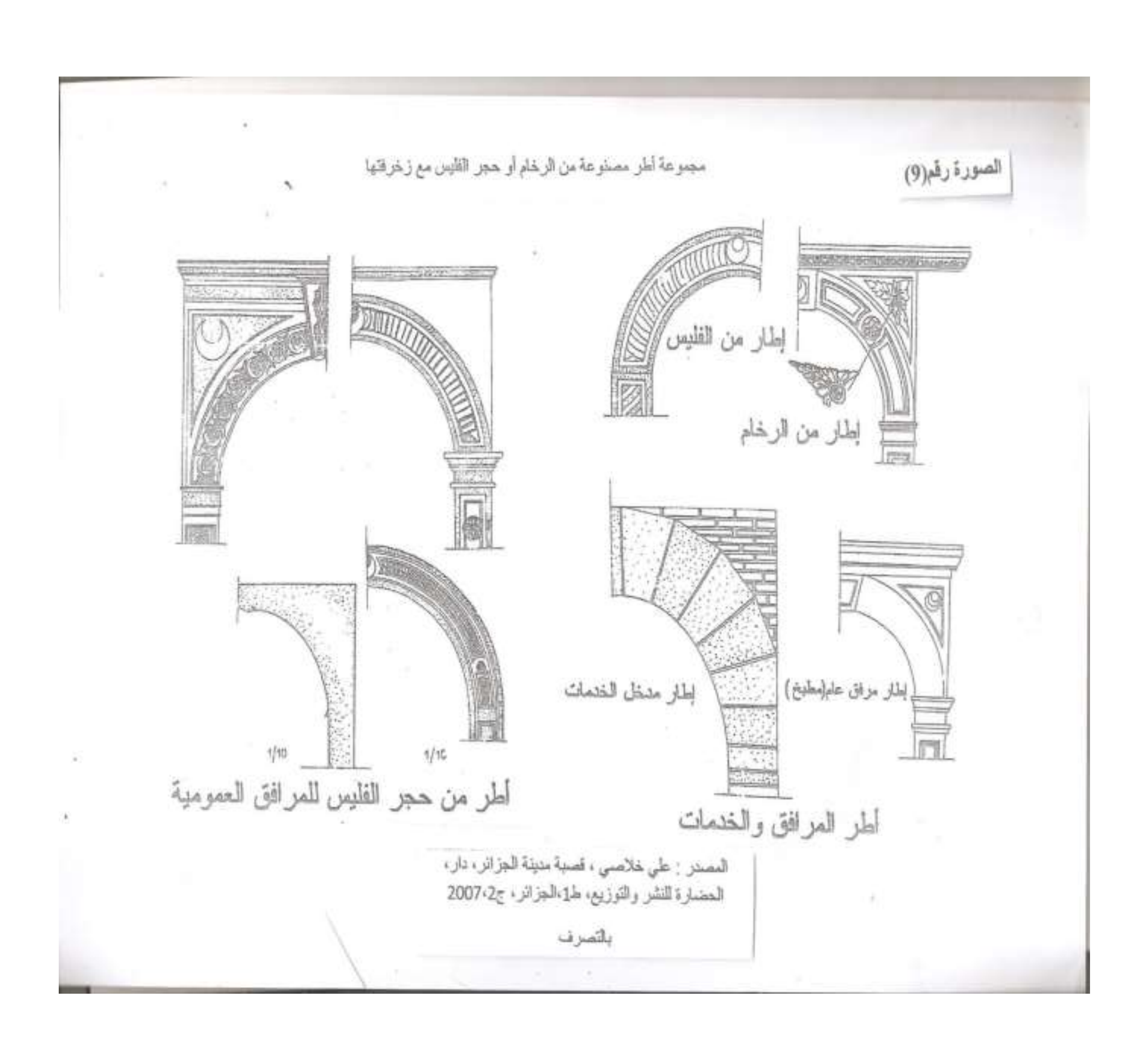
المصدر : علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار، الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، ج2،2007

بالتصرف


نموذج لأطر النوافذ
الصورة رقم(6)
نموذج ذات السياج المحنب
نموذج ذات السياج المستوي
نماذج لأطر النوافذ
صورة لإطار نافذة عثمانية
المصدر : علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار، الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، ج2، 2007
بالتصرف

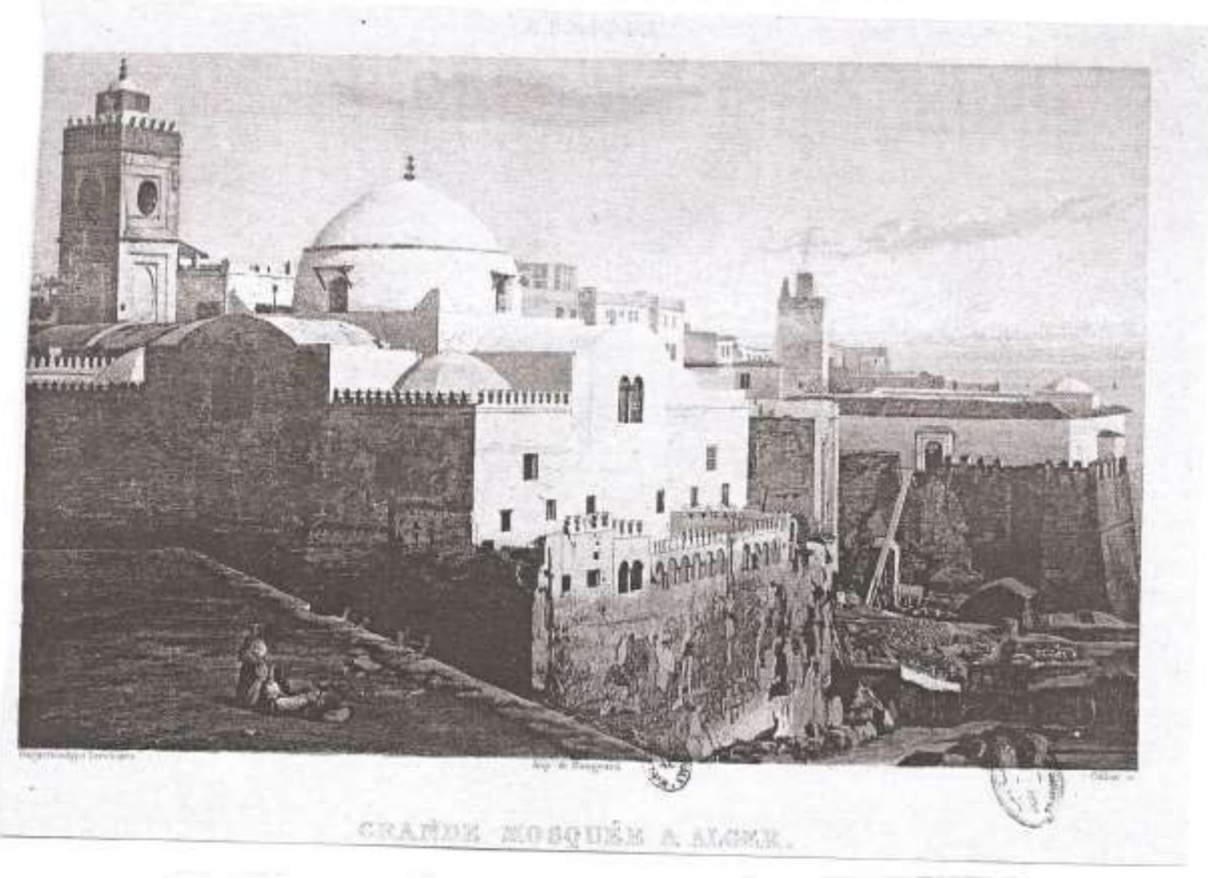

المادة المصنوعة منها الأعمدة والتيجان (الشيست أو الرخام)
الصورة رقم(7)
نماذج من الأعمدة
الجانبية لأبواب القصبة
أبواب الغرف
والمرافق العامة
نماذج من الأعمدة والتيجان
المصدر : علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار، الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، ج2، 2007
بالتصرف


الصورة رقم(8)
المادة المصنوعة منها والتيجان (حجر الشيست أو الرخام)
نماذج من التيجان الموجودة بالقصبة
1/20
1/20
1/20
1/20
المصدر : علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار، الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، ج2،2007
بالتصرف


الصورة رقم(9)
مجموعة أطر مصنوعة من الرخام أو حجر القليس مع زخرفتها
إطار من القليس
إطار من الرخام
إطار مدخل الخدمات
إطار مرفق عام(مطبخ)
أطر من حجر القليس للمرافق العمومية
أطر المرافق والخدمات
المصدر : علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار، الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، ج2، 2007
بالتصرف

الصورة رقم(10)

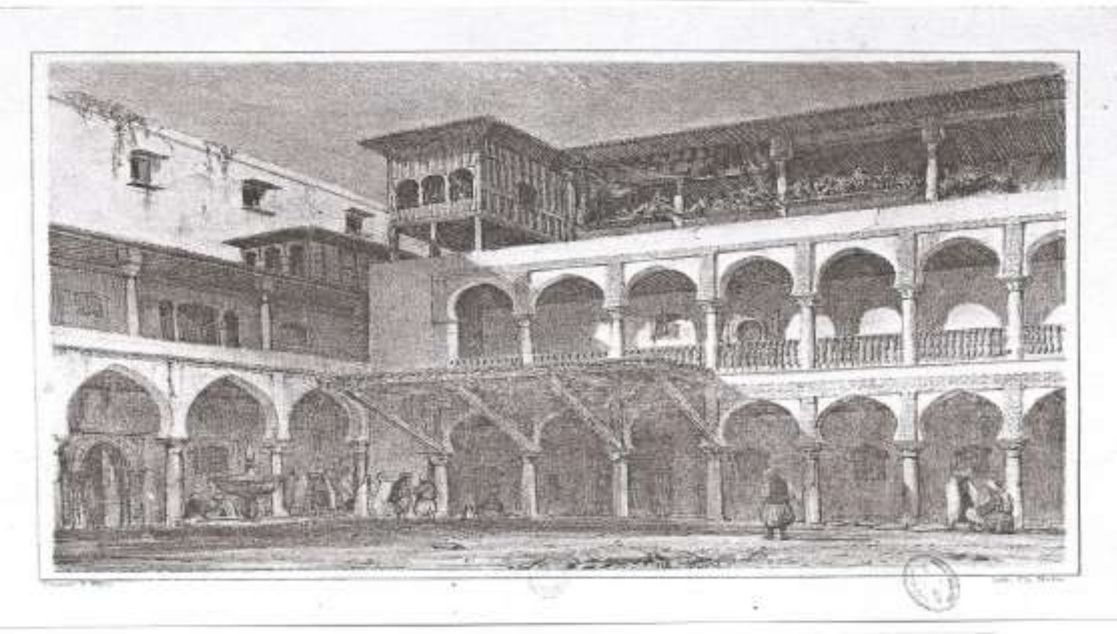
المسجد الكبير بالعاصمة (الجزائر)



القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، المتحف الوطني للفنون الجميلة
الديوان الوطني رياض الفتح ، ط1، الجزائر ،1985، ص72

الصورة رقم(11)

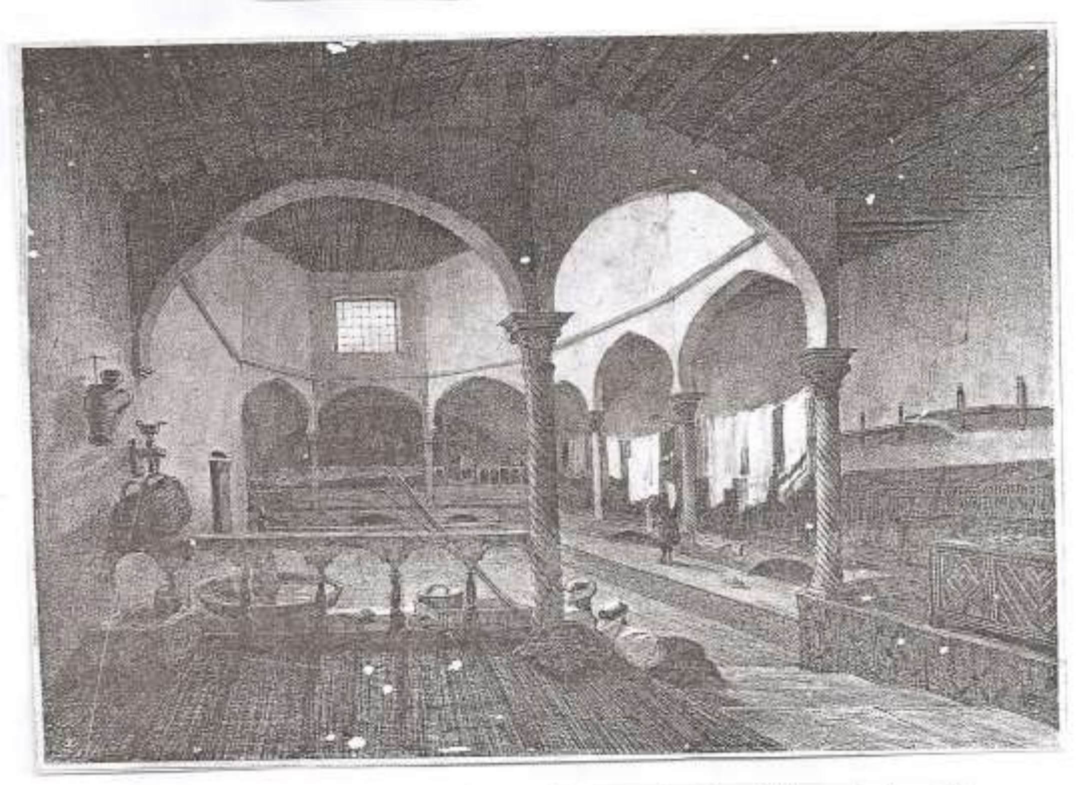
جناح من القصبة (الجزائر)



القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، المتحف الوطني للفنون الجميلة
الديوان الوطني رياض الفتح ، ط1، الجزائر ،1985، ص83

الصورة رقم(12)

قاعة إستراحة لحمام (الجزائر)



القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، المتحف الوطني للفنون الجميلة الديوان الوطني رياض الفتح ، ط1، الجزائر ،1985، ص49

الصورة رقم(13)

أعمدة الطابق الأرضي و الطابق العلوي+ نافورة ماء

في منظر داخلي لمنزل عثماني (دار القايد بمستغانم)



المصدر : بلجوزي عبد الله: رسالة ماجستير(غير منشورة)

2006-2005

صورة من العمارة العثمانية بمستغانم

بالتصرف

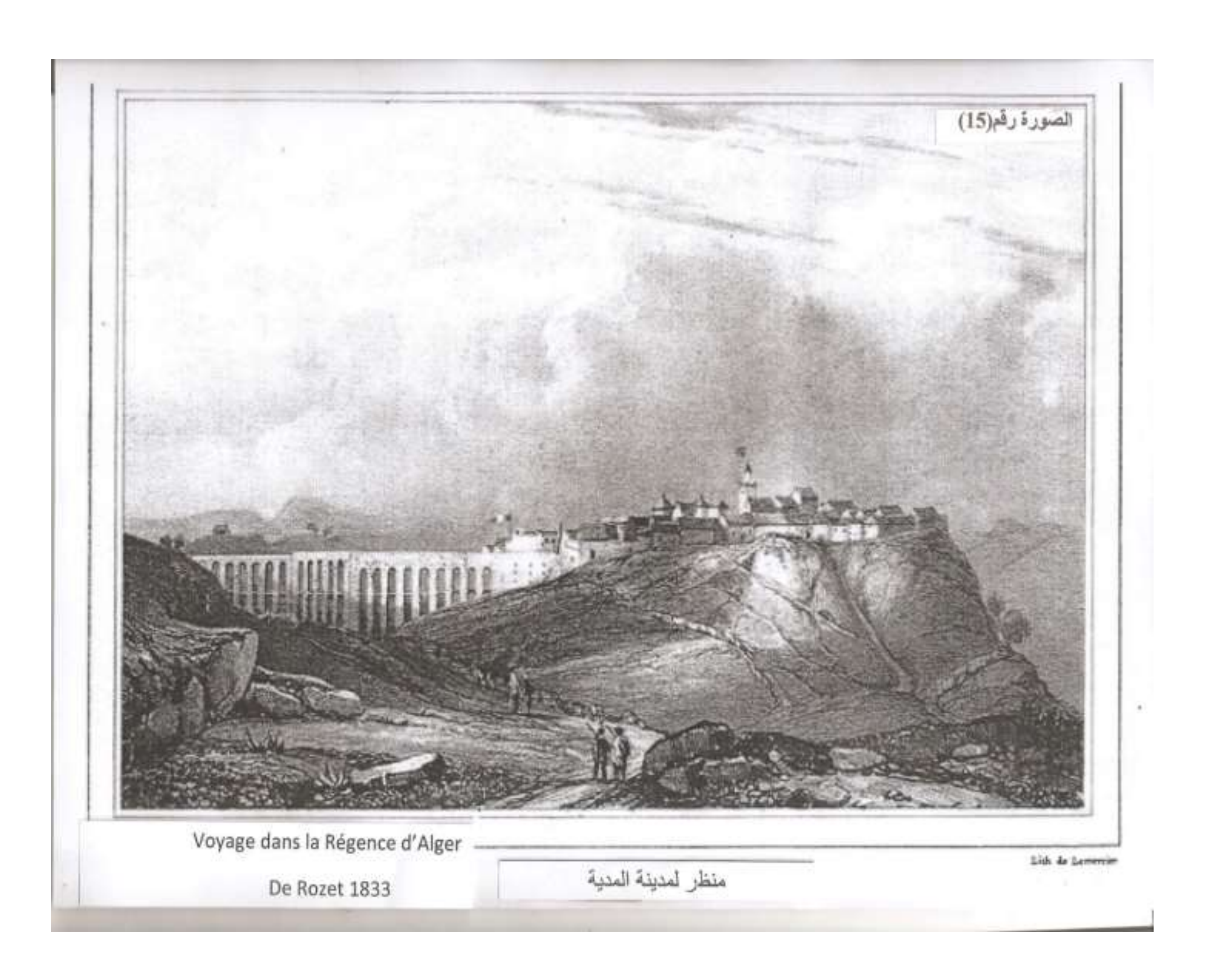


الصورة رقم(14)

Voyage dans la Régence d'Alger

De Rozet 1833

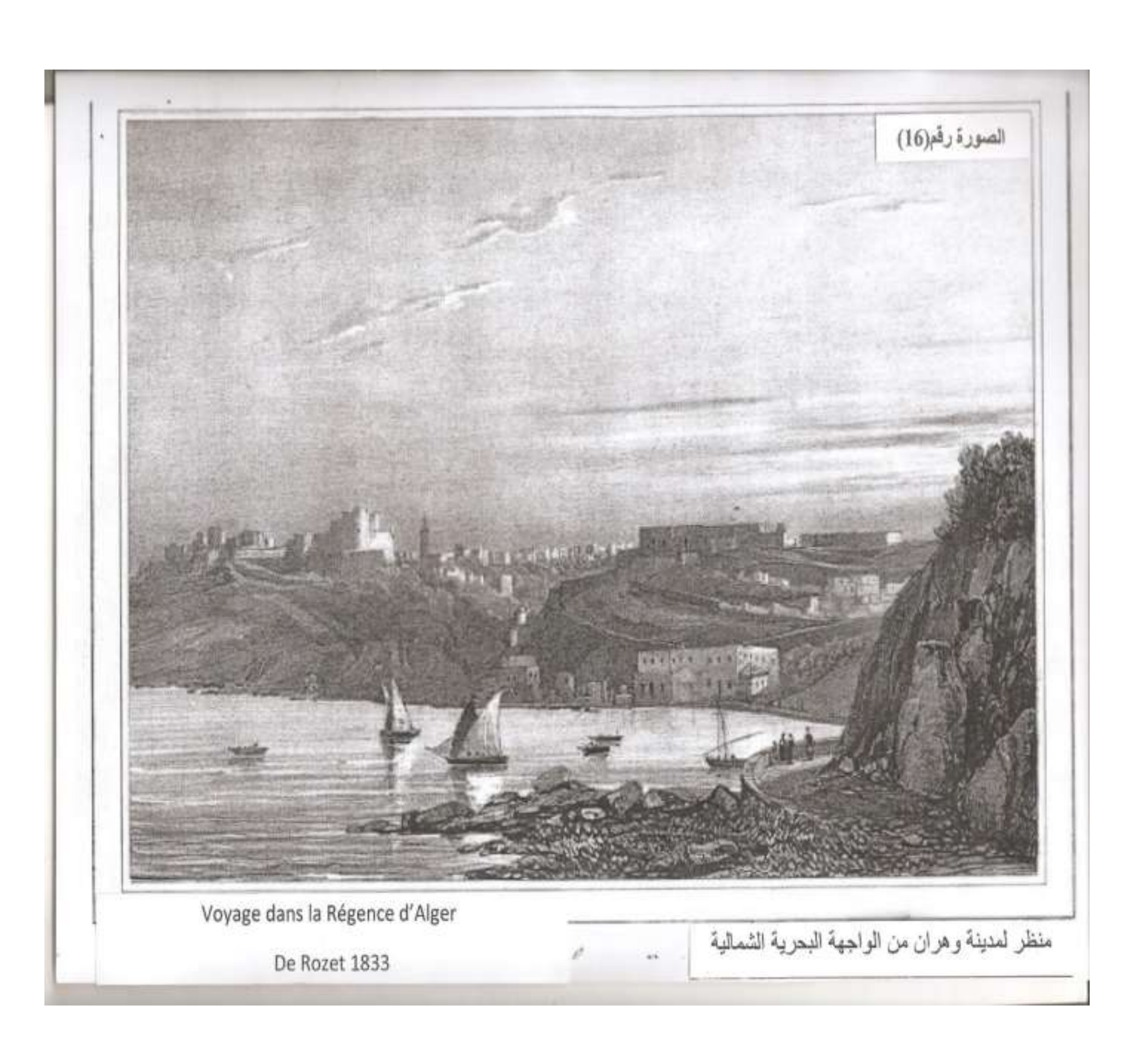
مدينة الجزائر منظر من الواجهة البحرية الشمالية



Voyage dans la Régence d'Alger

De Rozet 1833

منظر لمدينة المدية



الصورة رقم(16)

منظر لمدينة وهران من الواجهة البحرية الشمالية

Voyage dans la Régence d'Alger

De Rozet 1833

الصورة رقم(17)

ركينة بزخرفة نباتية

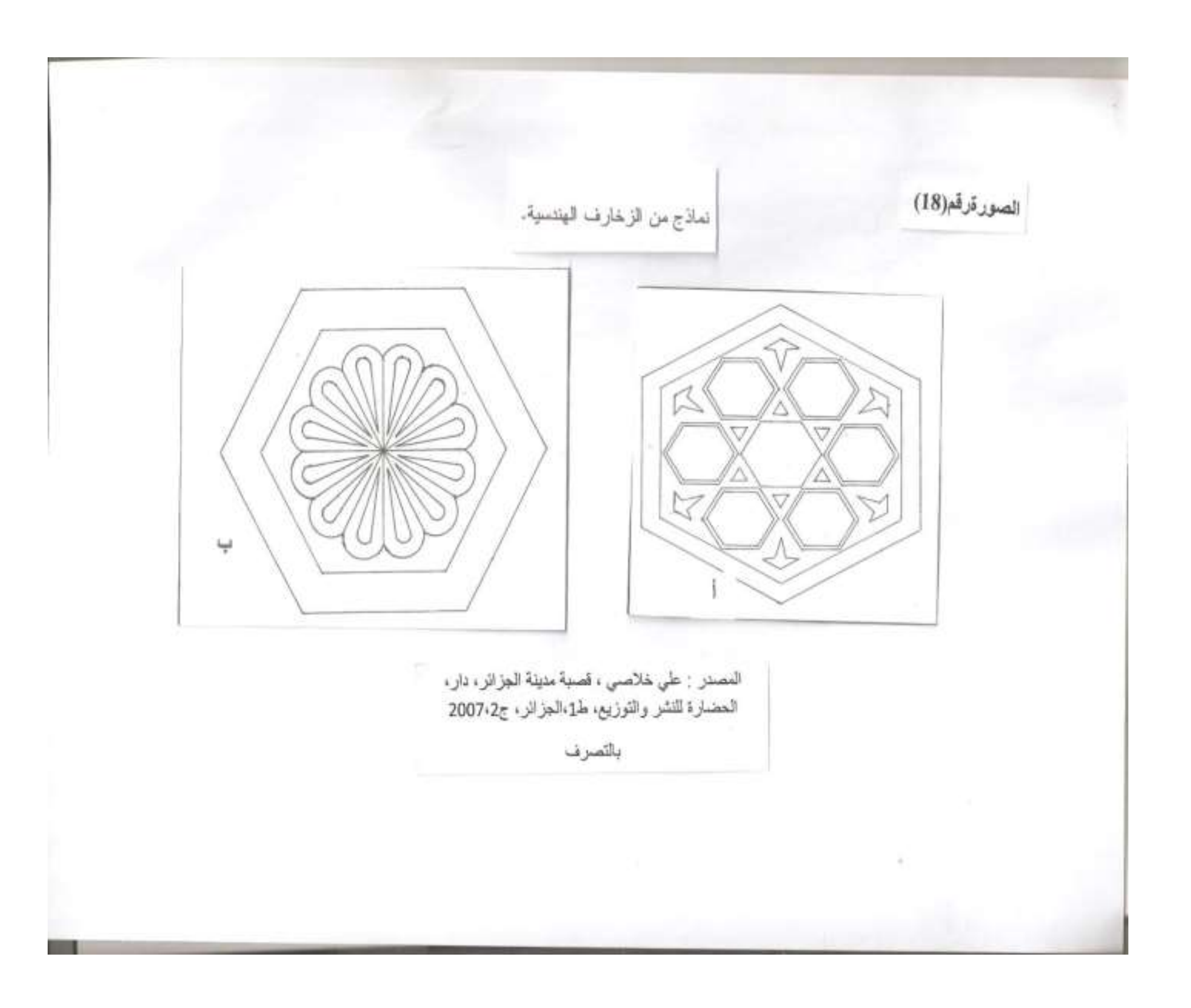


فروع نباتية محورة ذات دوائر مضلعة



المصدر : علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار، الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، ج2، 2007

بالتصرف



الصورةرقم(18) نماذج من الزخارف الهندسية.

المصدر : علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر، دار، الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، ج2،2007

بالتصرف

الصورةرقم(19)

مدرسة بالقصبة (الجزائر)



القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، المتحف الوطني للفنون الجميلة الديوان الوطني رياض الفتح ، ط1، الجزائر ،1985، ص42



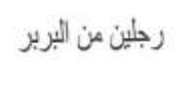
الصورةرقم(20)

فرد عاصمي وإمرأة دزيرية

أحمد السليماني، تاريخ مدينة الجزائر،

ديوان المطبوعات الجامعية ، 1989ص.ص 62.63

الصورة رقم(21)





Voyage dans la Régence d'Alger

Rozet 1833



الصورةرقم(22)

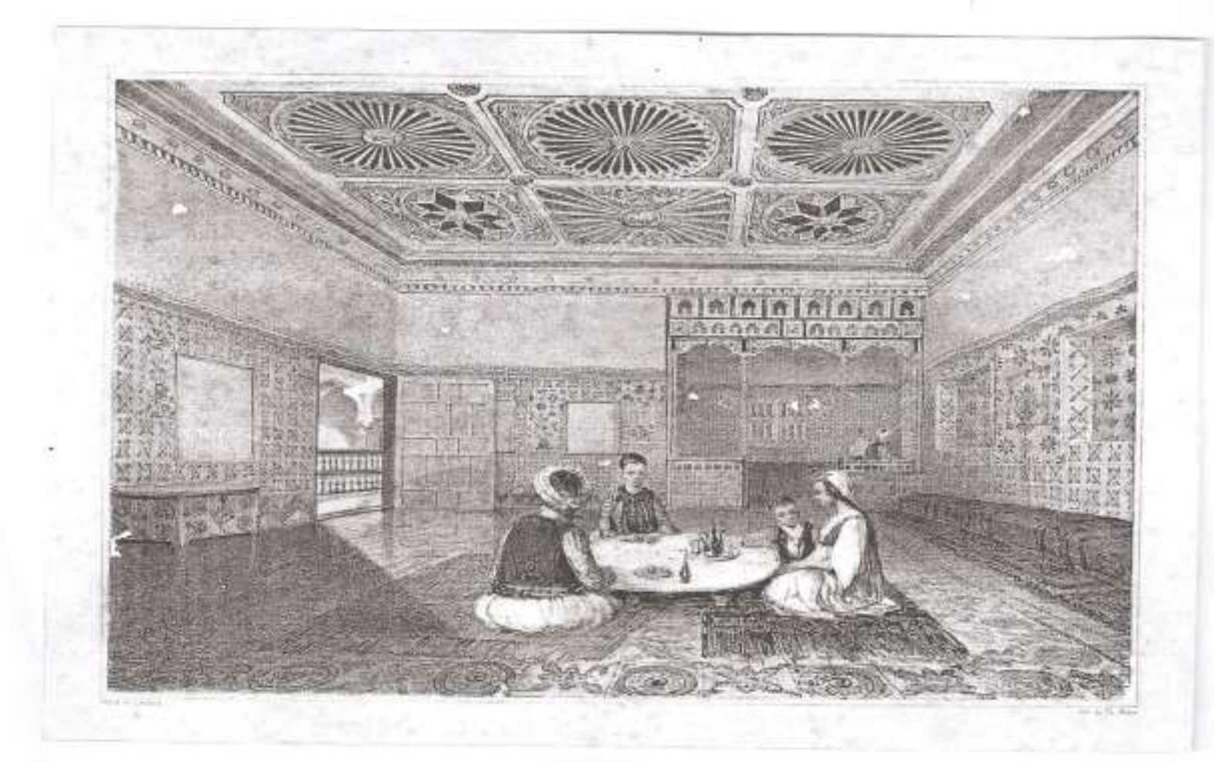
مجموعة أشخاص يمثلون الجالية
اليهودية بالجزائر

Voyage dans la Régence d'Alger

Rozet 1833

الصورة رقم(23)

منظر داخلي لقاعة خاصة بالضيافة



القصبة ، الهندسة المعمارية وتعمير المدن ، المتحف الوطني للفنون الجميلة الديوان الوطني رياض الفتح ، ط1، الجزائر، 1985ن ص 77



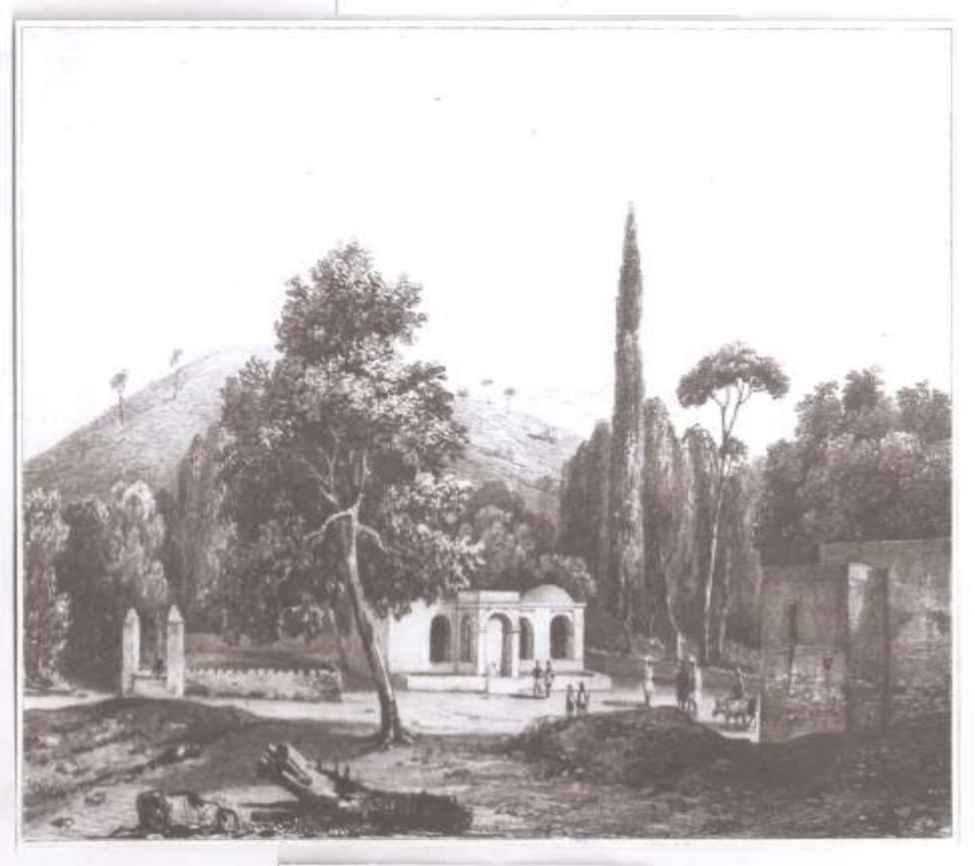
صورة لشخص من الكراغلة في
مدينة الجزائر

Voyage dans la Régence d'Alger

Rozet 1833

الصورة رقم(25)

صورة لمقهى ومدرسة برموندراس، طريق نحو البليدة

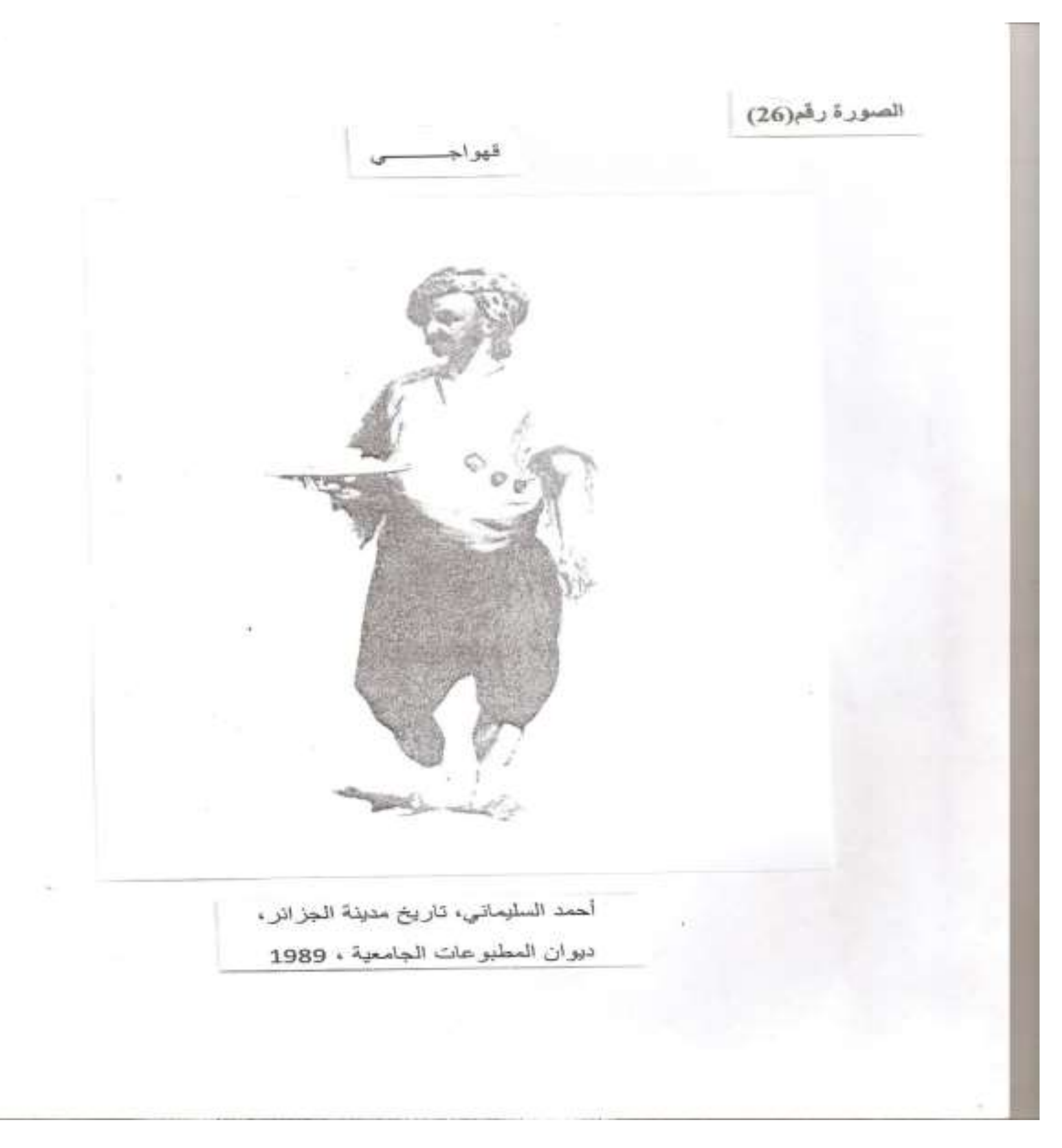


Voyage dans la Régence d'Alger

Rozet 1833

الصورة رقم(26)

قهواجـــــــي



أحمد السليماني، تاريخ مدينة الجزائر،
ديوان المطبوعات الجامعية ، 1989

الصورة رقم(27)

نساء الجزائر في حفل للفنان الفرنسي لأوجين ديلاكرو 1834



جلسة خواطر في حمام من حمامات الجزائر



المصدر: http://topart2000.blogspot.com

صورة رقم 28



سند لمكية عقارية يمثل الكتابة العثمانية (الهميوني)

صورة رقم 29

جدول الأحرف العربية مايقابلها باللغة العثمانية التركية الحديثة

جدول مقارن للأحرف العربية ما يقابلها بالكتابة العثمانية والتركية					
حرف باللغة العربية	في أول الكلمة	في وسط الكلمة	في آخر الكلمة	الاسم	اللغة التركية
ا	ا	ا / ـا	ا / ـا	الف	a, â
ء	—			همزة	
ب	بـ	ـبـ	ـب	بي	b, p
پ	پـ	ـپـ	ـپ	بي	p
ت	تـ	ـتـ	ـت	تي	t
ث	ثـ	ـثـ	ـث	ثي	s̱
ج	جـ	ـجـ	ـج	جيم	c, ç
چ	چـ	ـچـ	ـچ	çim	ç
ح	حـ	ـحـ	ـح	حا	ḥ
خ	خـ	ـخـ	ـخ	خي	ḫ
د	د	ـد	ـد	دال	d
ذ	ذ	ـذ	ـذ	دال (معجمة)	ẕ
ر	ر	ـر	ـر	ري	r
ز	ز	ـز	ـز	زي	z
ژ	ژ	ـژ	ـژ	جو	j
س	سـ	ـسـ	ـس	سين	s
ش	شـ	ـشـ	ـش	شين	ş
ص	صـ	ـصـ	ـص	صاد	ṣ
ض	ضـ	ـضـ	ـض	ضاد	ż, ḍ
ط	طـ	ـطـ	ـط	طي	ṭ
ظ	ظـ	ـظـ	ـظ	ظي	ẓ
ع	عـ	ـعـ	ـع	عين	ʿ
غ	غـ	ـغـ	ـغ	غين	ġ
ف	فـ	ـفـ	ـف	في	f
ق	قـ	ـقـ	ـق	قاف	ḳ
ك	كـ	ـكـ	ـك	كاف	k, g, ñ
گ	گـ	ـگـ	ـگ	جاف[1]	g
ڭ	ڭـ	ـڭـ	ـڭ	نيف صغير كاف,	ñ
ل	لـ	ـلـ	ـل	لام	l
م	مـ	ـمـ	ـم	ميم	m
ن	نـ	ـنـ	ـن	نون	n
و	و	ـو	ـو	واو	,v, o, ô, ö u, û, ü
ه	هـ	ـهـ	ـه	هي	h, e, a
لا	لا	ـلا	ـلا	لامالف	lâ
ى	يـ	ـيـ	ـي	يي	y, ı, i, î

المصدر: http://ar.wikipedia.org

صورة رقم30

جول لبعض علماء المدرسين الجزايريين

ما بين القرنين (15م-19م)*

قرن نشاطه	اسم واللقب العالم	الفترة التاريخية لنشاطه	
		بالهجري	بالميلاد
15م	إبراهيم الطولقي	؟ - 899هـ	؟ -1494م
	أبو الطيب النقاوسي	848هـ - 899هـ	1444م- 1491م
	أبو القاسم القسنطيني	؟ - 847هـ	؟ - 1443
	أبو عبد الله التلمساني	؟ - 818هـ	؟ - 1415م
	أبو عبد الله الرصاع	؟ -894هـ	؟ - 1489م
	أحمد المغراوي	؟ - 820هـ	؟ - 1417م
	أحمد بن محمد البسكري	846هـ-890هـ	1442م-1494م
	أحمد خلوف	829هـ -899هـ	1425م-1494م
	حمزة البيجائي	839هـ-902هـ	1435م-1496م
	عثمان الصنهاجي	؟ - 825هـ	؟ - 1422م
	عيسى الغبريني	؟- 813هـ	؟ - 1410م
	محمد بن محمد المشدالي	822هـ - 865هـ	1417م-1461م
	يحي العلمي	؟ - 888هـ	؟ - 1483م
	يونس الونشريسي	؟ - 816هـ	؟ - 1413م
15م-16م	منصور البجائي	865هـ- 930هـ	1461م- 1524م
	أبو الحسن المطغر	871هـ- 951م	1466م-1545م
	الونشريسي	834هـ-914هـ	1430-1509م
16م	قاسم بن يحي الفكون	؟- 956هـ	؟- 1558م
	أحمد بن أحمد محمد التلمساني	؟ - 980هـ	؟ - 1582م
	علي بن عيسى التلمساني	؟ - 980هـ	؟- 1572م

	محمد بن محمد التلمساني	؟- 920هـ	؟- 1514
	إبن الوهراني	؟- 915هـ	؟- 1544م
	يحي الزواوي	؟- 999هـ	؟ - 1590م
	محمد شقرون	908هـ - 983هـ	1502م- 1590م
	محمد بن محمد شقرون	؟- 929هـ	؟ - 1522م
	أبو القاسم القسنطيني	؟- 995هـ	؟ - 1586م
	إبن محمد الوقاد	؟- 1001هـ	؟- 1593م
	عبد الواحد الونشريسي	؟- 955هـ	؟- 1549م
	أحمد الوهراني	؟- 920هـ	؟ - 1514
	أحمد المقري	986هـ - 1041م	1578م- 1631م
16م-17م	عاشور بن عيسى القسنطيني	984هـ- 1074م	1576هـ- 1664م
	إبن براهيم قدورة السعيد	؟- 1066هـ	؟- 1656م
	إبن عبد الرحمان الوقاد	؟ 1057هـ	؟ - 1647م
	عمر المنجلاني	؟- 1104هـ	؟- 1693م
17	عيسى الثعالبي	1020هـ- 180هـ	1611م- 1669م
	محمد بن عبد الكريم الجزائري	؟- 1102هـ	؟- 1691م
	ابن عبد الرزاق حمادوش	؟ - 1156هـ	؟- 1743م
	ابن محمد بن أحمد الكماد	؟- 1116	؟- 1704
	عبد الرحمان بن إدريس التلمساني	؟ - 1179	؟- 1783
18م	عزوز بن مصطفى	؟- 1282هـ	؟- 1768م
	أحمد التجاني	1150هـ- 1230هـ	1737م- 1815م
	محمد الصالح الرحموني	1152هـ- 1242هـ	1739م-1826
18م-19م	يحي بن طالح الفضلي	1120هـ- 1223هـ	1708م-1808م
19م	أبو حامد المشرفي	؟- 1313هـ	؟- 1895م
	أحمد الإغريسي	1252هـ-1307هـ	1836م-1889م
	أحمد الإغريسي	1252هـ- 1307هـ	1836م-1889م
	أحمد العباس	؟ - 1215هـ	؟ - 1836م
	أطفيش أبراهيم بن عيسى	؟ - 1310هـ	؟- 1893م
	الأمين بن علي	؟- 1236هـ	؟- 1821م
	بن شارف تكوك	1218هـ- 1308هـ	1803م-1890م
	الداودي الحاج	؟ - 1271هـ	؟- 1854م

	الطيب بن مختار الراشدي	؟ - 1285هـ	؟- 1868م
	قاسم الخيراني	؟ - 1307هـ	؟- 1830م
	محمد سعيد بن محي الدين الجزائري	؟ - 1284	؟- 1861م

* الترتيب لهؤلاء العلماء كان حسب الترتيب الهجائي وليس التاريخي

المصدر : عمار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية في ما بين القرنين (3هـ-14هـ / 9م-20م)، ط2، د. م. ج، 2010

البيبليوغرافيا

قايمة المصادر والمراجع

المصادر العربية والمعربة

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
2- الحديث النبوي
* الإمام مالك، الموطأ، دار إبن حزم للطباعة والتشر والتوزيع،ط1، بيروت، 2005
* لإبن حزم العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري،ط7، دار الريان للثرات،القاهرة،1986
* إبن الأثير الجزري، جامع الصول من أحاديث الرسول ﷺ ،دار الإحياء العربي، ط3، بيروت،1983
3- أبو الحسن، التمجروني، النفحة المسكية في السفارة التركية ، من أدب الرحلات 1589، ط1، حققها محمد صالحي،، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان 2007
4- أحمد الراشدي، بن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1973
5- أنس إبن مالك ، الموطأ، دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت، 2005
6- البكري، كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، (د.ت) ، بغداد
7- بن ميمون، محمد الجزائري،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط2، الجزائر، 1981
8- جيمس، لندرا كاثكارت،مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1982
9- حمدان، بن عثمان خوجة، المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980
10- الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، دار القلم للطباعة ، لبنان، 1975
11- الراشدي، إبن سحنون، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تقديم المهدي البوعبدلي (ط خاصة) ، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013
12- الرحلة العياشية, تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القريشي, دار السويدي للنشر والتوزيع, الإمارات العربية المتحدة, ط1, 2006.
13- الزهار، أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تقديم وتعليق أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. و، الجزائر، 1980،

14- سيمون، بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تعريب وتقديم أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر،1974

15- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2002

16- شلوصر، فندلين ، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت،الجزائر، 1980

17- العبدري أبو عبد الله محمد ، الرحلة المغربية ، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث، (د.ت)، قسنطينة

18- الفاسي، إبن زكور، أزاهر البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان مطبعة فونتانا 1902 الجزائر

19- كورين، شوفاليه، الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510م-1521م)، ترجمة جمال حمادنة، د.م,ج، الجزائر ، 2007

20- المزاري، الأغا بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق ودراسة ليحي بوعزيز ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1 ، ج1 ، لبنان ، 1990

21- المغربي إبن سعيد ، "كتاب الجغرافيا" ، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982، الجزائر

22- الناصر، أبي راس،عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق محمد بوركبة ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،ج1، ج2 سنة 2011

23- هاينريش، فون مالتسان ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ، ترجمة أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ج1، الجزائر ، 1979

24- الورتلاني الحسن، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار،تحقيق محمد بن شنب ، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2007.

25- الوزان، حسن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار المغرب، الجزء الثاني، بيروت، 1983

المراجع العربية والمعربة:

1- إبن العربي، برادة علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني،منشورات درا الكتب العلمية،بيروت،لبنان، 1997الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، دار المعارف للنشر والطباعة، القاهرة،(د.ت).

2- بلحميسي، مولاي ، الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ، 1979

3- بن أشنهو، عبد المجيد، دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر،(د.م)، 1972

4- البهنسي، عفيف، الفن الإسلامي،دارطلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق،1986

5- بورويبة، رشيد و أخرون، الجزائر في التاريخ ، العهد الإسلامي ، الجزء3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

6- بوعزيز، يحيى ،المساجد العتيقة بوهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1985

7- الجنابي،كاظم، زخارف الهندسة الإسلامية ، في مجلة سومر ج1 و2المجلد 34 ، بغداد،1978

8- جودي، حسين محمد، العمارة الإسلامية، (خصوصيتها، ابتكاراتها، جماليتها)، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، سنة 1998،

9- حاج شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريفبحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،(د.ط) د. م.ج ، الجزائر 199

10- حليمي، عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل سنة 1830م، المطبعة العربية بدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972

11- حنيفي، هلايلي، وأبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي ،(د.ط)، دار الهدي، الجزائر، 2009

12- " " أوراق في تاريخ الجزائر العهد العثماني، دار الهدى للنشر والطباعة ، ط1، الجزائر، سنة 2008م

13- حومر، أسعد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان 1998م ،

14- حيدر، فاروق عباس ، تشييد المباني ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، الطبعة 1، الإسكندرية ، 1986

15- خلاصي، علي، قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزء 1، الطبعة 1، 2007

16- خنفر،يونس، تاريخ وتطور الفنون الزخرفية والأثاث عبر العصور، دار الرتب الجامعية، ط1، بيروث، لبنان، 2000

17- دراج، محمد مذكرات، خير الدين بربروس ، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع،2010

18- دودو، أبو العيد،الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، (1830- 1855)، م. و . ك، الجزائر، 1989

19- الريحاوي، عبد القادر ، العمارة عبر التاريخ (العمارة في الحضارة السلامية)، ط1 ، مركز النشر العلمي ، جدة ،1990

20- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي مابين القرن (16-20)،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، الجزائر

21- " "، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن (16-20)،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، الجزائر

22- سعد الله، فوزي، اليهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996

23- سعيدوني والمهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ -العهد العثماني-،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984

24- سعيدوني، ناصر الدين ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

25- " "، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1، لبنان،2000

26- الشافعي، فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، الجزء2، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1970

27- شيتور، شمس الدين ، الجزائر العودة الى الماضي،(د.ط)، دار القصبة ، 2004

28- صالح، لمعي مصطفى ، القباب في العمارة الإسلامية ، دار النهضة العربية،(د.ت) بيروت.

29- الصفصافي، أحمد المرسي ، إستانبول عبر التاريخ "روعة الحضارة"، دار الأفاق العربية ، ج1 ، 1991

30- الطايش، أحمد علي ، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، (من العصر الأموي والعباسي)، مكتبة الزهراء، الشرق للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000

31- الطمار، محمد بن عمر ، تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1984.

32- عباد صالح ،الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة ، ط 3، 2007

33- عبد العزيز، مرزوق محمد ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م)، 1987

34- عقاب، محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، 2000

35- العقي، مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها إصلاحي، دار البراق، لبنان،بيروت، 2002 ،ص519

36- عميراوي، أحميدة ، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدينا نموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2005

37- عنان، محمد بن عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، لجنة التأليف والترجمة ولنشر المصرية، ط3، القاهرة، 1986

38- عنايات، المهدي ، روائع الفن الزخرفة الإسلامية، دار الطباعة ابن سينا، القاهرة، 1992

39- فركوس، صالح،تاريخ الجزائر من قبل التاريخ الى غاية الاستقلال، المراحل الكبرى ، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر

40- قداش، محفوظ ، الجزائر أثاء العهد العثماني،(د.ط)، د. م. ج ، الجزائر ،1992

41- قنان، جمال نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500م-1830م)، م.ج.ط، الجزائر، 1987

42- الكعاك، عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبان ، سنة 2003

43- المدني، أحمد توفيق ،حرب الثلاثين سنة بين الجزائر واسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د.ت)، الجزائر

44- مرسي، محمد رفعت، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الطبعة 1، الدار المصرية اللبنانية، (د.ت) ، بيروث، لبنان

45- مرمول، كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي والآخرون- ج3 ،مكتبة المعارف ، الرباط، المغرب،1989

46- مريوش، أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية الجزائر، 2007

47- المقديسي، أحسن، التقاسيم في معرفة الإقليم، ط3، مكتبة المدبولي،1991

48- الميلي، محمد المبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث تقديم وتحقيق محمد الميلي، م. و. ك ، الجزائر ، (د.ط)، ج2 ، 1989

49- نايت بلقاسم، مولود قاسم ، الشخصية الجزائر الدولية وهيبتها قبل 1830، دارالأمة ، ط1، ج2 الجزائر ،2007

50- نور الدين،عبد القادر،صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي،ط2، قسنطينة، مطبعة البعث، 1965

51- وليام، سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية ، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980

52- وليام، شالر،قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)،تقديم إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982

53- وولف.ب. جون ، الجزائر وأوربا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

54- يحياوي، جمال ، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس(1492 – 1610 م) دار هومه ، للطباعة والنشر والتوزيع، 200

المصادر باللغة الفرنسية

1- Arvieux (Ch.), Mémoire du chevalier d'Arvieux, T1, Paris, 1735

2- Berque. (A), L'Algérie, terre d'art et d'histoire, Alger, 1937

3- Blismon, Notice topographique sur le royaume et la ville d'Alger, Paris, 1830

4- Boutin (M), Reconnaissance des villes forts et batteries d'Alger, publié par Gabriel Esquer, Paris, 1927

5- Cahen,(M), Les juifs dans L'Afrique septentrionale, in R.N.S.A.C, vol N° 11,1867

6- Charles Féraud, (L) les ben-djallalb, sultans de Touggourt, R.A, n°23, 1879

7- Charles Féraud,(L) conquête de bougie, par les espagnols, d'après un manuscrit, R. A, N° 12, 1868

8- Dan (P), Histoire de la barbarie et ses corsaires, récollet imp. Du Roy, 2Emme édit, Paris, 1937

9- Dapper (0), Description de l'Afrique, Amsterdam, 1665

10- Daumas (E), Mœurs et coutumes, de l'Algérie, édit Sind Bad, paris, 1855

11- Davity, (P), Description générale de l'Afrique, Paris, 1660

12- De Brèves, Continuation des voyages, Paris, 1628

13- De Grammont(H.D), Relation entre la France et la régence d'Alger au 18emme siècle, in, R.A, T23, 1879

14- De Sandoval,(C.X), les inscriptions d'Oran et mers el-Kebir,R.A, N°15,1871

15- de Tassy (L), histoire de royaume d'Alger,(avec l'état de son gouvernement, de ses forces de terre et mer ,de ses revenus, police ,justice,

politique, et commerce , un diplomate français à Alger en 1724) préface Noel laveau, André Noushi , édition loysel paris 1992

16- De Tassy, (L), Histoire du royaume d'Alger, H, du Sauzet, Amsterdam, 1725
17- Diego de Haedo, Topoghie et histoire générale d'Alger, traduction d'A. Berbrugger, et D. Monnerau, présentation Abdel Rahman Rabahi, 3 Emme édition, Grand Alger livre, 2007
18- Emerit, (M), L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830in (R.T.A.S.M.P,) 2éme semestre, 1954
19- Haedo, (F .D.E), Topographié et histoire d'Alger, Tard, de l'espagnole par Berbrugger(A),et Monnerau, in R .A, n° 15 Année 1870-1871
20- Mercier(E), Constantine avant la conquête française, in R A, Vol N° 19,1875
21- Merle, (J.T), la Prise d'Alger Racontée par un Algérien,Paris, 1830
22- Pananti,(F), Relation d'un séjour à Alger contenant des observation sur l'état actuel de cette régence, trad., par Mr. Blanquiere, le normant, paris,1820
23- pierre Genty de Bussy, De l'établissement des Français dans la régence d'Alger, (1795-1867), ouvrage couronné par l'académie des science, 2eme ,édit, Paris, 1839
24- Poiret, (A), Voyage en Barbarie, paris ; 1789
25- Sanson (N), l'Afrique, Paris, 1656

Shaler (W), Esquisse de l'Etat d'Alger, trad. , par X. Bianchi ,Paris, Ladvocat, 1830

المراجع باللغة الفرنسية

1- Adam,(J.P), La construction roman , matériaux et techniques , 3eme édition, , picard, paris ,
2- Arseven (C,E), les arts décoratifs Turcs, Ankara, édit par Milli Egitim Basimevi, turkey 1950

3- Barbier (J.), Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Paris, 1855
4- Belhamissi (M), Histoire de Mostaganem, (des origines à l'occupation française) ; S.N.E.D, Alger ; 1976
5- " ("), Histoire de Mazouna, Des origines à nos jours. Imp. Ahmed Zabana, Alger, 1982
6- Ben Chenab (M), Mot Turks et persans conservés dans le parler algérien, Alger, 1922
7- Boyer (P), le problème kouloughli dans régence d'Alger, R.M. N° : spéciale, 1970
8- Chevalier, (J), La sculpture sur bois, Alger,1957
9- de Paradis, (V), Tunis et Alger au 18° siècle, Paris, Sind Bad ; 1983
10- Devaux (A), Tarifât Recueil de notices historique sur l'administration l'ancienne régence d'Alger, imp, du gouvernement, 1852
11- DOKALI, (R). , Les Mosquée de la période turque à Alger, 1984
12- Eiesenbth, (M) ; Les juifs en Algérie et en Tunisie l'époque turque, extrait de revue africaine, 1952, Alger.
13- Emerit, (M) Un doucement inédit sur Alger Au 17eme siècle, Alger, 1959
14- Estry,(S), histoire d'Alger, Tours, 1841
15- Faure-biguet, histoire de l'Afrique septentrionale, imprimerie militaire ; paris
16- Gabus.(J), Au Sahara arts et symboles, édit, de la baconière, Suisse, 1974
17- Georguos (A), Expédition de Mohamed El-Kebir, in **R.A**, N° 3, 1858
18- " ("), Notice sure le bay d'Oran Mohamed El-Kebir in **R.A**, N° 1,1856,N° 2, 1857
19- Gramaye, (dB), Journal de Jean- Baptiste Gramaye « évêque d'Afrique », Trad, par Ben Mansour Abdel-Hadi, sous-titre Alger XVI^{e} –XVII^{e} siècle, cerf, Paris, 1998

20- Hatin (E), Histoire pittoresque de L'Algérie, 1840
21- Laugier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger, paris, éd Lousel, 1992
22- Marcais, (G) les monuments arabes de Tlemcen, Paris, 1930
23- " ("), L'Architecteur musulman d'occident, Tunis, Maroc, Algérie, Paris, 1954
24- Marcel Emrit, Les Aventure de Thédénat, esclave et ministre d'un bey d'Afrique, Au 18e siècle, in, R .A, n°92,1948
25- NahumWeismann, Les janissaire, études de l'organisation militaire des ottomans, imp, orient, paris, 1964
26- Nicolas de Nicolay, Les quatre premiers livres de navigation orientale, Lion, 1968
27- péchot (L), histoire de l'Afrique du nord avant 1830, imprimerie alger1914
28- Peysonnel (L), Et Desfontaines, Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, tome 1, Paris, 1838
29- ", ("), Relation d'un Voyage, Paris, 1838
30- Plantet, (Eu), Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France (1597-1833), paris, F.Alcan, 1889
31- Priou(N), Oran et l'Algérie en 1887(notice historique, scientifique et économique), T2 ,0ran, 1888
32- Raymond,(A), Grandes Ville arabes à L'époqueottomane , Paris,1985
33- Rozet (M), Voyage dans la régence d'Alger, édit, Arthus Bertrand libraire, T2, Paris, 1833,
34- ", ("), Voyage dans la régence d'Alger, T3, Alger, 1833
35- Shaw.(D), Voyage dans la régence d'Alger, tr de l'anglais,2eme éd, Tunis bouslama,1980
36- Shuval,(T),La ville d'Alger vers la fin du XVIII siècle (population et cadre urbain), S .N.R.S, édition, Paris, 1998

37- Temimi (A), Le beylik Constantine et Hadj Ahmed Bey, Tunis,
38- Thireau (L), Mostaganem et ses environs (histoire, administration, description, renseignements généraux), imp., eugéneprim, Mostaganem, 1912
39- Tinthoin (R), L'Oranie (sa géographie, son histoire, ses centre vitaux), édit, Fauque, Oran, 1952
40- Turin, Yvonne, Affrontements culturelles dans l'Algérie coloniale (1830-1880), Maspero. Paris, 1971
41- Venture (De .P), Alger au 18eme siècle, Fagnan, Alger, 1898
42- ", (") Tunis et Alger au XVIII Emme siècle, bib, Arobe Sandbad, Paris, 1983

الموسوعات والمعاجم

1- إبن حوقل ، صورة الأرض ، دار الحياة ، (د.ت) ، بيروت، لبنان
2- إبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، الطبعة 3 بيروث ، لبنان ، 2004
3- الحموي، ياقوت معجم البلدان، ج 5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1957
4- محمد رزق، عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية،مكتبة مدبولي 2000،
5- وزيري، يحي، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ، الطبعة 2، جزء2، مكتبة مدبولي،1999
6- Bouillt (M, U), Dictionnaire universelle des sciences des lettres et des arts, libraire des l'hachette, Paris, 1985

الرسايل الجامعية:

1- آيت سعيد،نبيلة ، التحف المعدنية العثمانية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة(دراسة أثرية فنية)، رسالة الماجستير في الآثار الإسلامية، غير منشورة، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2009/2008

2- بن شامة،سعاد، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني رسالة ماجستير، معهد الآثار،مرقونة، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 2008-2009

3-بن صحراوي، كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، جامعة معسكر، السنة الجامعية (2007-2008م)

4- بن لباد، الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري (التجانية والعلوية والقادرية)،دراسة أنثروبولوجية لنيل أطروحة الدكتوراه، غير منشورة، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان ، الجزائر ،(2008-2009)

5-بواب، لطيفة ، الموضوعات الزخرفية في السقوف الخشبية بقصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دراسة فنية وتحليلية ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، غير منشورة، جامعة الجزائر ، 2001

6- حماش، خليفة ، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث،غير منشورة، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2006

7-دادة، محمد، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (مطلع القرن 18م حتى 1830) ،رسالة ماجستير،غير منشورة ، جامعة ديمشق، 1985م

8- رموم،محفوظ، الثقافة والمثقفة في المجتمع الحضري بالجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)، دراسة أنثروبولوجية ، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2002

9- شريفة ، طيان،الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني -دراسة أثرية وفنية- أطروحة لنيل أطروحة دكتوراه ،ج1،غير منشورة،الجامعة الجزائر، (2007-2008)

10- شويتام، أرزقي،المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني(1519-13830م) ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة جامعة الجزائر 2006-2007

11- عبد العزيز، محمود لعرج ، المباني المرينية في إمارة تلمسان، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار، غير منشورة، جامعة الجزائر، 1999

12- غطاس، عائشة ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م) أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ،غير منشورة ،جامعة الجزائر،كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، 2000-200

13- فهيمه رزقي، سكة الفترة العثمانية من خلال متحف سيرتا (قسنطينة)، رسالة الماجستير في التراث والدراسات الأثرية، غير منشورة ،جامعة قسنطينة ، 2001

14- قشي، فاطمة الزهراء ، قسنطينة المدينة والمجتمع (من أواخر القرن الثامن عشر إلي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مرقونة، جامعة تونس الأولى، تونس 1998

15- مهيرس، مبروك ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر 1401هـ/1402هـ، لنيل شهادة الدراسات المعمقة ، غير منشورة، جامعة الجزائر ، السنة الدراسية 1981-1982

16- هواري العياشي، المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير ، في التراث والدراسات الأثرية، غير منشورة، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2011/2010

17- ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني،رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2006-2007

المجالات و الدوريات وباللغة العربية

1-آبار، ميشيل ،الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي، ترجمة خنفي بن عيسى، مجلة الثقافة، العدد 3 الجزائر،1971

2- أحمد يوسف، عبد الله ، فن التقريظ (منهجية الدكتور الفضلى نموذجا) ط[1] المملكة العربية السعودية ، 1430هـ / 2009م من موقع على الانترنيت www.alyousif.org

3- باياني، سيد أحمد ، الجزائر ، مجلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة ، ش.و.ت.ن ، العدد 12،الجزائر، 1974

4- بلبروات، بن عتو ، نظرات إستشراقية لعادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس،العدد2، الجزائر، مارس 2010

5-بلحميسي مولاي ، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية والأجنبية ، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، العدد [8] الجزائر 1982

6- بن حموش، أحمد ، الوقف وتنمية المدن من التراث إلى التحديث، ندوة الوقف الإسلامي 6-7 ديسمبر، العين، جامعة الإمارات العربية،1997

7- البوعبدلي المهدي، الرباط والفداء في وهران والقبائل، مجلة الأصالة، العدد13، 1973

8- التميمي، عبدا لجليل، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية، 50، 1980

9- الجيلالي،عبدا لرحمان،الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريًا وتاريخيًا،مجلة الأصالة،العدد 8، الجزائر، 1982

10- حملاوي علي،الزخرفة الجصية بين التطور والانحطاط في مباني الإسلامية بالجزائر خلال القرن 8هـ/10م مجلة الدراسات الأثرية، العدد1 الجزائر، 1992

11- سعيدوني،ناصر الدين ،الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر مجلة الثقافة الجزائرية ، العدد 45 ، 1978

12- سعيدوني، ناصر الدين، صورة من الهجرة الأندلسية الى الجزائر ،المجلة العربية ، للثقافة والتربية والعلوم ، العدد27، 1994

13- الصباغ، ليلى، ثورة مسلمي الأندلس غرناطة، محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي ، ج1، تلمسان ، 1975.

14- عائشة حنفي، لباس البذن عند الرجال بمدينة الجزائر في العهد العثماني، حوليات المتحف الوطني للأثار القديمة ، العدد 09، الجزائر، 2000

15- غانم، محمد ، مدينة في أزمة ، مستغانم في واجهة الإحتلال الفرنسي 1830-1833م مجلة إنسانيات ، عدد5 أوت،1998

16- كاردياك لوي، المورسكيون الأندلسيون و المسيحيون (المجادلة والجدلية) (1492-1640م)، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، العدد 09 تونس

17- لعرج، محمود، مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر، (المؤتمر الخامس لجمعية الأثريين العرب)، مجلة دراسات في أثار الوطن العربي العدد3 الندوة العلمية الرابعة، القاهرة، 2002

18- المازاري، بديرة، حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، الحياةالإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني،منشورات المؤسسة الوطنية للبحث العلمي،1121 زغوان، تونس، 1988

19- محمد سيد أشرف صالح، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي ، مجلة أماراباك ، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، الجلد 4 ، العدد 8، 2013

20- مزين، محمد، المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنان 16-17م، من خلال مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، العدد 9، 1995

21- مسدور، فارس و منصوري، كمال ، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف، (التاريخ والحاضر والمستقبل)،مجلة أوقاف، العدد 5، 2008

22- مغلي،الهاشمي محمد البشير، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، عدد 6، 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث من الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954

23- منوفي، محمد ، ملامح من تطور المغرب العربي في بداية العصور الحديثة ،أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسية ، 1979

24- الناصري، محمد المكي، وحدة المغرب في ظل الإسلام،المجلة الثقافة الجزائرية، العدد15، سنة 1973،

25- هلال، عمار ، العلماء الجزائريون في فاس ما بين القرن العاشر والعشرين الميلاديين، مجلة الدراسات التاريخية ،العدد 9 ، الجزائر، 1995

26- يوسف، محمد عبد الله، تعريف التراث (أنواعه والحفاظ عليه) رئيس الهيئة العامة للآثاروالمتاحف والمخطوطات، جامعة صنعاء، اليمن، د.ت، (منقول من الموقع الإلكتروني) www.yemen-nic.info

الفهارس العامة

1- فهرس الأعلام

2- فهرس اللأماكن والبلدان

3- فهرس الرتّب والوظائف والهيئات والجماعات

4- الفهرس التفصيلي للمواضيع

ملاحظة: أنبه بأنني أسقطت بعض الأسماء التي تتكر بإستمرار في غالب الصفحات الرسالة مثل العثمانيون ، السلطة العثمانية، مدينة الجزائر ، أيالة الجزائر

فهرس الأعـــــلام

أ

فهرس الأماكن والبلدان

أ

ب

ت

مملكة بنو زيان	6،5،4،3
مملكة بنوا مرين	4
مملكة بني الحمر	3

ن

نابولي	85
النمامشة	4
نوميديا	33

و

ورقلة	4
وهران	130،41،33،32،30،28،6،5

فهرس الرتّب، الوظايف ، الهيپات والجماعات

أ

ب

ج

الفهرس التفصيلي للموضوعات

المــــــدخل

الفصل الأول :

المؤثرات الثقافية بالجزائر العثمانية مبين القرنين 16-19م

الفصل الثاني

أهم المظاهر التأثير والتأثرث للمورث مادي بالجزائر العثمانية

الفصل الثالث

أهم المظاهر التأثير والتأثرث للمورث اللامادي بالجزائر العثمانية

الفصل الرابع

أهم المؤسسات الثقافية وتأثيرها الحضاري بالجزائر العثمانية

الملخص

حولنا أن نلقي بعض الضوء على واقع الحياة الثقافية في الجزائر، خلال العهد العثماني مع توضيح أبرز المحطات في عملية التأثير والتأثر بين الوافدين الأتراك العثمانيين والأهالي الجزائرية، باختلاف أطيافها من أندلسيين، عرب وأماريغ، حيث انصهرت الأَمْزِجَةُ والطبائع بين ثقافتهم مكونة قالبا جزائريا عثمانيا لمدة تجاوزت الثلاثة قرون من الزمن، أفرزت نِتّاجا ثقافيا لازالت معالمه إلى يومنا الحاضر باعتباره جزء من ثقافتنا الجزائرية.ومن خلال وجهة نظر الكُتَّابُ الأجانب مع استئناس بما جاء في الكتابات المحلية حول هذا الموضوع، أنه أكبر من مجرد بحث وذلك لتتابعه وتداخله مع مواضيع ذات صلة قوية بجوانب أخرى وإن كان ذو طابع ثقافي إلا لأن للجوانب الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية لها تأثيرها البارز، ولذلك إن كل هذه المجلات مجتمعة تشكل منظومة حياة المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.

الكلمات المفتاحية:
الموروث المادي؛ الموروث اللامادي؛ الثقافة؛ العثمانيون؛ الأتراك؛ العادات والتقاليد؛ العمران؛ المؤسسات الثقافية؛ الرباطات؛ الزوايا.

نوقشت يوم 04 جوان 2015